

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المدرس في الجامعة



الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وأشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحمد لله الذي ختم الرسل بهذا النبي الكريم عليه من الله الصلاة والتسليم، كما ختم الكتب السماوية بهذا القرآن العظيم، وهدى الناس بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم، فأخبره كلها صدق، وأحكامه كلها عدل، وبعضه يشهد بصدق بعض ولا ينافي، لأن آياته فصلت من لدن حكيم خبير. **{أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}**.

أما بعد فإن مقيد هذه الحروف، عفا الله عنه، أراد أن يبين في هذه الرسالة ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التي يتوهم فيها التعارض في القرآن العظيم، مرتبا لها بحسب ترتيب السور، يذكر الجمع بين الآيتين غالبا في محل الأولى منهما وربما يذكر الجمع عند محل الأخيرة وربما يكتفي بذكر الجمع عند الأولى وربما يحيل عليه عند محل الأخيرة ولاسيما إذا كانت السورة ليس فيها مما يتوهم تعارضه إلا تلك الآية فإنه لا يترك ذكرها والإحالة على الجمع المتقدم، وسميته:

(دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب)

فنقول وبالله نستعين وهو حسينا ونعم الوكيل راجين من الله الكريم أن يجعل نيتنا صالحة وعملنا كله خالصا لوجهه الكريم، إنه قريب مجيب رحيم.

سورة البقرة

قوله تعالى: **{الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** أشار الله تعالى إلى القرآن في هذه الآية إشارة البعيد وقد أشار له في آيات أخر إشارة القريب كقوله: **{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمُ}** وكقوله: **{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ}** الآية وكقوله: **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ}**، وكقوله: **{تَحْنُ تَفْصِلُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ}**، إلى غير ذلك من الآيات، وللجمع بين هذه الآيات أوجه: -الأول- ما حرره بعض علماء البلاغة من أن وجه الإشارة إليه بإشارة الحاضر القريب أن هذا القرآن قريب حاضر في لأسماع والألسنة والقلوب، ووجه الإشارة إليه بإشارة البعيد هو بعد مكاتته ومنزلته عن مشابهة كلام الخلق وعما يزعمه الكفار من أنه سحر أو شعر أو كهانة أو أساطير الأولين .

الوجه الثاني: هو ما اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره من أن ذلك إشارة إلى ما تضمنه قوله: **{الْم}** وأنه إشارة إليه إشارة البعيد لأن الكلام المشار إليه منقوض ومعناه في الحقيقة القرب لقرب انقضائه وضرب له مثلا بالرجل يحدث الرجل فيقول له مرة: والله إن ذلك لكما قلت، ومرة يقول: والله إن هذا لكما قلت، فإشارة البعيد نظرا إلى أن الكلام مضى وانقضى وإشارة القريب نظرا إلى قرب انقضائه.

الوجه الثالث: أن العرب ربما أشارت إلى القريب إشارة البعيد فتكون الآية على أسلوب من أساليب اللغة العربية ونظيره قول خفاف ابن ندية السلمي لما قتل مالك بن حرملة الفزاري: **فإن تك خيلي قد أصيب صميمها** فعمدا على عيني تيممت مالكا أقول له والرمح يأطر منته

يعني أنا هذا وهذا القول الأخير حكاية البخاري عن معمر بن المثنى أبي عبيدة قاله ابن كثير. وعلى كل حال فعامية المفسرين على أن ذلك الكتاب بمعنى هذا الكتاب. قوله تعالى: **{لَا رَيْبَ فِيهِ}** هذه نكرة في سياق النفي ركبت مع لا فبنيت على الفتح. والنكرة إذا كانت كذلك فهي نص في العموم كما تقرر في علم الأصول، و **{لَا}** هذه التي هي نص في العموم هي المعروفة عند النحويين بـ (لا) التي لنفي الجنس، أما (لا) العاملة عمل ليس فهي ظاهرة في العموم لا نص فيه، وعليه فالآية نص في نفي كل فرد من أفراد الريب عن هذا القرآن العظيم، وقد جاء في آيات أخر ما يدل على وجود الريب فيه لبعض من الناس كالكفار المشاكين كقوله تعالى: **{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا}** ، وكقوله: **{وَإِذَا تَأْتَتْ فُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ بِتَرْدَدُونَ}**، وكقوله: **{تِلْهُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ}** . ووجه الجمع في ذلك أن القرآن بالغ من وضوح الأدلة وظهور المعجزة ما ينفي تطرق أي ريب إليه، وريب الكفار فيه إنما هو لعمى بصائرهم، كما بينه بقوله تعالى: **{أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى}** فصرح بأن من لا يعلم أنه الحق أن ذلك إنما جاءه من قبل عماء ومعلوم أن عدم رؤية الأعمى للشمس لا ينافي كونها لا ريب فيها لظهورها:

فلا غرو أن يرتاب والصيح مسفر

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة

وأجاب بعض العلماء بأن قوله لا ريب فيه خبر أريد به الإنشاء أي لا ترتابوا فيه وعليه فلا إشكال.

قوله تعالى: **{هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}**. خصص في هدى هذا الكتاب بالمتقين، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أن هداه عام لجميع الناس، و هي قوله تعالى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ}** الآية. ووجه الجمع بينهما أن الهدى يستعمل في القرآن استعمالين أحدهما عام والثاني خاص. أما الهدى العام فمعناه إبانة طريق الحق وإيضاح المحجة سواء سلكتها المبين له أم لا ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: **{وَأَمَّا تُمُوذُ فَهَدَيْنَاهُمْ}** أي بينا لهم طريق الحق على لسان نبينا صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مع أنهم لم يسلكوها بدليل قوله عز وجل: **{فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}**، ومنه أيضا قوله تعالى: **{إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ}**، أي بينا له طريق الخير والشر بدليل قوله: **{إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا}**. وأما الهدى الخاص فهو تفضل الله بالتوفيق على العبد ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}** الآية. وقوله: **{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ}**، فإذا علمت ذلك فاعلم أن الهدى الخاص بالمتقين هو الهدى الخاص وهو التفضل بالتوفيق عليهم والهدى العام للناس هو الهدى العام، وهو إبانة الطريق وإيضاح المحجة، وبهذا يرتفع الإشكال أيضا بين قوله تعالى: **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}** مع قوله: **{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**، لأن الهدى المنفي عنه صلى الله عليه وسلم هو الهدى الخاص لأن التوفيق بيد الله وحده ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا، والهدى المتيقن له هو الهدى العام الذي هو إبانة الطريق وقد بينها صلى الله عليه وسلم حتى تركها محجة بيضاء ليلها كنهارها، والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}**. هذه الآية تدل بظاهرها على عدم إيمان الكفار، وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أن بعض الكفار يؤمن بالله ورسوله كقوله تعالى: **{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ}** الآية. وكقوله: **{كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ}** وكقوله: **{وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ}**، ووجه الجمع ظاهر وهو أن الآية من العام المخصوص لأنه في خصوص الأشقياء الذين سبقت لهم في علم الله الشقاوة المشار إليهم بقوله: **{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَبْرُؤَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ}**. ويدل لهذا التخصيص قوله تعالى: **{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}** الآية وأجاب البعض بأن المعنى لا يؤمنون مادام الطبع على قلوبهم وأسماعهم والغشاوة على أبصارهم فإن أزال الله عنهم ذلك بفضله آمنوا. قوله تعالى: **{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ}** الآية. هذه الآية تدل بظاهرها على أنهم مجبورون لأن من ختم على قلبه وجعلت الغشاوة على بصره سلبت منه القدرة على الإيمان. وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أن كفرهم واقع بمشيتهم وإرادتهم كقوله تعالى: **{فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}**، وكقوله تعالى: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا صَلَاتَهُمْ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمُعْصِرَةِ}**، وكقوله: **{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ}** الآية، وكقوله: **{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلَى الْآيَاتِ}**، وكقوله: **{لَيْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ}** الآية. والجواب: أن الختم والطبع والغشاوة المجعولة على أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم، كل ذلك عقاب من الله لهم على مبادرتهم للكفر وتكذيب الرسل واختيارهم ومشيتهم، فعاقبهم الله بعدم التوفيق جزاء وفاقا. كما بينه تعالى بقوله: **{بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ}** وقوله: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}**، وقوله: **{وَنُفِقْتُ أَفْنَدْتَهُمْ وَأَبْصَرْتَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَئِكَ مَرَّةٌ}** وقوله: **{قَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}** وقوله: **{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا}** الآية وقوله: **{بَلْ زَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**، إلى غير ذلك من الآيات. قوله تعالى: **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا}** الآية. أفرد في هذه الآية الضمير في قوله استوفد وفي قوله ما حوله وجمع الضمير في قوله: **{ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ}**، مع أن مرجع كل هذه الضمائر شيء واحد وهو لفظة الذي من قوله: **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي}**، والجواب عن هذا أن لفظة الذي مفرد ومعناها عام لكل ما تشمله صلتها، وقد تقرر في علم الأصول أن الأسماء الموصولة كلها من صيغ العموم، فإذا حقت ذلك فاعلم أن أفراد الضمير باعتبار لفظة الذي وجمعه باعتبار معناها، ولهذا المعنى جرى على السنة العلماء أن الذي تأتي بمعنى الذين ومن أمثلة ذلك في القرآن هذه الآية الكريمة، فقوله كمثل الذي استوفد أي كمثل الذين استوفدوا بدليل قوله: **{ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ}** الآية. وقوله: **{وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** وقوله: **{لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ}** أي كالذين ينفقون بدليل قوله: **{لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا}** وقوله: **{وَحُصِّنْ كَالَّذِي خَاصُوا}** بناء على الصحيح من أن الذي فيها موصولة لا مصدرية ونظير هذا من كلام العرب قول الراجز:

يا رب عبس لا تبارك في أحد
في قائم منهم ولا في من قعد

إلا الذي قاموا بأطراف المسد

وقول الشاعر وهو أشهب بن رميلة وأنشده سيبويه لإطلاق الذي وإرادة الذين:
وأن الذي حانت بفلج دماؤهم
وزعم ابن الأنباري أن لفظة الذي في بيت أشهب جمع الذ بالسكون وأن الذي في الآية مفرد
أريد به الجمع وكلام سيبويه يرد عليه وقول هذيل بن الفرخ العجلي:
وبت أساقى القوم إخوتي الذي
وقال بعضهم المستوفد واحد لجماعة معه ولا يخفى ضعفه.

قوله تعالى: **{ضُمَّ بُكُمْ غُمِّي}** الآية هذه الآية يدل ظاهرها على أن المنافقين لا يسمعون ولا يتكلمون ولا يصرون، وقد جاء في آيات أخر ما يدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ}** وكقوله: **{وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ}** الآية، أي لفصاحتهم وطلاوة ألسنتهم، وقوله: **{فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالْأَسْتِ جَدَاد}** إلى غير ذلك من الآيات، ووجه الجمع ظاهر، وهو أنهم بكم عن النطق بالحق وإن رأوا غيره، وقد بين تعالى هذا الجمع بقوله: **{وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً}** الآية، لأن مالا يغني شيئا فهو كالمعدوم والعرب ربما أطلقت الصمم على السماع الذي لا أثر له ومنه قول قعنب بن أم صاحب: صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به

وقول الشاعر:

وأسمع خلق الله حين أريد
عن الجود والفخر يوم الفجار

أصم عن الأمر الذي لا أريده
فأصممت عمرا وأعميته
وكذلك الكلام الذي لا فائدة فيه فهو كالعدم.
قال هبيرة بن أبي وهب المخزومي:

وإن كلام المرء في غير كنهه
قوله تعالى: **{فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ}** الآية. هذه الآية تدل على إن هذه النار كانت معروفة عندهم، بدليل أل العهدية، وقد قال تعالى في سورة التحريم: **{قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ}**، فتكثير النار هنا يدل على أنها لم تكن معروفة عندهم بهذه الصفات. ووجه الجمع أنهم لم يكونوا يعلمون أن من صفاتها كون الناس والجبارة وقودا لها فنزلت آية التحريم فعرفوا منها ذلك من صفات النار، ثم لما كانت معروفة عندهم نزلت آية البقرة، فعرفت فيها النار بال العهدية لأنها معهودة عندهم في آية التحريم، ذكر هذا الجمع البضاوي والخطيب في تفسيريهما وزعما أن آية التحريم نزلت بمكة وظاهر القرآن يدل على هذا الجمع لأن تعريف النار هنا بال العهدية يدل على عهد سابق والموصول وصلته دليل على العهد وعدم قصد الجنس ولا ينافي ذلك أن سورة التحريم مدنية وأن الظاهر نزولها بعد البقرة، كما روي عن ابن عباس لجواز كون الآية مكية في سورة مدنية كالعكس.

قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}** الآية. هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء بدليل لفظة ثم التي هي للترتيب والانفصال وكذلك آية حم السجدة تدل أيضا على خلق الأرض قبل خلق السماء لأنه قال فيها: **{قُلْ إِيَّاكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ}** إلى أن قال: **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ}** الآية. مع آية النزاعات تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء لأنه قال فيها: **{أَأَنْتُمْ أَسَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا}**. قال: **{وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}** واعلم أولا أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الجمع بين آية السجدة وآية النزاعات فاجاب بأن الله تعالى خلق الأرض أولا قبل السماء غير مدحوة ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعا في يومين ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي والأنهار وغير ذلك فأصل خلق الأرض قبل خلق السماء ودحوها بجالها وأشجارها ونحو ذلك بعد خلق السماء. ويدل لهذا أنه قال: **{وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}** ولم يقل خلقها، ثم فسر دحوه إياها بقوله: **{أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْغَاهَا}** الآية. وهذا الجمع الذي جمع به ابن عباس بين هاتين الآيتين واضح لا إشكال فيه مفهوم من ظاهر القرآن العظيم إلا أنه يرد عليه إشكال من آية البقرة هذه وإيضاحه أن ابن عباس جمع بأن خلق الأرض قبل خلق السماء ودحوها بما فيها بعد خلق السماء وفي هذه الآية التصريح بأن جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء لأنه قال فيها: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}** الآية. وقد مكثت زمنا طويلا أفكر في حل هذا الإشكال مرفوع من وجهين كل منهما تدل عليه آية من القرآن:

الأول-إن المراد بخلق ما في الأرض جميعا قبل خلق السماء الخلق اللغوي الذي هو التقدير لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود والعرب تسمي التقدير خلقا ومنه قول زهير: ولانت تفري ما خلقت وبع
والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير أنه تعالى نصّ على ذلك في سورة فصلت حيث قال: **{وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَانَهَا}** ثم قال: **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ}** الآية. الوجه الثاني: أنه لما خلق الأرض غير مدحوة وهي أصل لكل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود أصله فعلا والدليل من القرآن على أن وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع وإن لم يكن موجودا بالفعل. قوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ}** الآية. فقوله خلقناكم ثم صورناكم أي بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم هو أصلكم. وجمع بعض العلماء بأن معنى قوله والأرض بعد ذلك دحاه، أي مع ذلك فلفظة بعد بمعنى مع ونظيره قوله تعالى: **{عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ}** وعليه فلا إشكال في الآية، ويستأنس لهذا القول بالقراءة الشاذة وبها قرأ مجاهد: الأرض مع ذلك دحاه، وجمع بعضهم بأوجه ضعيفة لأنها مبنية على أن خلق السماء قبل الأرض وهو خلاف التحقيق منها: أن (ثم) بمعنى الواو. منها: أنها للترتيب الذكري كقوله تعالى: **{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا}** الآية.

قوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ}** الآية. أفرد هنا تعالى لفظ **{السَّمَاءِ}** ورد عليه الضمير بصيغة الجمع في قوله **{فَسَوَّاهُنَّ}** وللجمع بين ضمير الجمع ومفسره المفرد وجهان:

الأول: إن المراد بالسماوات جنسها الصادق بسبع سموات وعليه فال جنسية.
الثاني: أنه لا خلاف بين أهل اللسان العربي في وقوع إطلاق المفرد وإرادة الجمع مع تعريف المفرد وتنكيره وإضافته، وهو كثير في القرآن العظيم وفي كلام العرب. فمن أمثلته في القرآن واللفظ معرّف قوله تعالى: **{وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ}** أي بالكتاب كلها بدليل قوله تعالى: **{كُلُّ أَمْرٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ}**، وقوله: **{وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ}** وقوله تعالى: **{سَيُهَرِّمُ الْجَمْعَ وَبُولُونَ الدُّبُرَ}** يعني الأدبار، كما هو ظاهر، وقوله تعالى: **{أُولَئِكَ يُجْرُونَ الْعُرْفَةَ}** يعني العرفات بدليل قوله تعالى: **{لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَثْنِيَّةٌ}** وقوله تعالى: **{وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ أُمْنُونَ}** وقوله تعالى: **{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}** أي الملائكة بدليل قوله تعالى: **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ}** وقوله تعالى: **{أَوِ الطُّغْلَ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا}** الآية، يعني الأطفال الذين لم يظهروا، وقوله تعالى: **{هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ}** الآية يعني الأعداء.

ومن أمثلته واللفظ منكر قوله تعالى: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَتَهْرٍ}** يعني وأنهار بدليل قوله تعالى: **{فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ}** الآية، وقوله تعالى: **{وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}** يعني أئمة، وقوله تعالى: **{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ}** يعني سامرين، وقوله: **{ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا}** يعني أطفالا، وقوله: **{لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ}** أي بينهم، وقوله تعالى: **{وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا}** أي رفقاء، وقوله: **{وَإِنْ كُنْتُمْ حُبًّا فَاطْهَرُوا}**، أي جنيين أو أجنبيا وقوله: **{وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ طَهِيرٌ}** أي طاهرون لدلالة السياق فيها كلها على الجمع. واستدل سيبويه لهذا بقوله: **{فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا}** أي أنفسا.

ومن أمثلته واللفظ مضاف قوله تعالى: **{إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي}** الآية، يعني أضيافي، وقوله: **{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ}** الآية أي أوامره وأنشد سيبويه لإطلاق المفرد وإرادة الجمع قول الشاعر، وهو علقمة بن عبدة التميمي:

بها جيف الحسرى فأما عظامها
يعني وأما جلودها فصلية. وأنشد له أيضا قول الآخر:
كلوا في بعض بطونكم تعفوا
يعني في بعض بطونكم.

ومن شواهد قول عقيل بن علفة المري:
وكان بنو فزاره شر عم
يعني شر أعمام. وقول العباس بن مرداس السلمي:
فقلنا أسلموا أنا أخوكم
يعني أنا إخوانكم. وقول الآخر:
يا عاذلاتي لا تردن ملامة
يعني لسن لي بأمراء.

وهذا في النعت بالمصدر مطرد كقول زهير:

متى يشترج قوم يقل سرواتهم
ولأجل مراعاة هذا لم يجمع في القرآن السمع والطرف والضيف لأن أصلها مصادر كقوله تعالى: **{حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ}** وقوله: **{لَا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ}** **{وَأَفِيدَتْ لَهُمُ هَؤُلَاءِ}** وقوله تعالى: **{يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ}** وقوله: **{إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي}** قوله تعالى: **{يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}** يتوهم معارضة مع قوله: **{حَيْثُ شِئْتُمَا}**.

والجواب: أن قوله: **{اسْكُنْ}** أمر بالسكنى لا بالسكون الذي هو ضد الحركة فالأمر باتخاذ الجنة مسكنا لا ينافي التحرك فيها وأكلهما من حيث شاءا.

قوله تعالى: **{وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا}** الآية. جاء في هذه الآية بصيغة خطاب الجمع في أفراد والجمع في شئ واحد: أن معنى ولا تكونوا أول كافر أي أول فريق كافر، فاللفظ مفرد والمعنى جمع فيجوز مراعاة كل منهما، وقد جمع اللغتين قول الشاعر:

فإذا هم طعموا فألأم طاعم
وقيل هو من إطلاق المفرد وإرادة الجمع كقول ابن علفة:

وكان بنو فزاره شر عم... كما تقدم قريبا
قوله تعالى: **{الَّذِينَ يَطْمَنُونَ أُنْفُسَهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ}** الآية. هذه الآية تدل بظاهرها على أن الطن يكفي في أمور المعاد، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: **{إِنَّ الطَّنَ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}** وكقوله: **{إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}**. ووجه الجمع أن الطن بمعنى اليقين، والعرب تطلق الطن بمعنى اليقين ومعنى الشك. وإتيان الطن بمعنى اليقين كثير في القرآن وفي كلام العرب. أمثلته في القرآن هذه الآية وقوله تعالى: **{قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أُنْفُسَهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ}** الآية. وقوله تعالى: **{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنْهُمْ مُوَاقِعُوهَا}** أي أيقنوا وقوله تعالى: **{إِنِّي طَمَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ}** أي أيقنت.

ونظيره من كلام العرب قول عميرة بن طارق:

واجعل مني الطن عيبا مرجما

بأن تغتزوا قومي وأقعد فيكم
أي اجعل مني اليقين غيبا.

وقول دريد بن الصمة:

سراتهم في الفارسي المسرد

فقلت لهم طنوا بألفي مدجج
فقلوه طنوا أي أيقنوا.

قوله تعالى لبني إسرائيل: **{وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}** لا يعارض قوله تعالى في تفصيل هذه الأمة: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}** الآية. لأن المراد بالعالمين عالموا زمانهم بدليل الآيات والأحاديث المصروفة بأن هذه الأمة أفضل منهم كحديث معاوية بن حيدة القشيري في المساند والسنن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله"** ألا ترى أن الله جعل المقتصد منهم هو أعلاهم منزلة حيث قال: **{مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ}**، وجعل في هذه الأمة درجة أعلى من درجة المقتصد وهي درجة السابق بالخيرات حيث قال تعالى: **{وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ}** الآية.

قوله تعالى: **{وَإِذْ تَخَيَّنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَشُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ}** الآية.

ظاهر هذه الآية الكريمة يدل على أن استحياء النساء من جملة العذاب الذي كان يسومهم فرعون. وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أن الإناث هبة من هبات الله لمن أعطاهن له وهي قوله تعالى: **{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ}** فبقاء بعض الأولاد على هذا خير من موتهم كلهم كما قال الهذلي:

خراش وبعض الشر أهون من بعض

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا

والجواب عن هذا أن الإناث وإن كن هبة من الله لمن أعطاهن له فبقاؤهن تحت يد العدو يفعل بهن ما يشاء من الفاحشة والعار ويستخدمهن في الأعمال الشاقة نوع من العذاب، وموتهن راحة من هذا العذاب وقد كان العرب يتمنون موت الإناث خوفا من مثل هذا. قال بعض شعراء العرب في ابنة له تسمى مودة:

مودة تهوى عمر شيخ يسره
يخاف عليها جفوة الناس بعده

لها الموت قبل الليل لوانها تدرى
ولا تخن يرحى أود من القبر

وقال الآخر:

والموت أكرم نزال على الحرم

تهوى حياتي وأهوى موتها شققا

وقال عقيل بن علفة المري لما خطبت عنه ابنته الجرباء:

إنني وإن سيق إلى المهر

عبد والفان وذود عشر

أحب اصهاري إلى القبر

وقال بعض الأدباء:

سروران مالهما ثالث

حياة البنين وموت البنات

وفي القرآن إشارة إلى أن الإنسان يسوءه إهانة ذريته الضعاف بعد موته في قوله تعالى: **{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ}** .

قوله تعالى: **{وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}**، هذه الآية الكريمة تدل على أن الله أكرم بني إسرائيل بنوعين من أنواع الطعام وهما المن والسلوى، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أنهم لم يكن عندهم الإطعام واحد، وهى قوله تعالى: **{وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى لَنْ نُصِِّرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ}**، وللجمع بينهما أوجه:

الأول-إن المن وهو الترنجين على قول الأكثرين من جنس الشراب والطعام الواحد هو السلوى، وهو على قول الأكثرين السماوي أو طائر يشبهه.

الوجه الثاني-إن المعجول على المائدة الواحدة تسميه العرب طعاما واحد وإن اختلفت أنواعه. ومنه قولهم: أكلنا طعام فلان، وإن كان أنواعا مختلفة. والذي يظهر أن هذا الوجه أصح من الأول لأن تفسير المن بخصوص الترنجين يردده الحديث المتفق عليه: **"الكُمأة من المن.."** الحديث. الثالث-أنهم سموه طعاما واحدا لأنه لا يتغير ولا يتبدل كل يوم، فهو مأكّل واحد وهو ظاهر.

قوله تعالى: **{أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا تَقْتُلُونَ}**.

هذه الآية تدل على أنهم قتلوا بعض الرسل، ونظيرها قوله تعالى: **{قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّى قُلْتُمْ قَلِمًا فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ}** الآية.

وقوله: **{كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ قَرِيقًا كَذَّبُوا وَقَرِيقًا يَقْتُلُونَ}** .

وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أن الرسل غالبون منصورون كقوله: **{كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلِي}**، وكقوله: **{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}**، وقوله تعالى: **{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ}** وبين تعالى أن هذا النصر في دار الدنيا أيضا كما في هذه الآية الأخيرة وكما في قوله: **{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}** الآية.

والذي يظهر في الجواب عن هذا أن الرسل قسمان: قسم أمروا بالقتال في سبيل الله، وقسم أمروا بالصبر والكف عن الناس، فالذين أمروا بالقتال وعدهم الله بالنصر والغلبة في الآيات المذكورة، والذين أمروا بالكف والصبر هم الذين قتلوا ليزيد الله رفع درجاتهم العلية بقتلهم مظلومين، وهذا الجمع مفهوم من الآيات لأن النصر والغلبة فيه الدلالة بالالتزام على جهاد ومقاتلة، ولا يرد على هذا الجمع قوله تعالى: **{وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيٍّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ}** الآية. أما على قراءة **{قَاتِلٍ}** بالبناء للمفعول فنائب الفاعل قوله: **{رِبِّيُونَ}** لا ضمير نبي وتطرق الاحتمال يرد الاستدلال، وأما على القول بأن غلبة الرسل ونصرهم بالحجة والبرهان فلا إشكال في الآية والله أعلم.

قوله تعالى: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ}** الآية. الاستفهام في هذه الآية إنكاري أظلم ممن منع مساجد الله. وقد جاءت آيات أخر يفهم منها خلاف هذا كقوله تعالى: **{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}** الآية. وقوله: **{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ}** وقوله: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ..}** الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

وللجمع بين هذه الآيات أوجه: منها- تخصيص كل موضع بمعنى صلته: أي مساجد الله- ولا أحد من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبا، وإذا تخصصت بصلاتها زال الإشكال. ومنها- أن التخصص بالنسبة إلى السابق، أي لما لم يسبقهم أحد إلى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكا طرقهم وهذا يؤول معناه إلى ما قبله، لأن المراد السابق إلى المانعية والافتراضية مثلا.

ومنها- وادعى أبوحيان أنه الصواب، هو ما حاصله أن نفي التفضيل لا يستلزم نفي المساواة، فلم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر لأنهم يتساوون في الأظلمية فيصير المعنى: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله ومن افترى على الله كذبا ومن كذب بآيات الله، ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية ولا يدل على أن أحدهم أظلم من الآخر كما إذا قلت لا أحد أفقه من فلان وفلان مثلا. ذكر هذين الوجهين صاحب الاتقان.

وما ذكره بعض المتأخرين من أن الاستفهام في قوله: ومن أظلم المقصود منه التهويل والتفطيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره كما ذكره عنه صاحب الاتقان يظهر ضعفه لأنه خلاف ظاهر القرآن. قوله تعالى: **{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}** الآية. أفرد في هذه الآية المشرق والمغرب وثناهما في سورة الرحمن في قوله: **{رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ}** وجمعهما في سورة سأل سائل في قوله: **{فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ}**، وجمع المشرق في سورة الصافات في قوله: **{رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبِّ الْمَشَارِقِ}**.

والجواب أن قوله هنا: **{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}** المراد به جنس المشرق والمغرب فهو صادق بكل مشرق من مشارق الشمس التي هي ثلاثمائة وستون، وكل مغرب من مغاربها التي هي كذلك كما روي عن ابن عباس وغيره.

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية ما نصه: "وإنما معنى ذلك ولله المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم فتأويله إذا كان ذلك معناه: ولله ما بين قطري المشرق وقطري المغرب إذا كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه إلى الحول الذي تعده وكذلك غروبها"، انتهى منه بلفظه. وقوله: **{رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ}** يعني كشرق الشتاء ومشرق الصيف ومغربها كما عليه الجمهور.

وقيل: مشرق الشمس والقمر ومغربهما، وقوله: **{بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ}** أي مشارق الشمس ومغاربها كما تقدم. وقيل مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{تَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَائِنُونَ}** عبر في هذه الآية بـ **{مَا}** الموصولة الدالة على غير العقلاء، ثم عبر في قوله: **{قَائِنُونَ}** بصيغة الجمع المذكور الخاص بالعقلاء.

ووجه الجمع: أن ما في السماوات والأرض من الخلق منه العاقل وغير العاقل، فغلب في الاسم الموصول غير العاقل، وغلب في صيغة الجمع العاقل، والنكتة في ذلك أنه قال: **{تَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** وجميع الخلائق بالنسبة لملك الله إياهم سواء عاقلهم وغيره، فالعاقل في ضعفه وعجزه بالنسبة إلى ملك الله كغير العاقل. ولما ذكر القنوت وهو الطاعة وكان أظهر في العقلاء من غيرهم عبر بما يدل على العقلاء تغليباً لهم.

قوله تعالى: **{قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}**. هذه الآية تدل بظاهرها على أن البيان خاص بالموقنين.

وقد جاءت آيات أخر تدل على أن البيان عام لجميع الناس كقوله تعالى: **{كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** وكقوله: **{هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ}**. ووجه الجمع أن البيان عام لجميع الخلق، إلا أنه لما كان الانتفاع به خاصا بالمتقين خص في هذه الآية بهم لأن ما لانفع فيه كالعدم. ونظيرها قوله تعالى: **{إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا}** وقوله: **{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْر}** الآية، مع أنه منذر للأسود والأحمر، وإنما خص الإنذار بمن يخشى ومن يتبع الذكر لأنه المنتفع به.

قوله تعالى: **{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ}** الآية. قوله تعالى في هذه الآية إلا لنعلم يوهم أنه لم يكن عالما بمن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه مع أنه تعالى عالم بكل شيء قبل وقوعه، فهو يعلم ما سيعمله الخلق كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله: **{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنْفُسَكُمْ}**، وقوله تعالى: **{وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ}**.

والجواب عن هذا أن معنى قوله تعالى إلا لنعلم علما يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي كونه عالما به قبل وقوعه، وقد أشار تعالى إلى أنه لا يستفيد بالاختبار علما جديدا لأنه عالم بما سيكون حيث قال تعالى: **{وَلِيَتَّبِعِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}**.

فقوله: **{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}** تعد قوله: **{لِيَتَّبِعِيَ}** دليل على أنه لا يفيد الاختبار علما لم يكن يعلمه سبحانه وتعالى عن ذلك بل هو تعالى عالم بكل ما سيعمله خلقه وعالم بكل شيء قبل وقوعه كما لا خلاف فيه بين المسلمين، لا يعزب عنه مثقال ذرة الآية. قوله تعالى: **{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُفْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَخْيَاءٌ}** الآية هذه الآيات تدل بظاهرها على أن الشهداء أحياء غير أموات، وقد قال في آية أخرى لمن هو أفضل من كل الشهداء صلى الله عليه وسلم: **{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}**.

والجواب عن هذا أن الشهداء يموتون الموتة الدنيوية فتورث أموالهم وتنكح نساءهم بإجماع المسلمين، وهذه الموتة التي أخبر الله نبيه أنه يموتها صلى الله عليه وسلم وقد ثبت في الصحيح عن صاحبه الصديق رضي الله عنه أنه قال لما توفي صلى الله عليه وسلم: "بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد متها" وقال: "من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات"، واستدل على ذلك بالقرآن ورجع إليه جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم التي ثبت في الحديث أنه يرد بها السلام على من سلم عليه فكلتاها حياة برزخية ليست معقولة لأهل الدنيا، أما في الشهداء فقد نص تعالى على ذلك بقوله: **{وَلَكِنْ لَا تَسْغُرُونَ}**، وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم: "تجعل أرواحهم في حواصل طيور خضر ترتع في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش فهم يتنعمون بذلك"، وأما ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من أنه لا يسلم عليه أحد إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وأن الله وكل ملائكته يبلغونه سلام أمته فإن تلك الحياة أيضا لا يعقل حقيقتها أهل الدنيا لأنها ثابتة له صلى الله عليه وسلم مع أن روحه الكريمة في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى فوق أرواح الشهداء فتعلق هذه الروح الطاهرة التي هي في أعلى عليين بهذا البدن الشريف الذي لا تأكله الأرض يعلم الله حقيقته ولا يعلمها الخلق كما قال في جنس ذلك **{وَلَكِنْ لَا تَسْغُرُونَ}** ولو كانت كالحياة التي يعرفها أهل الدنيا لما قال الصديق رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مات ولما جاز دفنه ولا نصب خليفة غيره ولا قتل عثمان ولا اختلف أصحابه ولا جرى على عائشة ما جرى ولسألوه عن الأحكام التي اختلفوا فيها بعده كالعول وميراث الجد والاختوة ونحو ذلك.

وإذا صرح القرآن بأن الشهداء أحياء في قوله تعالى بل أحياء، وصرح بأن هذه الحياة لا يعرف حقيقتها أهل الدنيا بقوله: **{وَلَكِنْ لَا تَسْغُرُونَ}**، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أثبت حياته في القبر بحيث يسمع السلام ويرده وأصحابه الذين دفنوه صلى الله عليه وسلم لا تشعر حواسهم بتلك الحياة عرفنا أنها حياة لا يعقلها أهل الدنيا أيضا، ومما يقرب هذا للذهن حياة النائم فإنه يخالف الحي في جميع التصرفات مع أنه يدرك الرؤيا ويعقل المعاني والله تعالى أعلم. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتاب الروح ما نصه: "ومعلوم بالضرورة أن جسده صلى الله عليه وسلم في الأرض طرى مطرا وقد سأل الصحابه: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرميت؟ فقال: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" ولو لم يكن جسده في ضريحه لما أجاب بهذا الجواب، وقد صرح عنه "إن الله وكل بقبيره ملائكة يبلغونه عن أمته السلام"، وصرح عنه أنه خرج بين أبي بكر وعمر وقال: "هكذا نبعث" هذا مع القطع بأن روحه الكريمة في الرفيق الأعلى في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء، وقد صرح عنه أنه رأى موسى يصلي في قبره ليلة الإسراء ورآه في السماء السادسة أو السابعة، فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر وإشراف عليه وتعلق به بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من يسلم عليه وهي في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين، فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان". انتهى محل الغرض من كلام ابن القيم بلفظه، وهو يدل على أن الحياة المذكورة غير معلومة الحقيقة لأهل الدنيا. قال تعالى: **{بَلْ أَخْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَسْغُرُونَ}** والعلم عند الله.

قوله تعالى: **{أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}**. هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن الكفار لا عقول لهم أصلا لأن قوله شيئا نكرة في سياق النفي فهي تدل على العموم وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الكفار لهم عقول يعقلون بها في الدنيا كقوله تعالى: **{وَرَيْنَ لَهُمِ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَبِرِينَ}**. والجواب أنهم يعقلون أمور الدنيا دون أمور الآخرة كما بينه تعالى بقوله: **{وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}**.

قوله تعالى: **{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ}** الآية. هذه الآية تدل بظاهرها على جميع أنواع الدم حرام، ومثلها قوله تعالى في سورة النحل: **{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ}** الآية، وقوله في سورة المائدة: **{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ}** الآية. وقد ذكر في آية أخرى ما يدل على أن الدم لا يجرم إلا إذا كان مسفوحا وهي قوله تعالى في سورة الأنعام: **{إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا}** الآية.

والجواب أن هذه المسألة من مسائل تعارض المطلق والمقيد والجاري على أصول مالك والشافعي وأحمد حمل المطلق على المقيد لا سيما مع اتحاد الحكم والسبب، كما هنا وسواء عندهم تأخر المطلق عن المقيد في سورة الأنعام وهي نزلت قبل النحل مع أنهما مكيان آيات معروفة، والدليل على أن الأنعام قبل النحل قوله تعالى في النحل: **{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ}** الآية، والمراد به ما قص عليه في الأنعام بقوله: **{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ}** الآية وأما كون الأنعام نزلت قبل البقرة والمائدة فواضح لأن الأنعام مكية بالإجماع والمائدة من آخر ما نزل من القرآن ولم ينسخ منها شيء لتأخرها، وعلى هذا فالدم إذا كان غير مسفوح كالحمرة التي تظهر في القدر من أثر تقطيع اللحم فهو ليس بحرام لحمل المطلق على المقيد وعلى هذا كثير من العلماء، وما ذكرنا من عدم النسخ في المائدة قال به جماعة وهو على القول بأن قوله تعالى: **{فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ}** الآية. وقوله: **{أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ}** غير منسوخين صحيح وعلى القول بنسخهما لا يصح على الإطلاق، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلُمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}** الآية.

هذه الآية تدل بظاهرها على أن الله لا يكلم الكفار يوم القيامة لأن قوله تعالى ولا يكلمهم فعل في سياق النفي، وقد تقرر في علم الأصول أن الفعل في سياق النفي من صيغ العموم وسواء كان الفعل متعديا أو لازما على التحقيق خلافا للغزالي القائل بعمومه في المتعدي دون اللازم خلاف الإمام أبي حنيفة رحمه الله في ذلك في حال لا في حقيقة لأنه يقول إن الفعل في سياق النفي ليس صيغة للعموم ولكنه يدل عليه بالالتزام أي لأنه يدل على نفي الحقيقة ونفيها يلزمه نفي جميع أفرادها وإيضاح عموم الفعل في سياق النفي أن الفعل ينحل عن مصدر وزمن عند النحويين وعن مصدر وزمن ونسبة عند البلاغيين، فالمصدر داخل في معناه إجماعا فالنفي الداخل على الفعل ينفي المصدر الكامن في الفعل فيؤول إلى معنى النكرة في سياق النفي ومن العجيب أن أبا حنيفة رحمه الله يوافق الجمهور على أن الفعل في سياق النفي أن أكد بمصدر نحو لا شربت تريا مثلا أفاد العموم مع أنه لا يوافق على إفادة النكرة في سياق النفي للعموم. وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الله يكلم الكفار يوم القيامة كقوله تعالى: **{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}** الآية.

والجواب عن هذا بأمرين:
الأول-وهو الحق: أن الكلام الذي نفى الله أنه يكلمهم به هو الكلام الذي فيه خير، وأما التوبيخ والتفريع والإهانة فكلام الله لهم به من جنس عذابه لهم ولم يقصد بالنفي في قوله: **{وَلَا يُكَلِّمُهُمُ}**.

الثاني: أنه لا يكلمهم أصلا وإنما تكلمهم الملائكة بإذنه وأمره.
قوله تعالى: **{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ}** هذه الآية تدل بظاهرها على أن القصاص أمر حتم لابد منه بدليل قوله تعالى كتب عليكم لأن معناه فرض وحتم عليكم مع أنه تعالى ذكر أيضا أن القصاص ليس بمتعين لأن ولي الدم بالخيار في قوله تعالى: **{فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ}** الآية. والجواب ظاهر وهو أن فرض القصاص إلزامه فيما إذا لم يعف أولياء الدم أو بعضهم، كما يشير إليه قوله تعالى: **{وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ}** الآية.

قوله تعالى: **{كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ}**. الآية.
هذه الآية تعارض آيات الموارث بضميمة بيان النبي صلى الله عليه وسلم لأن المقصود منها إبطال الوصية للوارثين منهم وذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث" والجواب ظاهر وهو أن آية الوصية هذه منسوخة بآيات الموارث والحديث المذكور بيان للناسخ وذهب بعض العلماء إلى أنها محكمة لا منسوخة وانتصر لهذا القول ابن حزم غاية الانتصار وعلى القول بأنها محكمة فهي من العام المخصوص فالوالدان والأقربون الذين يرثون والحديث وأما الوالدان اللذان لا ميراث لهما كالرقيقين، والأقارب الذين لا يرثون فتجب لهم الوصية على هذا القول ولكن مذهب الجمهور خلافة وحكى العبادي في الآيات البيئات الإجماع على أنها منسوخة مع أن جماعة من العلماء قالوا بعدم النسخ قال مقيد عفا الله عنه: التحقيق أن النسخ واقع فيها يقينا في البعض لأن الوصية للوالدين الوارثين والأقارب الوارثين رفع حكمها بعد تقرر إجماعا وذلك نسخ في البعض لا تخصيص قصر العام على بعض أفرادها لدليل، أما رفع حكم معين بعد تقرر فهو نسخ لا تخصيص كما هو ظاهر، وقد تقرر في علم الأصول إن التخصيص بعد العمل بالعام نسخ وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود:

نسخ والغير مخصصا جلي

وإن أتى ما خص بعد العمل والله تعالى أعلم..

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب

المدرس بالجامعة

قوله تعالى: **{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ}** هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن القادر على صوم رمضان مخير بين الصوم والإطعام، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على تعيين وجوب الصوم وهي قوله تعالى: **{فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}** الآية.

والجواب عن هذا بأمرين:

أحدهما: وهو الحق، أن قوله: **{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ}** منسوخ بقوله: **{فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}**.

الثاني: أن معنى يطيقونه: لا يطيقونه، بتقدير (لا) النافية، وعليه فتكون الآية محكمة، ويكون وجوب الإطعام على العاجز على الصوم كالهرم والزمن، واستدل لهذا القول بقراءة بعض الصحابة بطوقونه (يفتح الياء وتشديد الطاء والواو المفتوحين) بمعنى: يتكلفونه مع عجزهم عنه، وعلى هذا القول فيجب على الهرم ونحوه الفدية، وهو اختيار البخاري مستدلاً بفعل أنس بن مالك رضي الله عنه.

قوله تعالى: **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا}** الآية، هذه الآية تدل بظاهرها على أنهم لم يؤمروا بقتال الكفار إلا إذا قاتلوهم، وقد جاءت آيات أخر تدل على وجوب قتال الكفار مطلقاً؛ قاتلوا أم لا، كقوله تعالى: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}**، وقوله: **{فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْبِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ}**، وقوله تعالى: **{ثُمَّ اقْتُلُواهُمْ أَوْ يُسْلِمُوا}**.

والجواب عن هذه بأمور:

الأول: - وهو من أحسنها وأقربها - أن المراد بقوله: **{الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}** تهيج المسلمين، وتحريضهم على قتال الكفار، فكأنه يقول لهم: هؤلاء الذين أمرتكم بقتالهم هم خصومكم وأعداؤكم الذين يقاتلونكم، وبدل لهذا المعنى قوله تعالى: **{وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً}**، وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

الوجه الثاني: أنها منسوخة بقوله تعالى: **{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}**، وهذا من جهة النظر ظاهر حسن جداً، وإيضاح ذلك أن من حكمة الله البالغة في التشريع أنه إذا أراد تشريع أمر عظيم على النفوس ربما يشرعه تدريجياً لتخف صعوبته بالتدرج، فالخمر مثلاً لما كان تركها شاقاً على النفوس التي اعتادتها ذكر أولاً بعض معانيها بقوله: **{قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ}**، ثم يعد ذلك حرماً في وقت دون وقت كما دل عليه قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى}** الآية، ثم لما استأنست النفوس بتحريمها في الجملة حرّمها تحريماً باتاً بقوله: **{رَخْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**، وكذلك الصوم لما كان شاقاً على النفوس شرعه أولاً على سبيل التخيير بينه وبين الإطعام، ثم رغب في الصوم مع التخيير بقوله: **{وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ}**، ثم لما استأنست به النفوس أوجبها إجباراً بقوله تعالى: **{فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}**، وكذلك القتال على هذا القول لما كان شاقاً على النفوس أذن فيه أولاً من غير إيجاب بقوله: **{أَيُّدٍ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ}** الآية، ثم أوجب عليهم قتال من قاتلهم بقوله: **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ}**، ثم لما استأنست نفوسهم بالقتال أوجب عليهم إجباراً عاماً بقوله: **{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ}** الآية.

الوجه الثالث: وهو اختيار بن جرير، ويظهر لي أنه الصواب: أن الآية محكمة، وأن معناها: قاتلوا الذين يقاتلونكم أي من شأنهم أن يقاتلوكم، أما الكافر الذي ليس من شأنه القتال كالنساء، والذري، والشيوخ، والفانية، والرهبان، وأصحاب الصوامع، ومن ألقى إليكم السلم، فلا تعتدوا بقتالهم؛ لأنهم لا يقاتلونكم، وبدل لهذا الأحاديث المصرحة بالنهي عن قتال الصبي، وأصحاب الصوامع، والمرأة، والشيوخ الهرم إذا لم يستعن برأيه، أما صاحب الرأي فيقتل كدريد بن الصمة، وقد فسر هذه الآية بهذا المعنى عمر بن العزيز رضي الله عنه وابن عباس والجنس البصري.

قوله تعالى: **{فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}** الآية، هذه الآية تدل على طلب الانتقام، وقد أذن الله في الانتقام في آيات كثيرة كقوله تعالى: **{وَلَمَنْ ائْتَصَرَ بِغَدٍ ظَلَمَهُ فَأُولَئِكَ مِمَّا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ}**، **{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ}** الآية، وكقوله: **{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ}**، وكقوله: **{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ}** الآية، وقوله: **{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ}**، وقوله: **{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا}**، وقد جاءت آيات أخر تدل على العفو وترك الانتقام كقوله: **{فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}**، وقوله: **{وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}**، وقوله: **{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}**، وقوله: **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}**، وكقوله: **{وَإِذَا خَاطَبْتَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}**. والجواب عن هذا بأمرين:

أحدهما: أن الله بين مشروعية الانتقام ثم أرشد إلى أفضلية العفو، وبدل لهذا قوله تعالى:

{وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، وقوله: **{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ}**، أذن في الانتقام بقوله: **{إِلَّا مَنْ ظَلَمَ}**، ثم أرشد إلى العفو بقوله: **{إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}**

الوجه الثاني: أن الانتقام له موضع يحسن فيه، والعفو له موضع كذلك، وإيضاحه أن من المظالم ما يكون في الصبر عليه انتهاك حرمة الله، ألا ترى أن من غصبت منه جاريته مثلاً إذا كان الغاصب يزني بها فسكوته وعفوه عن هذه المظلمة قبيح وضعف وخور، تنتهك به حرمة الله، فالانتقام في مثل هذه الحالة واجب، وعليه يحمل الأمر **{فَاعْتَدُوا}** الآية، أي كما بدأ الكفار بالقتال فقتالهم واجب، بخلاف من أساء إليه بعض إخوانه من المسلمين بكلام قبيح، ونحو ذلك فعفوه أحسن وأفضل، وقد قال أبو الطيب المتنبي:

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل
قوله تعالى: **{وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}**
هذه الآية الكريمة تدل على أن الردة لا تحبط العمل إلا بقيد الموت على الكفر بدليل قوله: **{فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ}**، وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الردة تحبط العمل مطلقاً ولو رجع إلى الإسلام؛ فكل ما عمل قبل الردة أحبطته الردة كقوله تعالى: **{وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ}** الآية، وقوله: **{لَنْ أَسْرُكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ}** الآية، وقوله: **{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**.

والجواب عن هذا أن هذه من مسائل التعارض المطلق والمقيد، فيحمل المطلق على المقيد، فتقيد آيات المطلقة بالموت على الكفر، وهذا مقتضى الأصول، وعليه الإمام الشافعي ومن وافقه، وخالف مالك في هذه المسألة، وقدم آيات الإطلاق، وقول الشافعي في هذه المسألة أجرى على الأصول، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرَكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ}** الآية، هذه الآية تدل بظاهرها على تحريم نكاح كل كافرة، ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: **{وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ}**، وقد جاءت آية أخرى تدل على جواز نكاح بعض الكافرات؛ وهنّ الحرائر الكتابيات، وهي قوله تعالى: **{وَوَطْعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَكُمْ وَطْعَامُكُمْ جَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}**.

والجواب أن هذه الآية الكريمة تخص قوله: **{وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرَكَاتِ}** أي ما لم يكن كتابيات بدليل قوله: **{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}**، وحكى ابن جرير الإجماع على هذا، وأما ما روي عن عمر من إنكاره على طلحة تزويج يهودية، وعلى حذيفة تزويج نصرانية؛ فإنه إنما كره نكاح الكتابيات لئلا يزهّد الناس في المسلمات، أو لغير ذلك من المعاني، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: **{وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}** الآية، هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن كل مطلقة تعتد بالأقراء، وقد جاء في آيات أخر أن بعض المطلقات يعتد بغير الأقراء؛ كالعائز والصغائر المنصوص عليها بقوله: **{وَاللَّائِي يَنْشُرْنَ مِنَ الْحَبِصِ}** إلى قوله: **{وَاللَّائِي لَمْ يَحْصُنْ}**، وكالحوامل المنصوص عليها بقوله: **{وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}** على أنه جاء في آية أخرى أن بعض المطلقات لا عدة عليهنّ أصلاً، وهنّ المطلقات قبل الدخول، وهي قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا}** الآية، والجواب عن هذا ظاهر وهو: أن آية (المطلقات) عامة، وهذه الآيات المذكورة أخص منها، فهي مخصصة لها، فهي إذا من العام المخصوص.

قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}**، هذه الآية يظهر تعارضها مع قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْخَوْلِ عِزْرًا}**، والجواب ظاهر وهو أن الأولى ناسخة لهذه، وإن كانت قبلها في المصحف؛ لأنها متأخرة عنها في النزول، وليس في القرآن آية هي الأولى في المصحف وهي ناسخة لآية بعدها إلا في موضعين؛ أحدهما: هذا الموضع، الثاني: آية **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَعْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ}** هي الأولى في المصحف، وهي ناسخة لقوله: **{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ}** الآية؛ لأنها تقدمت في المصحف فهي متأخرة في النزول، وهذا على القول بالنسخ، ويأتي إن شاء الله تحرير المقام في سورة الأحزاب.

قال تعالى: **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}** هذه الآية تدل بظاهرها على أنه لا يكره أحد على الدخول في الدين، ونظيرها قوله تعالى: **{أَقَانَتْ نُكْرَةُ النَّاسِ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}**، وقوله تعالى: **{فَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا غَلِيظًا مِنْ نَارِ السَّيْفِ فَخِطَلَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ}**، وقد جاء في آيات كثيرة ما يدل على إكراه الكفار على الدخول في الإسلام بالسيف كقوله تعالى: **{ثُمَّ قَاتِلْهُمْ أَتُوبُوا}**، وقوله: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}** أي الشرك، ويدل لهذا التفسير الحديث الصحيح: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله" الحديث، والجواب عن هذا بأمرين:

الأول - وهو الأصح -: أن هذه الآية في خصوص أهل الكتاب، والمعنى أنهم قبل نزول قتالهم لا يكرهون على الدين مطلقاً، وبعد نزول قتالهم لا يكرهون عليه إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، والدليل على خصوصها بهم ما رواه أبو داود وابن أبي حاتم والنسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّد، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: "لا ندع أبناءنا"، فأنزل الله: **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}**، المقلاة التي لا يعيش لها ولد، وفي المثل: "أحر من دمع المقلاة"، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه قال "نزلت **{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}** في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: (الحصين)، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلماً، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: "ألا استكرههما فإنهما أبيا إلا النصرانية؟"، فأنزل الله الآية"، وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير سأل أبو بشر عن هذه

الآية؟ فقال: نزلت في الأنصار، قال: خاصة؟ قال: خاصة"، وأخرج ابن جرير عن قتادة بإسنادين في قوله: **{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ }** قال: أكره عليه هذا الحي من العرب؛ لأنهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه فلم يقبل منهم غير الإسلام، ولا يكره عليه أهل الكتاب إذا أقرّوا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلّو سبيلهم" وأخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله: **{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ }** قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان فلم يقبل منهم إلا لا إله إلا الله أو السيف، ثم أمر فممن سواهم أن يقبلوا منهم الجزية فقال: **{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }**، وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أيضا في قوله: **{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ }**، قال: "وذلك لما دخل الناس في الإسلام، وأعطى أهل الكتاب الجزية"، فهذه النقول تدل على خصوصها بأهل الكتاب المعطين الجزية، ومن في حكمهم، ولا يرد على هذا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأن التخصيص فيها عرف بنقل عن علماء التفسير لا بمطلق خصوص السبب، ومما يدل للخصوص أنه ثبت في الصحيح: "عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل".

الأمر الثاني: أنها منسوخة بآيات القتال كقوله: **{ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ }** الآية، ومعلوم أن سورة البقرة من أول ما نزل بالمدينة، وسورة براءة من آخر ما نزل بها، والقول بالنسخ مروى عن ابن مسعود، وزيد بن أسلم، وعلى كل حال فآيات السيف نزلت بعد نزول السورة التي فيها **{ لَا إِكْرَاهَ }** الآية، والمتأخر أولى من المتقدم، والعلم عند الله تعالى. قوله تعالى: **{ وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ }** الآية، هذه الآية تدل بظاهرها على أن الوسوسة وخواطر القلوب يؤاخذ بها الإنسان مع أنه لا قدرة له على دفعها، وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الإنسان لا يكلف إلا بما يطيق كقوله تعالى: **{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }**، وقوله: **{ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا اسْتَطِيعْتُمْ }**، والجواب أن آية: **{ إِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ }** منسوخة بقوله: **{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }**.

سورة آل عمران.

قوله تعالى: **{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ }** الآية، هذه الآية الكريمة تدل على أن من القرآن محكما ومنه متشابه، وقد جاءت آية أخرى تدل على أن كله محكم، وآية تدل على أن كله متشابه، أما التي تدل على إحكامه كله قوله تعالى: **{ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }**، وأما التي تدل على أن كله متشابه قوله تعالى: **{ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي }**، ووجه الجمع بين الآيات أن معنى كونه كله محكما أنه في غاية الإحكام أي الإتقان في ناحية ألفاظه ومعانيه وإعجازه أخباره صدق، وأحكامه عدل، لا تعتربه وصمة ولا عيب في الألفاظ، ولا في المعاني، ومعنى كونه متشابه أن آياته يشبه بعضها بعضا في الحسن والصدق والإعجاز والسلامة من جميع العيوب ومعنى كونه بعضه محكما وبعضه متشابه أن المحكم منه الواضح المعنى لكل الناس كقوله: **{ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّثَى }**، **{ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ }**، والمتشابه: هو ما خفي علمه على غير الراسخين في العلم بناء على أن الواو في قوله تعالى: **{ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }** عاطفة، أو هو ما استأثر الله بعلمه كمعاني الحروف المقطعة في أوائل السور بناء على أن الواو في قوله تعالى: **{ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }** استئنافية لا عاطفة.

قوله تعالى: **{ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ }** الآية، هذه الآية الكريمة توهم أن اتخاذ الكفار أولياء إذا لم يكن من دون المؤمنين لا بأس به بدليل قوله **{ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ }**، وقد جاءت آيات أخر تدل على منع اتخاذهم أولياء مطلقا كقوله تعالى: **{ وَلَا يَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَاءَ وَلَا نَصِيرًا }**، وكقوله: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُرُوءًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ .. }** الآية، والجواب عن هذا: أن قوله **{ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ }** لا مفهوم له، وقد تقرر في علم الأصول أن دليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة له موانع تمنع اعتباره، منها كون تخصيص المنطوق بالذكر لأجل موافقته للواقع كما في هذه الآية؛ لأنها نزلت في قوم وآلوا اليهود دون المؤمنين، فنزلت ناهية عن الصورة الواقعة من غير قصد التخصيص بها، بل موالاة الكفار حرام مطلقا، والعلم عند الله.

وقوله تعالى: { هَتَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } هذه الآية تدل على أن زكريا - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - ليس له شك في قدرة الله على أن يرزقه الولد على ما كان منه من كبر السن، وقد جاء في آية أخرى ما يوهم خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **{ قَالَ رَبِّ إِنِّي بَعَثْتُ رَجُلًا وَمِنْهُنَّ نِسَاءٌ وَأَمْرًا مُبِينًا }** الآية. والجواب عن هذا بأمور:

الأول: ما أخرجه ابن جرير عن عكرمة والسدي من أن زكريا نادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب: أن الله يبشرك بيحي، قال له الشيطان: ليس هذا نداء الملائكة، وإنما هو نداء الشيطان فداخل زكريا الشك في أن النداء من الشيطان، فقال عند ذلك الشك الناشئ عن وسوسة الشيطان قبل أن يتيقن أنه من الله **{ أَتَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ }**، ولذا طلب الآية من الله على ذلك بقوله: **{ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً }** الآية.

الثاني: أن استفهامه استفهام استعلام واستخبار؛ لأنه لا يدري هل الله يأتيه بالولد من زوجه العجوز أو بامرئه أن يتزوج شابة أو يردهما شابين؟.

الثالث: أنه استفهام استعظام وتعجب من كمال قدرة الله تعالى، والله تعالى أعلم. قوله تعالى: **{ أَتَى أَلْخُلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ }** الآية، هذه الآية يوهم بظاهرها أن بعض المخلوقين ربما خلق بعضهم، ونظيرها قوله تعالى: **{ وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ }** الآية، وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الله خالق كل شيء كقوله تعالى: **{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ }**، وقوله: **{ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ }** إلى غير ذلك من الآيات. والجواب ظاهر وهو معنى خلق عيسى كهية الطير من الطين: هو أخذه شيئا من الطين وجعله على هيئة أي صورة الطير، وليس المراد

الخلق الحقيقي؛ لأن الله متفرد به - جل وعلا - . وقوله: **{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}** معناه: تكذبون، فلا منافاة بين الآيات كما هو ظاهر.

قوله تعالى: **{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}** الآية، هذه الآية الكريمة يتوهم من ظاهرها وفاة عيسى عليه السلام وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على خلاف ذلك كقوله: **{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ}**، وقوله: **{وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}** الآية على ما فسرهما به ابن عباس في إحدى الروايتين، وأبو مالك والحسين وقتادة وابن زيد وأبو هريرة، ودلت على صدقه الأحاديث المتواترة، واختاره ابن جرير، وجزم ابن كثير أنه الحق من أن قوله: **{قَبْلَ مَوْتِهِ}** أي موت عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:

الأول: أن قوله تعالى: **{مُتَوَفِّيكَ}** لا يدل على تعيين الوقت، ولا يدل على كونه قد مضى، وهو مُتَوَفِّيهِ قطعاً يوماً ما، ولكن لا دليل على أن ذلك اليوم قد مضى، وأما عطفه **{وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}** على قوله: **{مُتَوَفِّيكَ}** فلا دليل عليه لإطباق جمهور اللسان العربي على أن الواو لا تقتضي الترتيب ولا الجمع، وإنما تقتضي مطلق التشريك، وقد ادعى السيرافي والسهيلي إجماع النحاة على ذلك، وعزاه الأكثر للمحققين، وهو الحق، خلافاً لما قاله قطرب والفراء ونعلب وأبو عمر والزاهد وهشام والشافعي من أنها تفيد الترتيب لكثرة استعمالها فيه، وقد أنكر السيرافي ثبوت هذا القول عن الفراء وقال: لم أجده في كتابه. وقال ولي الدين: أنكر أصحابنا نسبة هذا القول إلى الشافعي، حكاه عنه صاحب (الضياء اللامع) وقوله صلى الله عليه وسلم: "أبدأ بما بدأ الله به" يعني الصفا، لا دليل عليه على اقتضاها الترتيب، ويبان ذلك هو ما قاله الفهري كما ذكر عنه صاحب الضياء اللامع وهو أنها كما أنها لا تقتضي الترتيب ولا المعية، فكذلك لا تقتضي المنع منهما فقد يكون العطف بها مع قصد الاهتمام بالأول كقوله: **{إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}** الآية بدليل الحديث المتقدم. وقد يكون المعطوف بها مرتباً كقول حسان: (هجوت محمد وأجبت عنه) علي رواية الواو، وقد يراد بها المعية كقوله: **{فَأَتَجَنَّبَا وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ}**، وقوله: **{وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}**، ولكن لا تحمل على الترتيب ولا على المعية إلا بدليل منفصل.

الوجه الثاني: أن معنى **{مُتَوَفِّيكَ}** أي منيمك ورافعك إلي أي في تلك النومة، وقد جاء في القرآن إطلاق الوفاة على النوم في قوله: **{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ}**، وقوله: **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا}**، وعزا ابن كثير هذا القول للأكرين، واستدل بالآيتين المذكورتين وقوله صلى الله عليه وسلم: "الحمد لله الذي أحياناً بعدما أماتنا.." الحديث.

الوجه الثالث: أن **{مُتَوَفِّيكَ}** اسم فاعل توفاه إذا قبضه وحازره إليه ومنه قولهم: "توفى فلان دينه" إذا قبضه إليه.. فيكون معنى **{مُتَوَفِّيكَ}** على هذا فابضك منهم إلي حيا، وهذا القول هو اختيار ابن جرير. وأما الجمع بأنه توفاه ساعات أو أياماً ثم أحياه فالظاهر أنه من الإسرائيليات، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تصديقها وتكذيبها.

قوله تعالى: **{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ خَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** الآية.

هذه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن تدل على أن إبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - لم يكن مشركاً يوماً؛ لأن نفي الكون الماضي في قوله: **{وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** يدل على استغراق النفي لجميع الزمن الماضي كما دل عليه قوله تعالى: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ..}** الآية، وقد جاء في موضع آخر ما يوهم خلاف ذلك وهو قوله: **{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي .. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي .. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْثَرُ ..}** الآية، ومن ظن ربوبية غير الله فهو مشرك بالله كما دل عليه قول الله تعالى عن الكفار: **{وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الطُّغْيَانَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}**، والجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أنه مناظر لا ناظر ومقصوده التسليم الجدلي: أي هذا ربي على زعمكم الباطل، والمناظر قد يسلم المقدمة الباطلة تسليماً جدياً ليفحم بذلك خصمه، فلو قال لهم إبراهيم في أول الأمر: الكوكب مخلوق لا يمكن أن يكون ربا، لقالوا له: كذبت، بل الكوكب رب، ومما يدل لكونه مناظراً لا ناظراً قوله تعالى: **{وَجَاةُ قَوْمِهِ ..}** استدلل به بن جرير على أنه غير مناظر من قوله تعالى: **{لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}** لا دليل فيه على التحقيق؛ لأن الرسل يقولون مثل ذلك تواضعاً وإظهاراً لإلتجائهم إلى الله كقول إبراهيم: **{وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}**، وقوله هو وإسماعيل: **{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ}** الآية.

الوجه الثاني: أن الكلام على حذف همزة الاستفهام أي: أهذا ربي؟ وقد تقرر في علم النحو أن حذف همزة الاستفهام إذا دلّ المقام عليها جائز، وهو قياسي عند الأخفش مع (أم) ودونها، ذكر الجواب أم لا، فمن أمثله دون (أم) ودون ذكر الجواب قول الكمي:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب

يعني أو ذو الشيب يلعب؟ وقول أبي خراش الهذلي واسمه بن خويلد

رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع

يعني أحم هم كما هو الصحيح، وجزم به الألويسي في تفسيره، وذكره ابن جرير عن جماعة، ويدل

له قوله: "وأنكرت الوجوه"، ومن أمثله دون (أم) مع ذكر الجواب قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا

يعني: أنحبها على القول الصحيح، وهو مع (أم) كثير جداً، ومن أمثله قول الأسود بن يعفر

التميمي وأنشده سيبويه لذلك:

شعيت بن سهم أو شعيت بن منقر

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا

يعني أشعيت بن سهم ؟ وقول بن أبي ربيعة المخزومي:

وكف خضيب زينب بستان

بسبع رميت الجمر أم بثمان

يعني أبسبع ؟ وقول الأخطل:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط

يعني أكذبتك عينك ؟ كما نصّ سيبويه على جواز ذلك في بيت الأخطل، هذا وإن خالف الخليل زاعما

أنّ (كذبتك) صيغة خبرية، وأنّ (أم) بمعنى (بل) ففي البيت على قول الخليل نوع من أنواع البديع المعنوي يسمى بالرجوع عند البلاغيين، وقول الخنساء:

قذى بعينيك أم بالعين عوار

تعني أقذى بعينيك ؟ وقول أحيحة بن الجلاح الأنصاري:

وما تدري وإن ذمرت سقيا

يعني الغيرك ؟ وقول امرئ القيس:

تروح من الحي أم تبتكر

يعني أتروح ؟

وعلى هذا القول فقرينة الاستفهام المحذوف علو مقام إبراهيم عن ظن ربوبية غير الله، وشهادة

القرآن له بالبراءة من ذلك، والآية على هذا القول تشبه قراءة بن محيصن: (سواء عليهم أنذرتهم)،

ونظيرها على هذا القول قوله تعالى: **{ أَفَأَنْ مِّنْهُمْ الْخَالِدُونَ }**، وقوله تعالى: **{ وَنَلَّكَ نِعْمَةً }**

{ تَمُنُّهَا } على أحد القولين، وقوله: **{ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ }** على أحد القولين.

وما ذكره بعض العلماء غير هذين الوجهين فهو راجع إليهما كالقول بإضمار القول أي يقول الكفار:

هذا ربي، فإنه راجع إلى الوجه الأول، وما ذكره عن ابن إسحاق واختاره ابن جرير الطبري ونقله عن ابن

عباس من أنّ إبراهيم كان ناظراً يظنّ ربوبية الكوكب فهو ظاهر الضعف؛ لأن نصوص القرآن تردده كقوله:

{ وَلَكِنْ كَانَ خِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }، وقوله تعالى: **{ ثُمَّ أَوْخَيْتَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ }**

مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَافِئاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }، وقوله: **{ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ }**،

وقد بين المحقق ابن كثير في تفسيره رد ما ذكره بن جرير بهذه النصوص القرآنية وأمثالها، والأحاديث

الدالة على مقتضاها كقوله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة" الحديث .

قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَّنْ نُّقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ }

هُمُ الضَّالُّونَ } هذه الآية الكريمة تدل على أن المرتدين بعد إيمانهم المزدادين كفرا لا يقبل الله توبتهم

إذا تابوا؛ لأنه عبّر بـ (لن) الدالة على نفي الفعل في المستقبل، مع أنه جاءت آيات أخر دالة على أن الله

يقبل توبة كل تائب قبل حضور الموت، وقبل طلوع الشمس من مغربها، كقوله تعالى: **{ قُلْ لِلَّذِينَ }**

كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ }، وقوله: **{ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ }**، وقوله:

{ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ }، فإنه يدل بمفهومه

على أن التوبة قبل إتيان بعض الآيات مقبولة من كل تائب، وصرح تعالى بدخول المرتدين في قبول التوبة

قبل هذه الآية مباشرة في قوله تعالى: {كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول

حقّ .. إلى قوله: {إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم} فالاستثناء في قوله: {إلا

الذين تابوا} راجع إلى المرتدين بعد الإيمان المستحقين للعذاب واللجنة إن لم يتوبوا، ويدل له قوله تعالى:

{ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر} الآية؛ لأن مفهومه أنه إذا تاب قبل الموت قبلت توبته مطلقاً.

والجواب من أربعة أوجه:

الأول: وهو اختيار ابن جرير ونقله عن رفيع بن العالية أن المعنى: إنّ الذين كفروا من اليهود

بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به قيل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بما أصابوا من الذنوب في كفرهم

لن تقبل توبتهم من الذنوب التي أصابوها في كفرهم، ويدل على هذا الوجه قوله تعالى: {وأولئك هم

الضالون}؛ لأنه يدل على أن توبتهم مع بقائهم على ارتكاب الضلال وعدم قبولها حينئذ ظاهر .

الثاني: وهو أقربها عندي أن قوله تعالى: {لن تقبل توبتهم} يعني إذا تابوا عند حضور الموت،

ويدل لهذا الوجه أمران:

الأول: أنه تعالى بيّن في مواضع أخرى أنّ الكافر الذي لا تقبل توبته هو الذي يصر على

الكفر حتى يحضره الموت في ذلك الوقت كقوله تعالى: {وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا

حضر أحدهم الموت قال: إنّي تبت الآن، ولا الذين يموتون وهم كفار}، فجعل التائب عند حضور الموت

والميت على كفره سواء، وقوله تعالى: {فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا} الآية، وقوله في فرعون:

{الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين}. فالإطلاق الذي في هذه الآية يقيد بقيد تأخير التوبة إلى

حضور الموت لوجوب حمل المطلق على المقيد كما تقرر في الأصول.

الثاني: أنه تعالى أشار إلى ذلك بقوله: {ثم ازدادوا كفرا} فإنه يدل على عدم توبتهم في

وقت نفعها، ونقل ابن جرير هذا الوجه الثاني - الذي هو التقيد بحضور الموت - عن الحسن وقتادة وعطاء

الخراساني والسدي.

الثالث: أن المعنى {لن تقبل توبتهم} أي إيمانهم الأول لبطلانه بالردة بعد، وهذا القول خرج ابن

جرير عن ابن جريح، ولا يخفى ضعف هذا القول وبعده عن ظاهر القرآن.

الرابع: أن المراد بقوله: {لن تقبل توبتهم} أنهم لم يوفقوا للتوبة النصوح حتى تقبل منهم، ويدل

لهذا الوجه قوله تعالى: {إنّ الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم

سبيلاً}، فإنّ قوله تعالى: {ولا ليهديهم سبيلاً} يدل على {إنّ الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم

ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم}، وكقوله: {إن الذين حَقَّتْ عليهم كلمة ربك لا يؤمنون} الآية، ونظير الآية على هذا القول قوله تعالى: {فما تنفعهم شفاعة الشافعين} أي لا شفاعة لهم أصلا حتى تنفعهم، وقوله تعالى: {ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به} الآية؛ لأن الإله الآخر لا يمكن وجوده أصلا حتى يقوم عليه برهان أو لا يوم عليه.

قال مقبده - عفا الله عنه -: مثل هذا الوجه الأخير هو المعروف عند النظار بقولهم: "السالبة لا تقتضي وجود الموضوع" وإيضاحه أن القضية السالبة عندهم صادقة في صورتين؛ لأن المقصود منها عدم اتصاف الموضوع بالمحمول، وعدم اتصافه به يتحقق في صورتين: الأولى: أن يكون الموضوع موجودا إلا أن المحمول منتف عنه، كقولك: "ليس الإنسان بحجر" فالإنسان موجود والحجرة منتفية عنه.

والثانية: أن يكون الموضوع من أصله معدوما؛ لأنه إذا عدم تحقق عدم اتصافه بالمحمول الوجودي - لأن العدم لا يتصف بالوجود كقولك لا نظير لله يستحق العبادة - فإن الموضوع الذي هو نظير لله مستحيل من أصله، وإذا تحقق عدمه تحقق انتفاء اتصافه باستحقاق العبادة ضرورة. وهذا النوع من أساليب اللغة العربية، ومن شواهد قول امرؤ القيس: على لا حب لا يهتدي بمناره

إذا سافه العود النباطي جرجرا

لأن المعنى: على لا حب لا منار له أصلا حتى يهتدى به، وقول الآخر: لا تفرع الأرنب أهوالها

و لا ترى الضب بها ينحجر

لأنه يصف فلاة بأنها ليس فيها أرانب ولا ضباب حتى تفرع أهوالها أو ينحجر فيها الضب أي يدخل الجحر أو يتخذ. وقد أوضحت مسألة (أن السالبة لا تقتضي وجود الموضوع) في أرجوزتي في المنطق، في مبحث (انحراف السور)، وأوضحت فيها أيضا في مبحث (التحصيل والعدول) أن من الموجبات ما لا يقتضي وجود الموضوع نحو: (بحر من زئبق) ممكن والمستحيل معدوم؛ فإنها موجبتان، وموضوع كل منهما معدوم. وحررنا هناك التفصيل فيما يقتضي وجود الموضوع وما لا يقتضيه. وهذا الذي قررنا من أن المرتد إذا تاب قبلت توبته ولو بعد تكرار الردة ثلاث مرات أو أكثر، لا منافاة بينه وبين ما قاله جماعة من العلماء من الأربعة وغيرهم، وهو مروي عن علي بن عباس رضي الله عنهما من أن المرتد إذا تكرر منه ذلك يقتل ولا تقبل توبته، واستدل بعضهم على ذلك بهذه الآية؛ لأن هذا الخلاف في تحقيق المناط لا في نفس المناط، والمتناظران قد يختلفان في تحقيق المناط مع اتفاقهما على أصل المناط، وإيضاحه أن المناط مكان النوط وهو التعليق، ومنه قول حسان رضي الله عنه: وأنت زئيم نيط في آل هاشم

كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

و المراد به: مكان تعليق الحكم وهو العلة، فالمناط والعلة مترادفان إصطلاحا، إلا أنه غلب التعبير بلفظ المناط في المسلك الخامس من مسالك العلة الذي هو المناسبة والإخالة؛ فإنه يسمى تخرج المناط، وكذلك في المسك التاسع الذي هو تنقيح المناط، فتخرج المناط: هو استخراج العلة بمسلك المناسبة والإخالة، وتنقيح المناط: هو تصفية العلة وتهذيبها حتى لا يخرج شيء غير صالح لها، ولا يدخل شيء غير صالح لها كما هو معلوم في محله، وأما تحقيق المناط - وهو الغرض هنا - فهو: أن يكون مناط الحكم متفق عليه بين الخصمين، إلا أن أحدهما يقول: هو موجود في هذا الفرع، والثاني: يقول: لا، ومثاله: الاختلاف في قطع النباش؛ فإن أبا حنيفة رحمه الله تعالى يوافق الجمهور على أن السرقة مناط القطع، ولكنه يقول: لم يتحقق المناط في النباش؛ لأنه غير سارق، بل هو أخذ مال عارض للضياع كالمثلث من غير حرز.

فإذا حققت ذلك، فاعلم أن مراد القائلين: لا تقبل توبته أن أفعاله دالة على خبث نيته وفساد عقيدته، وأنه ليس ثابئا في الباطن توبة نصوح، فهم موافقون على أن التوبة النصوح مناط القبول كما ذكرنا، ولكن يقولون: أفعال هذا الخبيث دلت على عدم تحقيق المناط فيه، ومن هنا اختلفت العلماء في توبة الزنديق المستتر بالكفر، فمن قائل: لا تقبل توبته، ومن قائل: تقبل، ومن مفرق بين إثباته ثابئا قبل الإطلاع عليه وبين الإطلاع على نفاقه قبل التوبة، كما هو معروف في فروع المذاهب الأربعة؛ لأن الذين يقولون: يقتل ولا تقبل توبته يرون أن نفاقه الباطن دليل على أن توبته تقيّة لا حقيقة، واستدلوا بقوله تعالى: {إلا الذين تابوا وأصلحوا}، فقالوا: الإصلاح شرط والزنديق لا يُطْلَعُ على إصلاحه؛ لأن الفساد أتى مما أسرّه، فإذا اطلع عليه وأظهر الإقلاع لم يزل في الباطن علي ما كان عليه.

والذي يظهر أن أدلة القائلين بقبول توبته مطلقا أظهر وأقوى كقوله صلى الله عليه وسلم لأسامة رضي الله عنه: "هلا شققت على قلبه"، وقوله للذي ساره في قتل رجل قال: "أليس يصلي؟" قال: "بلى"، قال: "أولئك الذين نهيت عن قتلهم"، وقوله - لخالد لما استأذنه في قتل الذي أنكر القسمة -: "إنني لم أؤمر أن أنقّب عن قلوب الناس"، وهذه الأحاديث في الصحيح، وبذل لذلك أيضا: إجماعهم على أن

أحكام الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر، وقد نصّ تعالى على أن الأيمان الكاذبة جُنَّةٌ للمنافقين في الأحكام الدنيوية بقوله: {اتخذوا أيمانهم جنة}، وقوله: {سبحلّفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم فإنهم رجس}، وقوله: {وبحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم} الآية، إلى غير ذلك من الآيات.

وما استدلل به بعضهم من قتل ابن مسعود لابن النواحة صاحب مسيلمة، فيجاب عنه: بأنه قتله لقول النبي صلى الله عليه وسلم - حين جاءه رسولا لمسيلمة -: "لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك"، فقتله ابن مسعود تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم، فقد روي أنه قتله لذلك، فإن قيل: إن هذه الآية الدالة على عدم قبول توبتهم أخص من غيرها؛ لأن فيها القيد بالردة وازدياد الكفر، فالذي تكررت منه الردة أخص من مطلق المرتد، والدليل على الأعم ليس دليلاً على الأخص؛ لأن وجود الأعم لا يلزم وجود الأخص، فالجواب: أن القرآن دل على توبة من تكرر منه الكفر إذا أخلص في الإنابة إلى الله، ووجه الدلالة على ذلك قوله تعالى: {إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً}، ثم بين أن المنافقين داخلون فيهم بقوله تعالى: {بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً} الآية، ودلالة الاقتران وإن ضعفها بعض الأصوليين فقد صححتها جماعة من المحققين، ولا سيما إذا اعتضدت بدلالة القرينة عليها كما هنا؛ لأن قوله تعالى: {لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً}، بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً في الدلالة الواضحة على دخولهم في المراد بالآية، بل كونها في خصوصهم قال به جماعة من العلماء. فإذا حققت ذلك فاعلم أن الله تعالى نصّ على أن من أخلص التوبة من المنافقين تاب الله عليه بقوله: {إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً، ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم، وكان الله شاكراً عليماً}، وقد كان مخشي بن حمير رضي الله عنه من المنافقين الذين أنزل الله فيهم قوله تعالى: {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} فتاب إلى الله بإخلاص، فتاب الله عليه، وأنزل الله فيه: {إن نغف عن طائفة منكم نغذب طائفة} الآية، فتحصل أن القائلين بعدم قبول توبة من تكررت منه الردة يعنون الأحكام الدنيوية ولا يخالفون في أنه أخلص التوبة إلى الله قبلها منه؛ لأن اختلافهم في تحقيق المناط كما تقدم، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته} الآية هذه الآية تدل على التشديد البالغ في تقوى الله تعالى، وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم}، والجواب بأمرين:

الأول: أن آية {فاتقوا الله ما استطعتم} ناسخة لقوله: {اتقوا الله حق تقاته}، وذهب إلى هذا القول سعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم والسدي وغيرهم، قاله بن كثير.

الثاني: أنها مبيّنة للمقصود بها، والعلم عند الله تعالى .

قوله تعالى: {وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها} هذه الآية الكريمة تدل على أن الأنصار ما كان بينهم وبين النار إلا أن يموتوا مع أنهم كانوا أهل فترة، والله تعالى يقول: {وما كنا معذبين إلا أن نبعث رسولا}، ويقول: {رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} الآية، وقد بين الله هذه الحجة بقوله في سورة طه: {ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا: ربنا لولا أرسلنا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى}، والآيات بمثل هذا كثيرة، والذي يظهر في الجواب: - والله تعالى أعلم - أنه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لم يبق عذر لأحد، فكل من لم يؤمن به فليس بينه وبين النار إلا أن يموت، كما بينه تعالى بقوله: {ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده} الآية.

وما أجاب به بعضهم من أن عندهم بقية من إنذار الرسل الماضين تلزمهم بها الحجة، فهو جواب باطل؛ لأن نصوص القرآن مصرّحة بأنهم لم يأثم نذير كقوله تعالى: {لتنذر قوما ما أنذر أبائهم}، وقوله: {أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك} الآية، وقوله: {وما كنت بجانب طور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك}، وقوله: {يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير} الآية، وقوله تعالى: {وما آتيناكم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير}.

قوله تعالى: {ولقد نصركم الله بيدراً وأنتم أذلة} وصف الله المؤمنين في هذه الآية بكونهم أذلة حال نصره لهم بيدراً، وقد جاء في آية أخرى وصفه تعالى لهم بأن لهم العزة، وهي قوله تعالى: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}، ولا يخفى ما بين العزة والذلة من التناقض والتضاد. والجواب ظاهر وهو أن معنى وصفهم بالذلة هو قلة عددهم وُعُددهم يوم بدر، وقوله تعالى: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} نزل في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، وذلك بعد أن قويت شوكة المسلمين، وكثر عددهم، مع أن العزة والذلة يمكن الجمع بينهما باعتبار آخر وهو أن الذلة باعتبار حال المسلمين من قلة العدد والعدد، والعزة باعتبار نصر الله وتأييده، كما يشير إلى هذا قوله تعالى: {واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأبَدكم بنصره ورزقكم من الطيبات}، وقوله: {ولقد نصركم الله بيدراً وأنتم أذلة}، فإنّ زمن الحال هو زمن عاملها، فزمان النصر هو زمان كونهم أذلة، فظهر أنّ وصف الذلة باعتبار، ووصف العزة والنصر باعتبار آخر، فانفكت الجهة، والعلم عند الله .

قوله تعالى: {إذ تقول للمؤمنين ألن يكفّكم أن يُمدّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة} الآية هذه الآية تدل على أنّ المدد يوم بدر من الملائكة من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف، وقد ذكر تعالى في سورة الأنفال أنّ هذا المدد ألف بقوله: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّي ممدكم بألف من الملائكة} الآية.

والجواب عن هذا من وجهين:
الأول: أنه وعدهم بألف ثم صارت ثلاثة آلاف ثم صارت خمسة كما في هذه الآية.

الثاني: أن آية الأنفال لم تقتصر على الألف، بل أشارت إلى الزيادة المذكورة في آل عمران، ولا سيما في قراءة نافع: {بألف من الملائكة مردفين} بفتح الدال على صيغة اسم المفعول، لأن معنى (مردفين): متبوعين بغيرهم، وهذا هو الحق، وأما على قول من قال: "إن المدد المذكور في آل عمران في يوم أحد، والمذكور في الأنفال في يوم بدر" فلا إشكال على قوله، إلا أن غزوة أحد لم يأت فيها مدد الملائكة. والجواب: أن إتيان المدد فيها على القول به مشروط بالصبر والتقوى في قوله: {بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم} الآية، ولمّا لم يصبروا ولم يتقوا لم يأت المدد، وهذا قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهرى وموسى بن عقبة وغيرهم، قاله بن كثير .

قوله تعالى: {فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لَكِيلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ} الآية قوله تعالى: {فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ} أي غمًّا على غمٍّ، أي حزنًا على حزن، أو أثابكم غمًا بسبب غمكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعضيان أمره، والمناسب لهذا الغم بحسب ما يسبق إلى الذهن أن يقول: لكي تحزنوا، أما قوله: {لكيلا تحزنوا} فهو مشكل؛ لأن الغم سبب للحزن لا لعدمه. والجواب عن هذا من أوجه:

الأول: أن قوله: {لكيلا تحزنوا} متعلق بقوله تعالى: {ولقد عفا عنكم} فالمعنى: أن الله تعالى عفا عنكم لتكون خلاوة عفوه تزيل عنكم ما نالكم من غم القتل، والجرح، وفوت الغنيمة، والظفر، والجزع من إشاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قتله المشركون.

الوجه الثاني: أن معنى الآية: أنه تعالى غمكم هذا الغم لكي تتمرنوا على نوائب الدهر، فلا يحصل لكم الحزن في المستقبل؛ لأن من اعتاد الحوادث لا تؤثر عليه .

الوجه الثالث: أن (لا) صلة، وسيأتي الكلام على زيادتها بشواهد العربية إن شاء الله تعالى في الجمع بين قوله تعالى: {لا أقسم بهذا البلد}، وقوله: {وهذا البلد الأمين}.

لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

المدرس بالجامعة

سورة النساء
- قوله تعالى: { فَإِنْ حِفْظُكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ } الآية.

هذه الآية الكريمة تدل على أن العدل بين الزوجات ممكن وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أنه غير ممكن وهي قوله تعالى: **{ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ } الآية.**

والجواب عن هذا:

أن العدل بينهما الذي ذكر الله أنه ممكن هو العدل في توفية الحقوق الشرعية، والعدل الذي ذكر أنه غير ممكن هو المساواة في المحبة والميل الطبيعي لأن هذا انفعال لا فعل فليس تحت قدرة البشر، والمقصود من كان أميل بالطبع إلى إحدى الزوجات فليترك الله وليعدل في الحقوق الشرعية كما يدل عليه قوله: **{ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ } الآية.**

وهذا الجمع روي معناه عن ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك ابن مزاحم نقله عنهم ابن كثير في تفسير قوله: **{ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ } الآية.**

وروي ابن أبي حاتم عن ابن أبي مليكة أن آية: **{ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ }** نزلت في عائشة لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يميل إليها بالطبع أكثر من غيرها.

وروي الإمام أحمد وأهل السنن عن عائشة قالت كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تملني فيما تملك ولا أملك، يعني القلب، انتهى من ابن كثير.

- **قوله تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ اَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَاِنْ شَهِدُوا فَاَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ}** الآية، هذه الآية تدل على أن الزانية لا تجلد بل تحبس إلى الموت أو إلى جعل الله لها سبيل.

وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أنها لا تحبس بل تجلد مائة جلدة إن كانت بكرا وجاء في آية منسوخة التلاوة باقية الحكم أنها إن كانت محصنة ترجم.

والجواب ظاهر وهو أن حبس الزواني في البيوت منسوخ بالجلد والرجم¹ أو أنه كانت له غاية ينتهي إليها هي جعل الله لهن السبيل فجعل الله السبيل بالحد كما يدل عليه قوله - صلى الله عليه وسلم - : **"خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا"** الحديث.

- **قوله تعالى: {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ}** الآية، هذه الآية تدل بعمومها على منع الجمع بين كل أختين سواء كانتا بعقد أم بملك يمين، وقد جاءت آية تدل بعمومها على جواز جمع الأختين بملك اليمين وهي قوله تعالى في سورة قد أفلح وسورة سأل سائل: **{وَالَّذِينَ هُمْ لِغُفُورِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ}**، فقوله: **{وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ}**، اسم مثني محلى بال والمحلى بها من صيغ العموم كما تقرر في علم الأصول، وقوله: **{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}**، اسم موصول وهو أيضا من صيغ العموم كما تقرر في علم الأصول أيضا، فبين هاتين الآيتين عموم وخصوص من وجه يتعارضان بحسب ما يظهر في صورة هي جمع الأختين بملك اليمين فيدل عموم: **{وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ}** على التحريم، وعموم: **{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}**، على الإباحة كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : "أحلتها آية وحرمتها أخرى".

وحاصل تحرير الجواب عن هاتين الآيتين أنهما لا بد أن يخص عموم إحداهما بعموم الأخرى، فليزم الترجيح

¹- أي كل واحد منهما في محله، الجلد للبكر والرجم للثيب.

بين العمومين، والراجح منهما يقدم ويخصص به عموم الآخر، لوجوب العمل بالراجح إجماعاً؛ وعليه فعموم: **{وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ}** أرجح من عموم **{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}** من خمسية أوجه:

- **الأول:** أن عموم **{وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ}**

نص في محل المدرك المقصود بالذات لأنَّ السورة سورة النساء وهي التي بين الله فيها من تحل منهن ومن تحرم وآية: **{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}**، لم تذكر من أجل تحريم النساء ولا تحليلهن بل ذكر الله صفات المتقين فذكر من جملتها حفظ الفرج فاستطرد أنه لا يلزم حفظه عن الزوجة والسرية وقد تقرر في الأصول أن أخذ الأحكام من مظانها أولى من أخذها لا من مظانها.

- **الثاني:** أن آية: **{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}**، ليست باقية على عمومها بإجماع المسلمين لأن الأخت من الرضاع لا تحل بملك اليمين إجماعاً للإجماع على أن عموم **{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}** يخصه عموم:

{وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ}، وموطوءة الأب لا تحل بملك اليمين إجماعاً للإجماع على أن عموم **{أَوْ مَا**

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}، يخصه عموم: **{وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}**، الآية، والأصح عند الأصوليين في تعارض العام الذي دخله التخصيص والعام الذي لم يدخله تخصيص هو تقديم الذي لم يدخله التخصيص ووجه ظاهر.

الثالث: أن عموم **{وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ}**

غير وارد في معرض مدح ولا ذم، وعموم **{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}** وارد في معرض مدح المتقين والعام الوارد في معرض المدح أو الذم اختلف أكثر العلماء في اعتبار عمومه؛ فأكثر العلماء على أن عمومه معتبر كقوله

تعالى: **{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي**

جَحِيمٍ}، فإنه يعم كل بر مع أنه للمدح، وكل فاجر مع أنه للذم وخالف في ذلك الإمام الشافعي رحمه الله قائلًا إن العام الوارد في معرض المدح أو الذم لا عموم له لأن المقصود منه الحث في المدح والزجر في الذم.

ولذا لم يأخذ الشافعي بعموم قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}** في الحلّي المباح لأن الآية سبقت للذم فلا تعم عنده الحلّي المباح؛ فإذا حققت ذلك فاعلم أن العام الذي لم يقتصرن بما يمنع اعتبار عمومه أولى من المقتصرن بما يمنع اعتبار عمومهم عند بعض العلماء.

- **الرابع:** إنا لو سلمنا المعارضة بين الآيتين فالأصل في الفروج التحريم حتى يدل دليل لا معارض له على الإباحة.

- **الخامس:** إن العموم المقتضي للتحريم أولى من المقتضي للإباحة لأن ترك مباح أهون من ارتكاب حرام، كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله في سورة المائدة والعلم عند الله.

فهذه الأوجه الخمسة التي بينا يرد بها استدلال داود الظاهري بهذه الآية الكريمة على جمع الأختين في الوطء بملك اليمين، ولكنه يحتج بآية أخرى وهي قوله تعالى: **{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}** فإنه يقول الاستثناء راجع أيضا إلى قوله **{وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ}**، فيكون المعنى على قوله وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما ملكت أيمانكم فإنه لا يحرم فيه الجمع بين الأختين.

ورجوع الاستثناء لكل ما قبله من المتعاطفات جملا كانت أو مفردات هو الجاري على أصول مالك والشافعي وأحمد وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود: وكل ما يكون فيه العطف من قبل الاستثناء فكلا

دون دليل العقل أو ذي السمع

خلافًا لأبي حنيفة القائل برجوع الاستثناء للجملة الأخيرة فقط ولذلك لا يرى قبول شهادة القاذف ولو تاب وأصلح، لأن قوله تعالى: **{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا}**، يرجع عنده لقوله تعالى: **{وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}** فقط أي إلا الذين تابوا فقد زال عنهم فسقهم بالتوبة، ولا يقول برجوعه لقوله: ولا تقبلوا لهم شهادة إلا الذين تابوا فاقبلوا شهادتهم، بل يقول: لا تقبلوها لهم مطلقا لاختصاص الاستثناء بالأخيرة عنده.

ولم يخالف أبو حنيفة أصله في قوله برجوع الاستثناء في قوله: **{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا}**، لجميع الجمل قبله أعني قوله: **{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ}**، لأن جميع هذه الجمل جمع معناه في الجملة الأخيرة وهي قوله: **{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا}**، لأن الإشارة في قوله ذلك شاملة لكل من الشرك والقتل والزنى فبرجوعه للأخيرة رجع لكل فظهر أن أبا حنيفة لم يخالف فيها أصله، ولأجل هذا الأصل المقرر في الأصول لو قال رجل: هذه الدار حبس على الفقراء والمساكين وبنى زهرة وبنى تميم إلا الفاسق منهم فإنه يخرج فاسق الكل عند المالكية والشافعية والحنابلة.

قال مقيده عفا الله عنه: التحقيق في هذه المسألة هو ما حققه بعض المتأخرين كابن الحاجب من المالكية والغزالي من الشافعية والآمدي من الحنابلة من أن الحكم في الاستثناء الآتي بعد متعاطفات هو الوقف وأن لا يحكم برجوعه إلى الجميع ولا إلى الأخيرة، وإنما قلنا أن هذا هو التحقيق لأن الله تعالى يقول: **{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}** الآية، وإذا رددنا هذا النزاع إلى الله وجدنا القرآن دالا على قول هؤلاء الذي ذكرنا أنه هو التحقيق في آيات كثيرة منها قوله تعالى: **{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا}**، فلاستثناء راجع للدية فهي تسقط بتصدق مستحقها بها ولا يرجع لتحرير الرقبة قولا واحدا لأن تصدق مستحق الدية بها لا يسقط كفارة القتل خطأ.

ومنها قوله تعالى: **{فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}**، فلاستثناء لا يرجع لقوله: **{فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً}**، لأن القاذف إذا تاب لا تسقط توبته حد القذف.

ومنها أيضا قوله تعالى: **{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَحُذُّوهُمْ}**

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا تَصِيرُوا، إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} ، فالاستثناء في قوله: **{إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْنِكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ}** لا يرجع قولاً واحداً إلى الجملة الأخيرة التي أقرب الجمل إليه أعني قوله تعالى: **{وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا تَصِيرُوا}**، إذ لا يجوز اتخاذ ولي ولا نصير من الكفار ولو وصلوا إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق بل الاستثناء راجع للأخذ والقتل في قوله: **{فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ}**، والمعنى فخذوهم بالأسر واقتلوهم إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق فليس لكم أخذهم بأسر ولا قتلهم، لأن الميثاق الكائن لمن وصلوا إليهم يمنع من أسرهم وقتلهم كما اشترطه هلال بن عويمر الأسلمي في صلحه مع النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن هذه الآية نزلت فيه وفي سراقه بن مالك المدلجي وفي بني جذيمة ابن عامر.

وإذا كان الاستثناء ربما لم يرجع لأقرب الجمل إليه في القرآن العظيم الذي هو في الطرف الأعلى من الإعجاز تبين أنه ليس نصاً في الرجوع إلى غيرها. ومنها أيضاً قوله تعالى: **{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}**، فالاستثناء ليس راجعاً للجملة الأخيرة التي يليها أعني: **{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ}**، لأنه لولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان كلا ولم ينجح من ذلك قليل ولا كثير حتى يخرج بالاستثناء. واختلف العلماء في مرجع هذا الاستثناء؛ ف قيل: راجع لقوله: **{أَدَاغُوا بِهِ}**.

وقيل: راجع لقوله: **{لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}**، وإذا لم يرجع للجملة التي يليها فلا يكون نصاً في رجوعه لغيرها.

وقيل: إن هذا الاستثناء راجع للجملة التي تليها وعليه فالمعنى: ولولا فضل الله عليكم ورحمته بإرسال محمد - صلى الله عليه وسلم - لاتبعتم الشيطان في ملة آبائكم

من الكفر وعبادة الأوثان إلا قليلا كمن كان على ملة إبراهيم كورقة بن نوفل وقس بن ساعدة وأضرابهم وذكر ابن كثير أن عبد الرزاق روى عن معمر عن قتادة في قوله: **{لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}**، أن معناه: لاتبعتم الشيطان كلا، قال: والعرب تطلق القلة وتريد بها العدم، واستدل قائل هذا القول بقول الطرماح بن حكيم يمدح يزيد بن المهلب:

أشتم ندى كثير النوادي قليل المثالب والقادة

يعني لا مثلبة ولا قاذحة.

قال مقبده عفا الله عنه: إطلاق القلة وإرادة العدم كثير في كلام العرب ومنه قول الشاعر:

أنى كنت فالقت بلدة فوق قليل بها الأصوات إلا

يعني أنه لا صوت في تلك الفلاة غير بغام راحلته. وقول الآخر:

فما بأس لو ردت علينا قليلا لدى من يعرف

يعني لا عاب فيها عند من يعرف الحق.

وعلى هذين القولين الأخيرين فلا شاهد في الآية

وبهذا التحقيق الذي حررنا يرد استدلال داود الظاهري بهذه الآية الأخيرة أيضا والعلم عند الله.

- قوله تعالى: **{فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ**

نِصْفٌ مَّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ}، هذه الآية

تدل على أن الإمام إذا زنى جلدن خمسين جلدة، وقد جاءت آية أخرى تدل بعمومها على أن كل زانية تجلد مائة

جلدة، وهي قوله تعالى: **{الرَّائِيَةُ وَالرَّائِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ}**.

والجواب ظاهر: وهو أن هذه الآية مخصصة لآية

النور لأنه لا يتعارض عام وخاص.

- قوله تعالى: **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ**

سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}، هذه الآية تدل بظاهرها على

أن شرع من قبلنا شرع لنا، ونظيرها قوله تعالى:

{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدِهْ}، وقد

جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك هي قوله تعالى:

{لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} الآية.

وجه الجمع بين ذلك مختلف فيه اختلافا مبنيا على الاختلاف في حكم هذه المسألة:

فجمهور العلماء على أن شرع من قبلنا إن ثبت بشرعنا فهو شرع لنا ما لم يدل دليل من شرعنا على نسخه لأنه ما ذكره لنا في شرعنا إلا لأجل الاعتبار والعمل، وعلى هذا القول فوجه الجمع بين الآيتين أن معنى قوله: **{لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}**، أن شرائع الرسل ربما ينسخ في بعضها حكم كان في غيرها أو يزداد في بعضها حكم لم يكن في غيرها، فالشرعة إذن إما بزيادة أحكام لم تكن مشروعة قبل وإما بنسخ شيء كان مشروعاً قبل فتكون الآية لا دليل فيها على أن ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعاً لمن قبلنا ولم ينسخ أنه ليس من شرعنا لأن زيادة ما لم يكن قبل أو نسخ ما كان قبل كلاهما ليس من محل النزاع.

وأما على قول الشافعي ومن وافقه أن شرع من قبلنا شرع ليس شرعاً لنا إلا بنص من شرعنا أنه مشروع لنا، فوجه الجمع أن المراد بسنن من قبلنا وبالهدى في قوله: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}**، أصول الدين التي هي التوحيد لا الفروع العلمية بدليل قوله تعالى: **{لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}** الآية.

ولكن هذا الجمع الذي ذهب إليه الشافعية يرد عليه ما رواه البخاري في صحيحه في تفسير سورة (ص) عن مجاهد أنه سأل ابن عباس من أين أخذت السجدة في (ص) فقال ابن عباس: **{وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ}** **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ}**، فسجدها داود فسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ومعلوم أن سجود التلاوة من الفروع لا من الأصول، وقد بين ابن عباس رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سجدها اقتداءً بـ داود وقد بينت هذه المسألة بيانا شافياً في رحلتي فلذلك اختصرتها هنا.

- قوله تعالى: {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ}

فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ { الآية، هذه الآية تدل على أن إرث الحلفاء من حلفائهم، وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **{ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ }**.

وَالْجَوَابُ أن هذه الآية ناسخة لقوله: **{ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ }** الآية ونسخها لها هو الحق خلافا لأبي حنيفة ومن وافقه في القول بإرث الحلفاء اليوم إن لم يكن له وارث.

وقد أجاب بعضهم بأن معنى: **{ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ }** أن من الموالاة والنصرة وعليه فلا تعارض بينهما والعلم عند الله.

- قوله تعالى: { وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا }، هذه الآية تدل على أن الكفار لا يكتُمون الله من خبرهم شيئاً يوم القيامة، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: **{ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَسْتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ }**، وقوله تعالى: **{ فَالْقَوْمَ السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَوْءٍ }**، وقوله: **{ بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا }**.

ووجه الجمع في ذلك هو ما بينه ابن عباس رضي الله عنه لما سئل عن قوله تعالى: **{ وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ }**، مع قوله: **{ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا }**، وهو أن ألسنتهم تقول والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، فكتم الحق باعتبار اللسان وعدمه باعتبار الأيدي والأرجل، وهذا الجمع يشير إليه قوله تعالى: **{ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }**، وأجاب بعض العلماء بتعدد الأماكن فيكتمون في وقت ولا يكتُمون في وقت آخر والعلم عند الله.

قوله تعالى: { وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ }، لا تعارض بينه وبين قوله تعالى: **{ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا**

أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ .

والجواب ظاهر وهو أن معنى قوله: **{وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ}** أي مطر وخصب وأرزاق وعافية يقولوا هذا ما أكرمنا الله به: **{وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ}**، أي جذب وقحط وفقر وأمراض يقولوا هذه من عندك أي من شؤمك يا محمد وشؤم ما جئت به، قل لهم كل ذلك من الله، ومعلوم أن الله هو الذي يأتي بالمطر والرزق والعافية كما أنه يأتي بالجذب والقحط والفقر والأمراض والبلايا، ونظير هذه الآية قول الله في فرعون وقومه مع موسى: **{وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ}**، وقوله تعالى في قوم صالح مع صالح: **{قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ}** الآية، وقول أصحاب القرية للرسول الذين أرسلوا إليهم: **{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ}** الآية.

وأما قوله: **{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}** أي لأنه المتفضل بكل نعمة، **{وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}** أي من قبلك ومن عملك أنت إذ لا تصيب الإنسان سيئة إلا بما كسبت يده كما قال تعالى: **{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}** وسيأتي إن شاء الله تحرير المقام في قضية أفعال العباد بما يرفع الإشكال في سورة الشمس في الكلام على قوله تعالى: **{قَالَهُمْهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}**، والعلم عند الله تعالى.

- **قوله تعالى: {فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ}** قيد في هذه الآية الرقبة المعتقة في كفارة القتل خطأ بالإيمان، وأطلق الرقبة التي في كفارة الظهار واليمين عن قيد الإيمان حيث قال في كل منهما: **{فَتَخْرِيرُ رَقَبَةٍ}** ولم يقل مؤمنة؛ وهذه المسألة من مسائل تعارض العارض المطلق والمقيد وحاصل تحرير المقام فيها: أن المطلق والمقيد لهما أربع حالات:

الأولى: أن يتفق حكمهما وسببهما كآية الدم التي تقدم الكلام عليها؛ فجمهور العلماء يحملون المطلق على المقيد في هذه الحالة التي هي اتحاد السبب والحكم معا،

وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية لأنهم يشبتون ثم يحذفون اتكالا على المثبت كقول الشاعر، وهو قيس بن الخطيم:

نحن بما عندنا وأنت بما صدك راض والرأي مختلف
فحذف راضون لدلالة راض عليها، ونظيره أيضا قول
ضائب بن الحارث البرجمي:

فمن يك أمسى بالمدينة فإنني وقيارا بها لغريب
وقول عمرو بن أحمز الباهلي:

رمانى بأمر كنت ووالدي بريئا ومن أجل الطوى

وقال بعض العلماء: إن حمل المطلق على المقيد بالقياس، وقيل: بالعقل وهو أضعفها، والله تعالى أعلم.

والحالة الثانية: أن يتحد الحكم ويختلف السبب كما في هذه الآية، فإن الحكم متحد وهو عتق رقبة، والسبب مختلف وهو قتل خطأ وظهار مثلاً؛ ومثل هذا المطلق يحمل على المقيد عند الشافعية والحنابلة وكثير من المالكية، ولذا أوجبوا الإيمان في كفارة الظهار حملاً للمطلق على المقيد خلافاً لأبي حنيفة.

ويدل لحمل هذا المطلق على المقيد، قوله - صلى الله عليه وسلم - في قصة معاوية بن الحكم السلمي: **"اعتقها فإنها مؤمنة"** ولم يستفصله عنها هل هي كفارة أو لا، وترك الاستفصال ينزل منزلة العموم في الأقوال، قال في مراقبي السعود:

ونزلن ترك الاستفصال منزلة العموم في الأقوال

الحالة الثالثة: عكس هذه، وهي الاتحاد في السبب مع الاختلاف في الحكم؛ فقول أكثر العلماء ومثاله: صوم الظهار وإطعامه، فسببهما واحد وهو الظهار وحكمهما مختلف لأن هذا صوم وهذا إطعام، وأحدهما مقيد بالتتابع وهو الصوم والثاني مطلق عن قيد التتابع وهو الإطعام، فلا يحمل هذا المطلق على المقيد.

والقائلون بحمل المطلق على المقيد في هذه الحالة مثلوا له بإطعام الظهار، فإنه مقيد بكونه قبل أن يتماسا،

مع أن عتقه وصومه قيذا بقوله: **{ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا }**، فيحمل هذا المطلق على المقيد فيجب كون الإطعام قبل المسيس.

ومثل له اللخمي بالإطعام في كفارة اليمين حيث قيد بقوله: **{ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ }**، وأطلق الكسوة عن القيد بذلك حيث قال: **{ أَوْ كَسَوْتُهُمْ }**، فيحمل المطلق على المقيد فيشترط في الكسوة أن تكون من أوسط ما تكسون أهليكم.

الحالة الرابعة: أن يختلفا في الحكم والسبب معا ولا حمل فيها إجماعا، وهو واضح، وهذا فيما إذا كان المقيد واحدا؛ أما إذا ورد مقيدان بقيدتين مختلفتين فلا يمكن حمل المطلق على كليهما لتنافي قيديهما، ولكنه ينظر فيهما فإن كان أحدهما أقرب للمطلق من الآخر حمل المطلق على الأقرب له منهما عند جماعة من العلماء فيقيد بقيده وإن لم يكن أحدهما أقرب له فلا يقيد بقيد واحد منهما ويبقى على إطلاقه لاستحالة الترجيح بلا مرجح.

مثال كون أحدهما أقرب للمطلق من الآخر: صوم كفارة اليمين فإنه مطلق عن قيد التتابع والتفريق مع أن صوم الظهر مقيد بالتتابع، وصوم التمتع مقيد بالتفريق، واليمين أقرب إلى الظهر من التمتع لأن كلا من اليمين والظهر صوم كفارة بخلاف صوم التمتع فيقيد صوم كفارة اليمين بالتتابع عند من يقول بذلك، ولا يقيد بالتفريق الذي في صوم التمتع، وقراءة ابن مسعود: **{ فصيام ثلاثة أيام متتابعات }** لم تثبت لإجماع الصحابة على عدم كتب (متتابعات) في المصحف.

ومثال كونهما ليس أحدهما أقرب للمطلق من الآخر صوم قضاء رمضان فإن الله قال فيه: **{ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ }**، ولم يقيد بتتابع ولا تفريق مع أنه قيد صوم الظهر بالتتابع وصوم التمتع بالتفريق، وليس أحدهما أقرب إلى قضاء رمضان من الآخر فلا يقيد بقيد واحد منهما بل يبقى على الاختيار إن شاء تابعه وإن شاء فرقه، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}، الآية، هذه الآية تدل على أن القاتل عمدا لا توبة له وأنه مخلد في النار، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} - إلى قوله -: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ}، الآية. وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}، وقوله: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ} الآية. وللجمع بين ذلك أوجه:

- أن قوله: **{فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا}**، أي إذا كان مستحلا لقتل المؤمن عمدا، لأن مستحل ذلك كافر قاله عكرمة وغيره، ويدل له ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن جبير وابن جرير عن ابن جريح من أنها نزلت في مقيس بن صباة فإنه أسلم هو وأخوه هشام وكانا بالمدينة فوجد مقيس أخاه قتيلا في بني النجار ولم يعرف قاتله فأمر له النبي - صلى الله عليه وسلم - بالدية فأعطتها له الأنصار مائة من الإبل وقد أرسل معه النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلا من قريش من بني فهر فعمد مقيس إلى الفهري رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقتله وارثه عن الإسلام وركب جملا من الدية وساق معه البقية ولحق بمكة مرتدا وهو يقول في شعر له:

قتلت به فهرا وحملت سراة بني النجار أرباب
وأدركت ثاري وأضجعت وكنت إلى الأوثان أول

ومقيس هذا هو الذي قال فيه النبي - صلى الله عليه وسلم -: **"لا أؤمنه في حل ولا في حرم"**، وقتل متعلقا بأستار الكعبة يوم الفتح فالقاتل الذي هو كمقيس بن صباة المستحل للقتل المرتد عن الإسلام لا إشكال في

خلوده في النار، وعلى هذا فالآية مختصة بما يماثل سبب نزولها بدليل النصوص المصرحة بأن جميع المؤمنين لا يخلد أحد منهم في النار.

- **الوجه الثاني:** أن المعنى فجزاؤه أن جوزي مع إمكان ألا يجازى إذا تاب أو كان له عمل صالح يرجح بعمله السيء ... وهذا قول أبي هريرة وأبي مجلز وأبي صالح وجماعة من السلف.

- **الوجه الثالث:** أن الآية للتغليظ في الزجر، ذكر هذا الوجه الخطيب والأكوسي في تفسيريهما وعزاه الأكوسي لبعض المحققين واستدلا عليه بقوله تعالى: **{وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}**، على القول بأن معناه: ومن لم يحج، وبقوله - صلى الله عليه وسلم - الثابت في الصحيحين للمقداد حين سأله عن قتل من أسلم من الكفار بعد أن قطع يده في الحرب: "لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلك قبل أن يقول الكلمة التي قال"، وهذا الوجه من قبيل كفر دون كفر، وخلود دون خلود، فالظاهر أن المراد به عند القائل به أن معنى الخلود المكث الطويل، والعرب ربما تطلق اسم الخلود على المكث الطويل ومنه وقول لبيد:

فوقفت أسألها وكيف صما خوالد ما يبين كلامها
إلا أن الصحيح في معنى الآية الوجه الثاني والأول، وعلى التغليظ في الزجر حمل بعض العلماء كلام ابن عباس أن هذه الآية ناسخة لكل ما سواها، والعلم عند الله تعالى.

قال مقيده عفا الله عنه: الذي يظهر أن القاتل عمدا مؤمن عاص له توبة كما عليه جمهور علماء الأمة وهو صريح قوله تعالى: **{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ}** الآية، وادعاء تخصيصها بالكفار لا دليل عليه، وبدل على ذلك أيضا قوله تعالى: **{وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** وقوله

تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}**، وقد توافرت الأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يخرج

من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، وصرح تعالى بأن القاتل أخو المقتول في قوله: **{فَمَنْ**

عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ}، وقد قال تعالى: **{وَإِنْ**

طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}، فسماهم مؤمنين مع أن بعضهم يقتل بعضاً، ومما يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين في قصة الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس لأن هذه الأمة بالتخفيف من بني إسرائيل لأن الله رفع عنها الآصار والأغلال التي كانت عليهم.

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب
(4)

لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

المدرس بالجامعة الإسلامية

سورة المائدة:

قوله تعالى: **{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْمَيْتَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ}** الآية، هذه الآية الكريمة تدل بعمومها على إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقاً ولو سموها عليها غير الله أو سكتوا ولم يسموا الله ولا غيره لأن الكل داخل في طعامهم وقد قال ابن عباس وأبو أمامة ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء والحسن ومكحول وإبراهيم النخعي والسدي ومقاتل بن حيان أن المراد بطعامهم ذبائحهم كما نقله عنهم ابن كثير ونقله البخاري عن ابن عباس ودخول ذبائحهم في طعامهم أجمع عليه المسلمون مع أنه جاءت آيات أخر تدل على أن ما سمي عليه غير الله لا يجوز أكله وعلى أن ما لم يذكر اسم الله عليه لا يجوز أكله أيضاً، أما التي دلت على منع أكل ما ذكر عليه اسم غير الله فكقوله تعالى: **{وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ}** في سورة البقرة وقوله: **{وَمَا أَهْلٌ لغيرِ}**

اللَّهِ بِهِ في المائدة والنحل وقوله في الأنعام: **{أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}** والمراد بالإهلال رفع الصوت باسم غير الله عند الذبح. وأما التي دلت على منع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه فكقوله: **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** الآية وقوله تعالى: **{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ.. وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** فإنه يفهم عدم الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه والجواب عن هذا مشتمل على مبحثين:

الأول: في وجه الجمع بين عموم آية **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ}** مع عموم الآيات المحرمة لما أكل به لغير الله فيما إذا سمى الكتابي على ذبحته غير الله بأن أهل بها للصليب أو عيسى أو نحو ذلك.

المبحث الثاني: في وجه الجمع بين آية **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** أيضاً مع قوله: **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** فيما إذا لم يسم الكتابي الله ولا غيره على ذبحته. أما المبحث الأول، فحاصل أن بين قوله تعالى: **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ}** وبين قوله: **{وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}** عمومًا وخصوصًا من وجه تنفرد آية **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** في الخبز والجبن من طعامهم مثلاً وتنفرد آية **{وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}** في ذبح الوثني لوثنيه وجمعان في ذبيحة الكتابي التي أكل بها لغير الله كالصليب أو عيسى فعموم قوله: **{وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}** يقتضي تحريمها وعموم **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** يقتضي حلها وقد تقرر في علم الأصول أن الأعمين من وجه يتعارضان في الصورة التي يجتمعان فيها فيجب الترجيح بينهما والراجح منهما يقدم ويخص به عموم الآخر كما قدمنا في سورة النساء في الجمع بين قوله تعالى: **{وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ}** مع قوله تعالى: **{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}** وكما أشار له صاحب مراقي السعدون بقوله:

وإن يك العموم من وجه طهر
فإذا حققت ذلك فاعلم أن العلماء اختلفوا في هذين العمومين أيهما أرجح فالجمهور على ترجيح الآيات المحرمة وهو مذهب الشافعي ورواية عن مالك ورواه إسماعيل بن سعيد عن الإمام أحمد ذكره صاحب المغنى وهو قول ابن عمر وربيعة كما نقله عنهما البيهقي في تفسيره وذكره النووي في شرح المذهب عن علي وعائشة ورجح بعضهم عموم آية التحليل بأن الله أحل ذبائحهم وهو أعلم بما يقولون كما احتج به الشعبي وعطاء على إباحة ما أكلوا به لغير الله قال مقبده عفا الله عنه: الذي يظهر والله تعالى أعلم أن عموم آيات المنع أرجح وأحق بالاعتبار من طرق متعددة: منها قوله صلى الله عليه وسلم: **"والإثم ما حاك في النفس"** الحديث، وقوله صلى الله عليه وسلم: **"فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه"**. ومنها أن درء المفساد مقدم على جلب المصالح كما تقرر في الأصول وينبغي على ذلك أن النهي إذا تعارض مع الإباحة كما هنا فالنهي أولى بالتقديم والاعتبار لأن ترك مباح أهون من ارتكاب حرام بل صرح جماهير الأصوليين بأن النص الدال على الإباحة في المرتبة الثالثة من النص الدال على النهي التحريم لأن نهى التحريم مقدم على الأمر الدال على الوجوب لما ذكرنا من تقديم درء المفساد على جلب المصالح والدال على الأمر مقدم على الدال على الإباحة للإحتياط في البراءة من عهدة الطلب وقد أشار إلى هذا صاحب مراقي السعدون في مبحث الترجيح باعتبار المدلول بقوله:

وناقل ومثبت والآمر
بعد النواهي ثم هذا الآخر

على إباحة الخ...
فإن معنى قوله: **"والأمر بعد النواهي"** أن ما دل على الأمر بعد ما دل على النهي فالدال على النهي هو المقدم وقوله: **"ثم هذا الآخر على إباحة"** يعني أن النص الدال على الأمر مقدم على الإباحة كما ذكرنا فتحصل أن الأول النهي فالأمر بالإباحة فظهر تقديم النهي عما أكل به لغير الله على إباحة طعام أهل الكتاب. وأعلم أن العلماء اختلفوا فيها حرم على أهل الكتاب كشحم الجوف من البقر والغنم المحرم على اليهود هل يباح للمسلم مما ذبحه اليهودي فالجمهور على إباحة ذلك للمسلم لأن الذكاة لا تتجزأ وكرهه مالك ومنعه بعض أصحابه كابن القاسم وأشهب واحتج عليهم الجمهور بحجج لا ينهض الإحتجاج بها عليهم فيما يظهر وإيضاح ذلك أن أصحاب مالك احتجوا بقوله تعالى: **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ}** قالوا المحرم عليهم ليس من طعامهم حتى يدخل فيما أحلته الآية فاحتج عليهم الجمهور بما ثبت في صحيح البخاري من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مغفل رضي الله عنه على أخذ جراباً من شحم اليهود يوم خيبر وبما رواه الإمام أحمد ابن حنبل عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أضافه يهودي على خبز وشعير وإهالة نسخة أي ودك متغير الريح وبقصة الشاه المسمومة التي سمتها اليهودية له صلى الله عليه وسلم ونهش ذراعها ومات منها بشر بن البراء بن معرور وهي مشهورة صحيحة قالوا أنه صلى الله عليه وسلم عزم على أكلها هو ومن معه ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقون تحريمه من شحمها أو لا وقد تقرر في الأصول أن ترك الاستفصال بمنزلة العموم في الأقوال كما أشار له في مراقي السعدون بقوله:

منزلة العموم في المقال

ونزلن ترك الاستفصال

والذي يظهر لمقيدة عفا الله عنه أن هذه الأدلة ليس فيها حجة على أصحاب مالك أما حديث عبد الله بن مغفل وحديث أنس رضي الله عنهما فليس في واحد منهما النص على خصوص الشحم المحرم عليهم ومطلق الشحم ليس حراماً عليهم بدليل قوله تعالى: **{إِلَّا مَا حَمَلَتْ طَهُورُهُمَا أَوْ الْخَوَاتَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ}** فما في الحديثين أعم من محل النزاع والدليل على الأعم ليس دليلاً

على الأخص لأن وجود الأعم لا يقتضي وجود الأخص بإجماع العقلاء ومثل رد هذا الاحتجاج بما ذكرنا هو القادح في الدليل المعروف عند الأصوليين بالقول بالموجب وأشار له صاحب مراقي السعود بقوله:

والقول بالموجب قدحه جلا
من مانع أن الدليل استلزما
وهو تسليم الدليل مسجلا
لما من الصور فيه اختصما
أما القول بالموجب عند البيانيين فهو من أقسام البديع المعنوي وهو ضربان معروفان في علم البلاغة وقصدنا هنا القول بالموجب بالاصطلاح الأصولي لا البياني وأما تركه صلى الله عليه وسلم الاستفصال في شاة اليهودية فلا يخفي أنه لا دليل فيه لأنه صلى الله عليه وسلم ينظر بعينه ولا يخفي عليه شحم الجوف ولا شحم الحوايا ولا الشحم المختلط بعظم كما هو ضروري فلا حاجة إلى السؤال عن محسوس حاضر وأجرى الأقوال على الأصول في مثل الشحم المذكور الكراهة التنزيهية لعدم دليل جازم على الحل أو التحريم لأن ما يعتقد الشخص أنه حرام عليه ليس من طعامه والذكاة لا يظهر تجزؤها فحكم المسألة مشتبه ومن ترك الشبهات استبرأ لدينه وعرضه وأما البحث الثاني: وهو الجمع بين قوله: **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ}** مع قوله: **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** فيما إذا لم يذكر الكتابي على ذبحته اسم الله ولا اسم غيره فحاصله أن في قوله: **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** وجهين من التفسير أحدهما وإليه ذهب الشافعي وذكر ابن كثير في تفسيره لها أنه قوي أن المراد بما لم يذكر اسم الله عليه هو ما أهل به لغير الله وعلى هذا التفسير فمبحث هذه الآية هو المبحث الأول بعينه لاشيء آخر.

الوجه الثاني: أنها على طاهرها وعليه فبين الآيتين أيضاً عموم وخصوص من وجه تتفرد آية **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** فيما ذبحه الكتابي وذكر عليه اسم الله فهو حلال بلا نزاع وتتفرد آية **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** فيما ذبحه وثني أو مسلم لم يذكر اسم الله عليه فما ذبحه الوثني حرام بلا نزاع وما ذبحه المسلم من غير تسمية يأتي حكمه إن شاء الله ويجتمعان فيما ذبحه كتابي ولم يسم الله عليه فيتعارضان فيه فيدل عموم **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** على الإباحة ويدل عموم **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** على التحريم فيصار إلى الترجيح كما قدمنا واختلف في هذين العمومين أيضاً أيهما أرجح فذهب الجمهور إلى ترجيح عموم **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** الآية وقال بعضهم بترجيح عموم **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** قال النووي في شرح المذهب: "ذبيحة أهل الكتاب حلال سواء ذكروا اسم الله عليها أم لا لظاهر القرآن العزيز هذا مذهبا ومذهب الجمهور وحكاه ابن المنذر عن علي والنخعي وحماد بن سليمان وأبي حنيفة وأحمد وإسحاق وغيرهم فإن ذبحوا على صنم أو غيره لم يحل" انتهى محل الغرض منه بلفظه. وحكى النووي القول الآخر عن علي أيضاً وأبي ثور وعائشة وابن عمر. قال مقيدة عفا الله عنه: الذي يظهر والله تعالى أعلم أن لعموم كل من الآيتين مرجحاً وأن مرجح آية التحليل أقوى بالاعتبار أما آية التحليل فيرجح عمومها بأمرين:

الأول: أنها أقل تخصيصاً وآية التحريم أكثر تخصيصاً لأن الشافعي ومن وافقه خصصوها بما ذبح لغير الله وخصصها الجمهور بما تركت فيه التسمية عمداً قائلين أن تركها نسياناً لا أثر له وآية التحليل ليس فيها من التخصيص غير صورة النزاع إلا تخصيص واحد وهو ما قدمنا من أنها مخصوصة بما لم يذكر عليه اسم غير الله على القول الصحيح وقد تقرر في الأصول أن الأقل تخصيصاً مقدم على الأكثر تخصيصاً كما أن ما لم يدخله التخصيص أصلاً مقدم على ما دخله وعلى هذا جمهور الأصوليين وخالف فيه السبكي والصفى الهندي وبين صاحب نشر البنود في شرح مراقي السعود في مبحث الترجيح باعتبار حال المروي في شرح قوله:

تقديم ما خص على ما لم يخص
وعكسه كل أتى عليه نص

أن الأقل تخصيصاً مقدم على الأكثر تخصيصاً وأن ما لم يدخله التخصيص مقدم على ما دخله عند جماهير الأصوليين وأنه لم يخالف فيه إلا السبكي وصى الدين الهندي.
والثاني: ما نقله ابن جرير ونقله عنه ابن كثير عن عكرمة والحسن البصري ومكحول أن آية **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** ناسخة لآية **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** وقال ابن جرير وابن كثير أن مرادهم بالنسخ التخصيص ولكننا قدمنا أن التخصيص بعد العمل بالعام نسخ لأن التخصيص بيان والبيان لا يجوز تأخيره عن وقت العمل.

وبدل لهذا أن آية **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** من سورة الأنعام وهي مكية بالإجماع وآية **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** من المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن بالمدينة. وأما آية التحريم فيرجع عمومها بما قدمنا من مرجحات قوله تعالى: **{وَمَا أَهْلُ لَيْعُرٍ اللَّهِ بِهِ}** لأن كلتاهما دلت على نهى يظهر تعارضه مع إباحة وحاصل هذه المسألة أن ذبيحة الكتابي لها خمس حالات لا سادسة لها.

الأولى: أن يعلم أنه سمي الله عليها وهذه تؤكل بلا نزاع ولا عبرة بخلاف الشيعة في ذلك لأنهم لا يعتد بهم في الإجماع.

الثانية: أن يعلم أنه أهل بها لغير الله ففيها خلاف وقد قدمنا أن التحقيق أنها لا تؤكل لقوله تعالى: **{وَمَا أَهْلُ لَيْعُرٍ اللَّهِ}**.

الثالثة: أن يعلم أنه جمع بين اسم الله واسم غيره وظاهر النصوص أنها لا تؤكل أيضاً لدخولها فيما أهل لغير الله.

الرابعة: أن يعلم أنه سكت ولم يسم الله ولا غيره فالجمهور على الإباحة وهو الحق والبعض

على التحريم كما تقدم.

الخامسة: أن يجهل الأمر لكونه ذبح حالة انفراده فتؤكل على ما عليه جمهور العلماء وهو الحق إن لم يعرف الكتابي بأكل الميتة كالذي يسئل عنق الدجاجة بيده فإن عرف بأكل الميتة لم يؤكل ما غاب عليه عند بعض العلماء وهو مذهب مالك ويجوز أكله عند البعض بل قال ابن العربي المالكي: "إذا عايناه يسئل عنق الدجاجة بيده فلنا الأكل منها لأنها من طعامه والله أباح لنا طعامه" واستبعده ابن عبد السلام قال مقيد عفا الله عنه: هو جدير بالاستبعاد فكما أن نسائهم يجوز نكاحهم ولا تجوز مجامعتهم في الحيض فكذلك طعامهم يجوز لنا من غير إباحة الميتة لأن غاية الأمر أن ذكاة الكتابي تحل مذكاة كذكاة المسلم وما وعدنا به من ذكر الحكم ما ذبحه المسلم ولم يسم الله عليه فحاصله أن فيه ثلاثة أقوال: أرجحها وهو مذهب الجمهور أنه إن ترك التسمية عمداً لم تؤكل لعموم قوله تعالى: **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** وإن تركها نسياناً أكلت لأنه لو تذكر لسمي الله. قال ابن جرير: "من حرم ذبيحة الناسي فقد خرج من قول الحجة وخالف الخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" قال ابن كثير: "أن بن جرير يعني بذلك ما رواه البيهقي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم المسلم يكفيه اسمه إن نسي أن يسمي حين يذبح فليذكر اسم الله وليأكله" ثم قال ابن كثير: "أن رفع هذا الحديث خطأ خطأ فيه بن عبيد الله الجزري والصواب وقفه على بن عباس كما رواه بذلك سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي ومما استدلل به البعض على أكل ذبيحة الناسي للتسمية دلالة الكتاب والسنة والإجماع على العذر بالنسيان ومما استدلل به البعض لذلك حديث رواه الحافظ أبو أحمد بن عدي عن أبي هريرة قال: **جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله رأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اسم الله على كل مسلم"** ذكر ابن كثير هذا الحديث وضعفه بأن في إسناده مروان بن سالم أبا عبد الله الشامي وهو ضعيف.

القول الثاني: أن ذبيحة المسلم تؤكل ولو ترك التسمية عمداً وهو مذهب الشافعي رحمه الله كما تقدم لأنه يرى أنه ما لم يذكر اسم الله عليه يراد به ما أهل به لغير الله لا شيء آخر وقد ادعى بعضهم انعقاد الإجماع قبل الشافعي على أن متروك التسمية عمداً لا يؤكل ولذلك قال أبو يوسف وغيره: "لو حكم الحاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفته الإجماع" واستغرب ابن كثير حكاية الإجماع على ذلك قائلاً: "إن الخلاف فيه قبل الشافعي معروف".

القول الثالث: أن المسلم إذا لم يسم على ذبيحته لا تؤكل مطلقاً تركها عمداً أو نسياناً وهو مذهب داود الظاهري وقال ابن كثير: "ثم نقل ابن جرير وغيره عن الشعبي ومحمد بن سيرين أنها كرها متروك التسمية نسياناً والسلف يطلقون الكراهة على التحريم كثيراً" ثم ذكر ابن كثير أن ابن جرير لا يعتبر مخالفة الواحد أو الاثنين للجمهور فيعده إجماعاً مع مخالفة الواحد أو الاثنين ولذلك حكى الإجماع على أكل متروك التسمية نسياناً مع أنه نقل خلاف ذلك عن الشعبي وابن سيرين.

مسائل مهمة تتعلق بهذه المباحث:

المسألة الأولى: اعلم أن كثيراً من العلماء من المالكية والشافعية وغيرهم يفرقون بين ما ذبحه أهل الكتاب لصنم وبين ما ذبحوه ليعيسى أو جبريل أو لكنائسهم قائلين أن الأول مما أهل به لغير الله دون الثاني فمكروه عندهم كراهة تنزيه مستدلين بقوله تعالى: **{وَمَا ذَبَحْ عَلَى النَّصْبِ}**. والذي يظهر لمقيد عفا الله عنه أن هذا الفرق باطل بشهادة القرآن الكريم لأن الذبح على وجه القرية عبادة بالإجماع فقد قال تعالى: **{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}** وقال تعالى: **{قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ}** الآية فمن صرف شيئاً من ذلك لغير الله فقد جعله شريكاً مع الله في هذه العبادة التي هي الذبح سواء كان نبياً أو ملكاً أو نبأً أو شجراً أو حجرًا أو غير ذلك لا فرق في ذلك بين صالح وطالح كما نص عليه تعالى بقوله: **{وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا}** ثم بين أن فاعل ذلك كافر بقوله تعالى: **{إِذَا مَرَّكُمْ بِالْكَافِرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}**. وقال تعالى: **{مَا كَانَ لِيُتَشَرَّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ}** الآية وقال تعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}** الآية. فإن قيل قد رخص في كل ما ذبحوه لكنائسهم أبو الدرداء وأبو أمامة الباهلي والعرباض بن سارية والقاسم بن مخيمرة وحمره ابن حبيب وأبو سلمة الخولاني وعمر بن الأسود ومكحول والليث بن سعد وغيرهم، فالجواب: أن هذا قول جماعة من العلماء من الصحابة ومن بعدهم وقد خالفهم فيه غيرهم وممن خالفهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والإمام الشافعي رحمه الله والله تعالى يقول: **{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ}** الآية فنرد هذا النزاع إلى الله فنجد حرم ما أهل به لغير الله وقوله: **{لِغَيْرِ اللَّهِ}** يدخل فيه الملك والنبي كما يدخل فيه الصنم والنصب والشيطان وقد وافقونا في منع ما ذبحوه باسم الصنم وقد دل الدليل على أنه لا فرق في ذلك بين النبي والملك وبين الصنم والنصب فلزمهم القول بالمنع وأما استدلالهم بقوله: **{وَمَا ذَبَحْ عَلَى النَّصْبِ}** فلا دليل فيه لأن قوله تعالى: **{وَمَا ذَبَحْ عَلَى النَّصْبِ}** ليس بمخصص لقوله: **{وَمَا أَهْلَ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ}** لأنه ذكر فيه بعض ما دل عليه عموم **{وَمَا أَهْلَ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ}**.

وقد تقرر في علم الأصول أن ذكر بعض أفراد العام بحكم العام لا يخص على الصحيح وهو مذهب الجمهور خلافاً لأبي ثور محتجاً بأنه لا فائدة لذكره إلا التخصيص وأجيب من قبل الجمهور بأن مفهوم اللقب ليس بحجة وفائدة ذكر البعض نفى احتمال إخراجهم من العام، فإذا حققت ذلك فاعلم أن ذكر البعض لا يخص العام سواء ذكرنا في نص واحد كقوله تعالى: **{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى}** أو ذكر كل واحد منهما على حدة كحديث الترمذي وغيره "أَيُّمَا إِهَابِ دَبِغٍ فَقَدْ طَهَرَ" مع حديث مسلم أنه صلى الله عليه وسلم مر بشاة ميتة فقال: "هلا أخذتم إهابها" الحديث

فذكر الصلاة الوسطى في الأول لا يدل على عدم المحافظة على غيرها من الصلوات وذكر إهاب الشاة في الأخير لا يدل على عدم الانتفاع بإهاب غير الشاة لأن ذكر البعض لا يخصص العام وكذلك رجوع ضمير البعض لا يخصص أيضاً على الصحيح كقوله تعالى: **{وَبُعُولَتُهُمْ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ}** فإن الضمير راجع إلى قوله: **{وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ}** وهو لخصوص الرجعات من المطلقات مع أن تربص ثلاثة قروء عام للمطلقات من رجعات وبوائن وإلا هذا أشار في مراقبي السعود مبيناً معه أيضاً أن سبب الواقعة لا يخصصها وأن مذهب الراوي ر يخصص مرويه على الصحيح فيها أيضاً بقوله:

وذكر ما وافقه من مفرد

ودع ضمير البعض والأسبابا

ومذهب الراوي على المعتمد

.....

وروي عن الشافعي وأكثر الحنفية التخصيص بضمير البعض وعليه فتربص البوائن ثلاثة قروء مأخوذ من دليل آخر أما عدم التخصيص بذكر البعض فلم يخالف فيه إلا أبو ثور وتقدم رد مذهبه ولو سلمنا أن الآية معارضة بقوله تعالى: **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ}** فإننا نجد النبي صلى الله عليه وسلم أمر بترك مثل هذا الذي تعارضت فيه النصوص بقوله: "دع ما يريك إلى ما لا يريك".

المسألة الثانية: اختلف العلماء في ذكاة نصارى العرب كيني تغلب وتنوخ وبهراء وخدام ولخم وعاملة ونحوهم فالجمهور على أن ذبائحهم لا تؤكل قال ابن كثير: "وهو مذهب الشافعي" ونقله النووي في شرح المذهب عن علي وعطاء وسعيد ابن جبير ونقل النووي أيضاً إباحة ذكاتهم عن ابن عباس والنخعي والشعبي وعطاء الخرساني والزهري والحكم وحماة وأبي حنيفة وإسحاق بن راهويه وأبي ثور وشرح هذا القول ابن قدامة في المغنى محتجاً بعموم قوله: **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ}** وحجة القول الأول ما روي عن عمر رضي الله عنه قال: "ما نصارى العرب بأهل كتاب لا تحل لنا ذبائحهم" وما روي عن علي رضي الله عنه: "لا تحل ذبائح نصارى بني تغلب لأنهم دخلوا في النصرانية بعد التبديل ولا يعلم هل دخلوا في دين من بدل منهم أو في دين من لم يبدل فصاروا كالمجوس لما أشكل أمرهم في الكتاب لم تؤكل ذبائحهم" ذكر هذا صاحب المذهب وسكت عليه النووي في الشرح قائلاً: "إنه حجة الشافعية في منع ذبائحهم" ويفهم منه عدم إباحة أكل ذكاة اليهود والنصارى اليوم لتبديلهم لا سيما فيمن عرفوا منهم بأكل الميتة كالنصارى.

المسألة الثالثة: ذبائح المجوس لا تحل للمسلمين قال النووي في شرح المذهب: "هي حرام عندنا وقال به جمهور العلماء ونقله ابن المنذر عن أكثر العلماء" وقال: "وممن قال به سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح وسعيد ابن جبير ومجاهد وعبد الرحمن بن أبي ليلى والنخعي وعبيد الله بن يزيد ومرة الهمداني والزهرى ومالك والثوري وأبو حنيفة وأحمد وإسحاق وقال ابن كثير في تفسير قوله: **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ}**: "وأما المجوس فإنهم وإن أخذت منهم الجزية تبعاً وإلحاقاً لأهل الكتاب فإنهم لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم خلافاً لأبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد ابن حنبل ولما قال ذلك واشتهر عنه أنكر عليه الفقهاء حتى قال عنه الإمام أحمد: "أبو ثور كاسمه" يعنى في هذه المسألة وكأنه تمسك بعموم حديث روى مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"سنوا بهم سنة أهل الكتاب"** ولكن لم يثبت بهذا اللفظ وإنما الذي في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف **"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر"** ولو سلم صحة هذا الحديث فعمومه مخصوص بمفهوم هذه الآية **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ}** فدل بمفهومه مفهوم المخالفة على أن طعام من عداهم من أهل الأديان لا يحل" انتهى كلام ابن كثير بلفظه واعتراض عليه في الحاشية الشيخ السيد محمد رشيد رضا بما نصه فيه "أن هذا مفهوم لقب وهو ليس بحجة"، قال مقيده عفا الله عنه: الصواب مع الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى واعتراض الشيخ عليه سهو منه لأن مفهوم قوله: **{الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** مفهوم علة لا مفهوم اللقب كما ظنه الشيخ لأن مفهوم اللقب في اصطلاح الأصوليين هو ما علق فيه الحكم باسم جامد سواء كان اسم جنس أو اسم عين أو اسم جمع وضابطه أنه هو الذي ذكر ليتمكن الإسناد إليه فقط لا لاشتماله على صفة تقتضي تخصيصه بالذكر دون غيره أما تعليق هذا الحكم الذي هو إباحة طعامهم بالوصف بإيتاء الكتاب صالح لأن يكون مناط الحكم بحلية طعامهم وقد دل المسلك الثالث من مسالك العلة المعروف بالإيماء والتنبيه على أن مناط حلية طعامهم هو إيتاؤهم الكتاب وذلك بعينه هو المناط لحلية نكاح نسائهم لأن ترتيب الحكم بحلية طعامهم ونسائهم على إيتائهم الكتاب لو لم يكن لأنه علته لما كان في التخصيص بإيتاء الكتاب فائدة ومعلوم أن ترتيب الحكم على وصف لو لم يكن علته لكان حشواً من غير فائدة يفهم منه أنه علته بمسلك الإيماء والتنبيه قال في مراقبي السعود في تعداد صور الإيماء:

كما إذا سمع وصفا فحكم

وذكره في الحكم وصفا قد ألم

إن لم يكن علته لم يفد

ومنع مما يفتت استغفد

ترتيبه الحكم عليه واتضح

.....

ومحل الشاهد منه قوله: "استفد ترتيبه الحكم عليه" وقوله: "وذكره في الحكم وصفاً أن لم يكن علته لم يفد" ومما يوضح ما ذكرنا أن قوله: **{الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** موصول وصلته جملة فعلية وقد تقرر عند علماء النحو في المذهب الصحيح المشهور أن الصفة الصريحة كاسم الفاعل واسم المفعول الواقعة صلة ال بـ بمثابة الفعل مع الموصول ولذا عمل الوصف المقترن بال الموصولة في الماضي لأنه بمنزلة الفعل كما أشار له في الخلاصة بقوله:

وإن يكن صلة ال ففي المضي

وغيره إعماله قد ارتضي

فإذا حققت ذلك علمت أن الذين أوتوا الكتاب بمثابة ما لو قلت وطعام المؤمنين الكتاب بصيغة اسم المفعول ولم يقل أحد أن مفهوم اسم المفعول مفهوم لقب لاشتماله على أمر هو المصدر يصلح أن يكون المتصف به مقصودا للمتكلم دون غيره كما ذكرنا في مفهوم الصفة فظهر أن إيتاء الكتاب صفة خاصة بهم دون غيرهم وهي العلة في إباحة طعامهم ونكاح نساءهم فادعاء أنها مفهوم لقب سهو ظاهر وظهر أن التحقيق أن المفهوم في قوله: **{الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}** مفهوم علة ومفهوم العلة قسم من أقسام مفهوم الصفة فالصفة أعم من العلة وإيضاحه كما بينه القرافي أن الصفة قد تكون مكملة للعلة لا علة تامة كوجوب الزكاة في السائمة فإن علته ليست السوم فقط ولو كان كذلك لوجبت في الوحوش لأنها سائمة ولكن العلة ملك ما يحصل به الغنى وهي مع السوم أتم منها مع العلف وهذا عند من لا يرى الزكاة في المعلوفة وظهر أن ما قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى هو الصواب وقد تقرر في علم الأصول أن المفهوم بنوعيه من مخصصات العموم أما تخصيص العام بمفهوم الموافقة بقسميه فلا خلاف فيه وممن حكى الإجماع عليه الآمدي السبكي في شرح المختصر ودليل جوازهم أن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما ومثاله تخصيص حديث "لِي الْوَاجِد **يحل عرضه وعقوبته**" أي يحل العرض بقوله مطلني والعقوبة بالحبس فإنه مخصص بمفهوم الموافقة الذي هو الفحوى في قوله: **{فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ}** لأن فحواه تحريم إذاهما فلا يحبس الولد بدين الولد وأما تخصيصه مفهوم المخالفة ففيه خلاف والأرجح منه هو ما مشى عليه الحافظ ابن كثير تغمده الله برحمته الواسعة وهو التخصيص به والدليل عليه ما قدمنا من أن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما وقيل لا يجوز التخصيص به ونقله الباجي عن أكثر المالكية وحجة هذا القول أن دلالة العام على ما دل عليه المفهوم بالمنطوق وهو مقدم على المفهوم ويجاب بأن المقدم عليه منطوق خاص لا ما هو من أفراد العام فالمفهوم مقدم عليه لان إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما واعتمد التخصيص به صاحب مراقي السعود في قوله في مبحث الخاص في الكلام على المخصصات المنفصلة :

واعتبر الإجماع جل الناس

وقسمي المفهوم كالقياس

ومثال التخصيص بمفهوم المخالفة تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم: **"في أربعين شاة"** الذي يشمل عموم السائمة لا زكاة فيها فيخصص بذلك عموم في أربعين شاة شاة والعلم عند الله تعالى.

المسألة الرابعة: ما صاده الكتابي بالجوارح والسلاح حلال للمسلم لأن العقر ذكاة الصيد وعلى هذا القول الأئمة الثلاثة وبه قال عطاء والليث والأوزاعي وابن المنذر وداود وجمهور العلماء كما نقله عنهم النووي في شرح المذهب وحجة الجمهور واضحة وهي قوله تعالى: **{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَالٌ لَكُمْ}** وخالف مالك وابن القاسم ففرقا بين ذبح الكتابي وصيده مستدلين بقوله تعالى: **{تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ}** لأنه خص الصيد بأيدي المسلمين ورماحهم دون غير المسلمين قال مقيد عفا الله عنه: الذي يظهر لي والله أعلم أن هذا الاحتجاج لا ينهض على الجمهور وأن الصواب مع الجمهور وقد وافق الجمهور من المالكية أشهب وابن هارون وابن يونس والباجي والرخمي ولمالك في الموازية كراهته قال ابن بشير: "ويمكن حمل المدونة على الكراهة".

المسألة الخامسة: ذباح أهل الكتاب في دار الحرب كذبا نهم في دار الإسلام قال النووي:
" وهذا لا خلاف فيه " ونقل ابن المنذر الإجماع عليه.

قوله تعالى : **{ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ.. }** الآية، هذه الآية الكريمة تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا تحاكم إليه أهل الكتاب مخير بين الحكم بينهم والإعراض عنهم وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهى قوله تعالى: **{ وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ.. }** الآية.

والجواب أن قوله تعالى: **{ وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ }** ناسخ لقوله: **{ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ }** وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسين وقتادة والسدي وزيد بن اسلم وعطاء الخراساني وغير واحد قاله ابن كثير. وقيل معنى **{ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ }** أي إذا حكمت بينهم فاحكم بما أنزل الله لا باتباع الهوى، وعليه فالأولى محكمة والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{ أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ }** الآية : هذه الآية تدل على قبول شهادة الكفار على الوصية في السفر وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله: **{ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }** وقوله: **{ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }**، أي فالكافرون أخرى برد شهادتهم وقوله: **{ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ }**، وقوله: **{ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَاءِ.. }** الآية والجواب عن هذا على قول من لا يقبل شهادة الكافرين على الإيصاء في السفر أنه يقول إن قوله: **{ أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ }** منسوخ بآيات اشتراط العدالة والذي يقول بقبول شهادتهما يقول هي محكمة مخصصة لعموم غيرها وهذا الخلاف معروف ووجه الجواب على كلا القولين ظاهر وأما على قول من قال أن معنى قوله: **{ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ }** أي من قبيلة الموصي وقوله: **{ أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ }** أي من غير قبيلة الموصي من سائر المسلمين، فلا إشكال في الآية ولكن جمهور العلماء على أن قوله **{ مَنْ غَيْرِكُمْ }** أي من غير المسلمين وأن قوله **{ مِنْكُمْ }** أي من المسلمين وعليه فالجواب ما تقدم والعلم عند الله تعالى .

قوله تعالى: **{ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرِّسْلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ }**. هذه الآية يفهم منها أن الرسل لا يشهدون يوم القيامة ، على أمهم وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أنهم يشهدون على أمهم كقوله تعالى: **{ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا }** وقوله تعالى: **{ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ }**. والجواب من ثلاثة أوجه:
الأول: وهو اختيار ابن جرير وقال فيه ابن كثير: "لا شك أنه حسن" ، أن المعنى لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا فلا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شئ فنحن وإن عرفنا من أجابنا فإنما نعرف الظواهر ولا علم لنا بالباطن وأنت المطلع على السرائر وما تخفي الضمائر فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم.

الثاني: وبه قال مجاهد والسدي والحسن البصري كما نقله عنهم ابن كثير وغيره أنهم قالوا لا

علم لنا لما اعتراهم من شدة هول يوم القيامة ثم زال ذلك عنهم فشهدوا على أممهم.
 الثالث: وهو أضعفها أن معنى قوله: {ماذا أجبتكم} ماذا عملوا بعدكم وما أحدثوا بعدكم؟ قالوا لا علم لنا ذكر ابن كثير وغيره هذا القول ولا يخفى بعده عن ظاهر القرآن.
 قوله تعالى: {قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين}. هذه الآية الكريمة تدل على أن أشد الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة وقد جاء في بعض الآيات ما يوهم خلاف ذلك كقوله: {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار} وقوله: {ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب}. والجواب أن آية {أدخلوا آل فرعون} وآية {إن المنافقين} لا منافاة بينهما لأن كلا من آل فرعون والمنافقين في أسفل دركات النار في أشد العذاب وليس في الآيتين ما يدل على أن بعضهم أشد عذابا من الآخر وأما قوله: {فإني أعذبه} الآية فيجاب عنه من وجهين:
 الأول: وهو ما قاله ابن كثير أن المراد بالعالمين عالموا زمانهم وعليه فلا إشكال ونظيره قوله تعالى: {وإني فضلتكم على العالمين} كما تقدم.
 الثاني: ما قاله البعض من أن المراد به العذاب الدنيوي الذي هو مسخهم خنازير ولكن يدل على أنه عذاب الآخرة ما رواه ابن جرير عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال: "أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة: المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون". وهذا الإشكال في المائدة لا يتوجه إلا على القول بنزول المائدة وأن بعضهم كفر بعد نزولها أما على قول الحسن ومجاهد أنهم خافوا من الوعيد فقالوا لا حاجة لنا في نزولها فلم تنزل فلا إشكال لكن ظاهر القول تعالى: {أني منزلها} يخالف ذلك وعلى القول بنزولها لا يتوجه الإشكال إلا إذا ثبت كفر بعضهم كما لا يخفى.

دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب

لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

المدرس الجامعة

(5)

سورة الأنعام

- قوله تعالى: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ..} الآية، هذه الآية الكريمة تدل على أن الله مولى الكافرين ونظيرها قوله تعالى: {هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}. وقد جاء في آية أخرى ما يدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى: {ذَلِكَ بَأْسُ اللَّهِ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ}. والجواب عن هذا أن معنى كونه مولى الكافرين أنه مالكم المتصرف فيهم بما شاء، ومعنى كونه مولى المؤمنين دون الكافرين أي ولاية المحبة والتوفيق والنصر، والعلم عند الله تعالى. وأما على قول من قال: إن الضمير في قوله: {رُدُّوا}، وقوله: {مَوْلَاهُمْ} عائد على الملائكة فلا إشكال في الآية أصلاً، ولكن الأول أظهر.
- قوله تعالى: {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}، هذه الآية الكريمة يفهم منها أنه لا إثم على من جالس الخائضين في آيات الله بالاستهزاء والتكذيب، وقد جاءت آية تدل على أن من جالسهم كان مثلهم في الإثم وهي قوله تعالى: {وَقَدْ تَرَّبَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا} إلى قوله: {إِنَّمَا إِذَا مِنْهُمْ}.
 اعلم أولاً أن في معنى قوله: {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} وجهين للعلماء:
 الأول: أن المعنى: وما على الذين يتقون مجالسة الكفار عند خوضهم في آيات الله من حساب الكفار من شيء، وعلى هذا الوجه فلا إشكال في الآية أصلاً.

الوجه الثاني: أن معنى الآية وما على الذين يتقون ما يقع من الكفار في الخوض في آيات الله في مجالستهم لهم من شيء، وعلى هذا القول فهذا الترخيص في مجالسة الكفار للمتقين من المؤمنين كان في أول الإسلام للضرورة ثم نسخ بقوله تعالى: **{إِنكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ}**، وممن قال بالنسخ فيه مجاهد والسدي وابن جريج وغيرهم كما نقله عنهم ابن كثير. فظهر أن لا إشكال على كلا القولين. ومعنى قوله تعالى: **{وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** على الوجه الأول أنهم إذا اجتنبوا مجالستهم سلموا من الإثم ولكن الأمر باتقاء مجالستهم عند الخوض في الآيات لا يسقط وجوب تذكيرهم ووعظهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لعلهم يتقون الله بسبب ذلك، وعلى الوجه الثاني فالمعنى أن الترخيص في المجالسة لا يسقط التذكير لعلهم يتقون الخوض في آيات الله بالباطل إذا وقعت منكم الذكرى لهم وأما جعل الضمير للمتقين فلا يخفى بعده والعلم عند الله تعالى.

• **قوله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا}**، يتوهم منه الجاهل أن إنذاره صلى الله عليه وسلم مخصوص بأم القرى وما يقرب منها دون الأقطار النائية عنها لقوله تعالى: **{وَمَنْ حَوْلَهَا}**، ونظيره قوله تعالى في سورة الشورى: **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ}**، وقد جاءت آيات أخر تصرّح بعموم إنذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الناس كقوله تعالى: **{تَبَارَكَ الَّذِي بَرَزَ الْفُرْقَانِ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}**، وقوله تعالى: **{وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}**، وقوله: **{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}**، وقوله: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ}**، والجواب من وجهين:

الأول: أن المراد بقوله: **{وَمَنْ حَوْلَهَا}** شامل لجميع الأرض كما رواه ابن جرير وغيره عن ابن عباس. الوجه الثاني: أنا لو سلمنا تسليماً جدياً أن قوله: **{وَمَنْ حَوْلَهَا}** لا يتناول إلا القريب من مكة المكرمة - حرسها الله - كجزيرة العرب مثلاً فإن الآيات الأخر نصت على العموم كقوله: **{لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}** وذكر بعض أفراد العام بحكم العام لا يخصه عند عامة العلماء ولم يخالف فيه إلا أبو ثور، وقد قدمنا ذلك واضحاً بادلته في سورة المائدة، فالآية على هذا القول كقوله: **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}**، فإنه لا يدل على عدم إنذار غيرهم كما هو واضح والعلم عند الله تعالى.

• **قوله تعالى: {وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ}**، وقوله أيضاً: **{وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ}**، أثبت في هاتين الآيتين التشابه للزيتون والرمان ونفاه عنهما .

والجواب: ما قاله قتادة - رحمه الله - من أن المعنى متشابهها ورقها، مختلفا طعمها، والله تعالى أعلم.

• **قوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}**، هذه الآية الكريمة توهم أن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وقد جاءت آيات أخر تدل على أنه يرى بالأبصار، كقوله تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}**، وكقوله: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخُسَىٰ وَزِيَادَةٌ}**، فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، وكذلك قوله: **{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}**، على أحد القولين، وكقوله تعالى في الكفار: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّخُجُونَ}**، يفهم من دليل خطابه أن المؤمنين ليسوا محجوبين عن ربهم والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أن المعنى: لا تدركه الأبصار أي في الدنيا فلا ينافي الرؤية في الآخرة.

الثاني: أنه عام مخصوص برؤية المؤمنين له في الآخرة، وهذا قريب في المعنى من الأول.

الثالث: وهو الحق: أن المنفي في هذه الآية الإدراك المشعر بالإحاطة بالكنه، أما مطلق الرؤية فلا تدل الآية على نفيه بل هو ثابت بهذه الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة واتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك.

وحاصل هذا الجواب أن الإدراك أخص من مطلق الرؤية لأن الإدراك المراد به الإحاطة، والعرب تقول: "رأيت الشيء وما أدركته"، فمعنى لا تدركه الأبصار: لا تحيط به كما أنه تعالى يعلمه الخلق ولا يحيطون به علما، وقد اتفق العقلاء على أن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، فانتفاء الإدراك لا يلزم منه انتفاء مطلق الرؤية مع أن الله تعالى لا يدرك كنهه على الحقيقة أحد من الخلق، والدليل على صحة هذا الوجه ما أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى مرفوعا: **"حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"**، فالحديث صريح في عدم الرؤية في الدنيا ويفهم منه عدم إمكان الإحاطة مطلقا. والحاصل أن رؤيته تعالى بالأبصار جائزة عقلا في الدنيا والآخرة؛ لأن كل موجود يجوز أن يرى عقلا، وأما في الشرع فهي جائزة وواقعة في الآخرة ممتنعة في الدنيا، ومن أصرح الأدلة في ذلك ما رواه مسلم وابن خزيمة مرفوعا: **"إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"** والأحاديث برؤية المؤمنين له يوم القيامة متواترة والعلم عند الله تعالى.

• **قوله تعالى: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}**، لا يعارض آيات السيف لأنها ناسخة له.

• **قوله تعالى: {قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}**، هذه الآية الكريمة يفهم منها كون عذاب أهل النار غير باق بقاء لا انقطاع له أبدا ونظيرها قوله تعالى: **{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}**، وقوله تعالى: **{لَا يَتَيْنِي فِيهَا أَحْقَابًا}**، وقد جاءت آيات تدل على أن عذابهم لا انقطاع له كقوله: **{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}**.

والجواب عن هذا من أوجه: أحدها: أن قوله تعالى: **{إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}** معناه إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها وهم أهل الكبائر من الموحدين، ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحاك وأبي سنان وخالد بن معدان واختاره ابن جرير وغاية ما في هذا القول إطلاق ما ورد ونظيره في القرآن **{فَاتَّخِذُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ}**. الثاني: أن المدة التي استثنى الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم قاله ابن جرير أيضا.

الوجه الثالث: أن قوله **{إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}** فيه إجمال وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبدا، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات، فالظاهر مقدم على المجمل كما تقرر في الأصول.

ومنها: أن **"إِلَّا"** في سورة هود بمعنى: "سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السماوات والأرض". وقال بعض العلماء: إن الاستثناء على ظاهره وأنه يأتي على النار زمان ليس فيها أحد، وقال ابن مسعود: "ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون أحقابا"، وعن ابن عباس: "أنها تأكلهم بأمر الله". قال مقيده - عفا الله عنه -: الذي يظهر لي والله تعالى أعلم أن هذه النار التي لا يبقى فيها أحد يتعين حملها على الطبقة التي كان فيها عصاة المسلمين كما جزم به البغوي في تفسيره؛ لأنه يحصل به الجمع بين الأدلة، وأعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما، وقد أطبق العلماء على وجوب الجمع إذا أمكن، أما ما يقول كثير من العلماء من الصحابة ومن بعدهم من أن النار تنفنى وينقطع العذاب عن أهلها، فالآيات القرآنية تقتضي عدم صحته، وإيضاحه أن المقام لا يخلو من إحدى خمس حالات بالتقسيم الصحيح وغيرها راجع إليها:

الأولى: أن يقال بقاء النار وأن استراحتهم من العذاب بسبب فنائها.

الثانية: أن يقال إنهم ماتوا وهي باقية.

الثالثة: أن يقال إنهم أخرجوا منها وهي باقية.

الرابعة: أن يقال: إنهم باقون فيها إلا أن العذاب يخف عليهم. وذهاب العذاب رأسا واستحالته لذة لم نذكرهما من الأقسام لأننا نقيم البرهان على نفي تخفيف العذاب، ونفي تخفيفه يلزمه نفي ذهابه واستحالته لذة، فاكتمينا به لدلالة نفيه على نفيهما، وكل هذه الأقسام الأربعة يدل القرآن على بطلانه.

أما فنائها فقد نص تعالى على عدمه بقوله: **{كَلِمًا خَبَثَ زُرَّتَاهُمُ سَعِيرًا}**، وقد قال تعالى: **{إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}** في خلود أهل الجنة وخلود أهل النار وبين عدم الانقطاع في خلود أهل الجنة بقوله: **{عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ}**، ويقول: **{إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ بَقَاٍ}**، وقوله: **{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ}**، وبين عدم الانقطاع في خلود أهل النار بقوله: **{كَلِمًا خَبَثَ زُرَّتَاهُمُ سَعِيرًا}**، فمن يقول إن للنار خبوة ليس بعدها زيادة سعي رد عليه بهذه الآية الكريمة. ومعلوم أن **(كَلِمًا)** تقتضي التكرار بتكرر الفعل الذي بعدها، ونظيرها قوله تعالى: **{كَلِمًا تَصِحَّتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَّتَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا}** الآية. وأما موتهم فقد نصّ تعالى على عدمه بقوله: **{لَا يُفْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا}**، وقوله: **{وَبِأَنبِئِهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ}**، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أن الموت يجاء به يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح، وإذا ذبح الموت حصل اليقين بأنه لا موت كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ويقال: **"يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت"**. وأما إخراجهم منها فنصّ تعالى على عدمه بقوله: **{كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا أَعِيدُوا فِيهَا}**، ويقول: **{وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا}**.

وأما تخفيف العذاب عنهم فنصّ تعالى على عدمه بقوله: **{وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ}**، وقوله: **{فَذُوقُوا فَلَنْ نَرْدَّكُمْ إِلَّا عَذَابًا}**، وقوله: **{لَا يُغْنِي عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}**، وقوله: **{إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا}**، وقوله: **{فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا}**، وقوله تعالى: **{فَلَا**

يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ}، وقوله: **{وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}**، ولا يخفى أن قوله: **{لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا}** وقوله: **{لَا يُعْتَرَّ عَنْهُمْ}** كلاهما فعل في سياق النفي فحرف النفي ينفي المصدر الكامن في الفعل فهو في معنى لا تخفيف للعذاب عنهم ولا تفتير له، والقول بفنائها يلزمه تخفيف العذاب وتفتيره المنفيان في هذه الآيات، بل يلزمه ذهابهما رأساً، كما أنه يلزمه نفي ملازمة العذاب المنصوص عليها بقوله: **{فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً}** وقوله: **{إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً}** وإقامته النصوص عليها بقوله: **{وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}**.

فظاهر هذه الآيات عدم فناء النار المصريح به في قوله: **{كُلَّمَا حَبَّذَ رَدَّتَاهُمْ سَعيراً}** وما احتج به بعض العلماء من أنه لو فرض أن الله أخبر بعدم فنائها أن ذلك لا يمنع فناءها لأنه وعيد وإخلاف الوعيد من الحسن لا من القبيح، وأن الله تعالى ذكر أنه لا يخلف وعده ولم يذكر أنه لا يخلف وعيده وأن الشاعر قال:

وإني وإن أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي

فالظاهر عدم صحته لأمرين:

الأول: أنه يلزم جواز ألا يدخل النار كافر لأن الخبر بذلك وعيد وإخلافه على هذا القول لا بأس به. الثاني: أنه تعالى صرح بحق وعيده على من كذب رسله حيث قال: **{كُلُّ كَذَّبٍ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ}**، وقد تقرر في مسلك النص من مسالك العلة أن الفاء من حروفي التعليل كقولهم "سها فسجد" أي سجد لعله سهوه، و"سرق فقطعت يده" أي لعله سرقته فقوله: **{كُلُّ كَذَّبٍ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ}** أي وجب وقوع الوعيد عليهم لعله تكذيب الرسل ونظيرها قوله تعالى: **{إِنْ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ}**.

ومن الأدلة الصريحة في ذلك تصريحه تعالى بأن قوله لا يبدل فيما أوعد به أهل النار حيث قال: **{لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}**، ويستأنس لذلك بظاهر قوله تعالى: **{وَأَخْسَرُوا يَوْمًا لَا تَخْزِي وَالَّذِينَ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ خَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}**، وقوله: **{إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ}** فالظاهر أن الوعيد الذي يجوز إخلافه وعيد عصاة المؤمنين لأن الله بين ذلك بقوله: **{وَيُعَذِّبُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}**.

فإذا تبين بهذه النصوص بطلان جميع هذه الأقسام تعين القسم الخامس الذي هو خلودهم فيها أبداً بلا انقطاع ولا تخفيف بالتقسيم والسبر الصحيح، ولا غرابة في ذلك لأن خبثهم الطبيعي دائم لا يزول فكان جزاؤهم دائماً لا يزول، والدليل على أن خبثهم لا يزول قوله تعالى: **{وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ}** الآية، فقوله: **{خَيْرًا}** نكرة في سياق الشرط فهي تعم، فلو كان فيهم خير ما في وقت ما لعلمه الله، وقوله تعالى: **{وَلَوْ زِدُوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}**، وعودهم بعد معاناة العذاب لا يستغرب بعده عودهم بعد مباشرة العذاب لأن رؤية العذاب عياناً كالوقوع فيه لا سيما وقد قال تعالى: **{فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}**، وقال: **{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا}** الآية. وعذاب الكفار للإهانة والانتقام لا للتطهير والتمحيص كما أشار له تعالى بقوله: **{وَلَا يُزَكِّيهِمْ}**، وبقوله: **{وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}**، والعلم عند الله تعالى.

• **قوله تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ}** الآية، هذا الكلام الذي قالوه بالنظر إلى ذاته كلام صدق لا شك فيه؛ لأن الله لو شاء لم يشركوا به شيئاً ولم يحرموا شيئاً مما لم يحرمه كالبخائر والسوائب وقد قال تعالى: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا}**، وقال: **{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى}**، وقال: **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى}**، وإذا كان هذا الكلام الذي قاله الكفار حقاً فما وجه تكذيبه تعالى لهم بقوله: **{كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ خَتَّى ذَاقُوا بَاسَنَا فَلْهُنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ}**، ونظير هذا الإشكال بعينه في سورة الزخرف في قوله تعالى: **{وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}**.

والجواب أن هذا الكلام الذي قاله الكفار كلام حق أريد به باطل فتكذيب الله لهم واقع على باطلهم الذي قصدوه بهذا الكلام الحق، وإيضاحه: أن مرادهم أنهم لما كان كفرهم وعصيانهم بمشيئة الله وأنه لو شاء لمنعهم من ذلك فعدم منعه لهم دليل على رضاه بفعلهم فكذبهم الله في ذلك مبيهاً أنه لا يرضى بكفرهم كما نص عليه بقوله: **{وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}**، فالكفار زعموا أن الإرادة الكونية يلزمها الرضى وهو زعم باطل بل الله يريد بإرادته الكونية ما لا يرضاه بدليل قوله: **{حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}** مع قوله: **{وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}** والذي يلزم الرضى حقاً إنما هو الإرادة الشرعية والعلم عند الله تعالى.

• **قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ}** الآية. هذه الآية تدل على أن هذا الذي يتلوه عليهم حرّمه ربهم عليهم فيوهم أنّ معنى قوله: **{أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا}** أن الإحسان بالوالدين وعدم الشرك حرام والواقع خلاف ذلك كما هو ضروري وفي هذه الآية الكريمة كلام كثير للعلماء وبحوث ومناقشات كثيرة لا تتسع هذه العجالة

لاستيعابها منها: أنها صلة كما يأتي، ومنها: أنها بمعنى أبينه لكم لئلا تشركوا ومن أطاع الشيطان مستحلاً فهو مشرك بدليل قوله: **{وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}**، ومنها - أن الكلام تمّ عند قوله: **{حَرَّمَ رَبُّكُمْ}** وإنّ قوله: **{عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا}**: اسم فعل يتعلق بما بعده علي أنه معموله. منها غير ذلك. وأقرب تلك الوجوه عندنا هو ما دل عليه القرآن لأن خبر ما يفسر به القرآن القرآن، وذلك هو أن قوله تعالى: **{أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}** مضمن معنى ما وصاكم ربكم تركا وفعلنا وإنما قلنا إن القرآن دل على هذا لأن الله رفع هذا الإشكال وبين مراده بقوله: **{ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}** فيكون المعنى: وصاكم ألا تشركوا ونظيره من كلام العرب قول الرازي: حج وأوصى بسليمي إلا عبداً أن لا تـرى ولا تـكلم أحداً

ومن أقرب الوجوه بعد هذا وجهان:

الأول: أن المعنى: بينه لكم لئلا تشركوا.

الثاني: إن (أن) من قوله: **{أَلَّا تُشْرِكُوا}** مفسرة للتحريم والقدح فيه بأن قوله: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ}** معطوف عليه وعطفه عليه ينافي التفسير مدفوع بعدم تعيين العطف لاحتمال حذف حرف الجر فيكون المعنى: ولأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه كما ذهب إليه بعضهم ولكن القول الأول هو الصحيح إن شاء الله تعالى وعليه فلا إشكال في الآية أصلاً.

سورة الأعراف

• قوله تعالى: **{فَلْتَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلْتَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}** الآية، هذه الآية الكريمة تدل على أن الله يسأل جميع الناس يوم القيامة ونظيرها قوله تعالى: **{قَوْرَتِكَ لَسْأَلَهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**، وقوله: **{وَفَقَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}**، وقوله: **{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ}**، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله: **{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ}**، وكقوله: **{وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}**.

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:

الأول: وهو أوجهها لدلالة القرآن عليه وهو أن السؤال قسمان: سؤال توبيخ وتقريع، وأداته غالباً (لم)، وسؤال استخبار واستعلام وأداته غالباً (هل) فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع، والمنفي هو سؤال الاستخبار والاستعلام، وجه دلالة القرآن على هذا أن سؤاله لهم المنصوص في القرآن كله توبيخ وتقريع كقوله: **{وَفَقَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ}**، وكقوله: **{أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ}**، وكقوله: **{أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ}**، وكقوله: **{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}**، إلى غير ذلك من الآيات، وسؤال الله للرسل ماذا أجبت لتوبيخ الذين كذبوهم كسؤال الموؤدة بآي ذنب قتلت لتوبيخ قاتلها.

الوجه الثاني: أن في القيامة مواقف متعددة ففي بعضها يسألون وفي بعضها لا يسألون.

الوجه الثالث: هو ما ذكره الحليمي من أن إثبات السؤال محمول على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل، وعدم السؤال محمول على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه، ويدل لهذا قوله تعالى فيقول: **{مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ}** والعلم عند الله تعالى.

• قوله تعالى: **{قَالَ مَا مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ}** الآية.

في هذه الآية إشكال بين قوله: **{مَنَّكَ}** مع (لا) النافية؛ لأن المناسب في الظاهر لقوله: **{مَنَّكَ}** بحسب ما يسبق إلى ذهن السامع لا ما في نفس الأمر هو حذف (لا) فيقول: "ما منعك أن تسجد" دون "ألا تسجد" وأجيب عن هذا بأجوبة؛ من أقربها هو ما اختاره ابن جرير في تفسيره وهو أن في الكلام حذفاً دل المقام عليه وعليه فالمعنى: ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد إذ أمرتك وهذا الذي اختاره ابن جرير قال ابن كثير: "إنه حسن قوي".

ومن أجوبتهم أن (لا) صلة وبديل له قوله تعالى في سورة (ص): **{مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ}** الآية، وقد وعدنا فيما مضى أنا إن شاء الله نبين القول بزيادة (لا) مع شواهد العربية في الجمع بين قوله: **{لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}** وبين قوله: **{وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}**.

• قوله تعالى: **{قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ}** هذه الآية الكريمة يتوهم خلاف ما دلت عليه من ظاهر آية أخرى وهي قوله تعالى: **{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}** الآية، الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه: الوجه الأول: وهو أظهرها أن معنى قوله: **{أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا}** أي بطاعة الله وتصديق الرسل ففسقوا أي بتكذيب الرسل ومعصية الله تعالى فلا إشكال في الآية أصلاً.

الوجه الثاني: أن الأمر في قوله: **{أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا}** أمر كوني قدرى لا أمر شرعى، أي قدرنا عليهم الفسق بمشيئتنا، والأمر الكوني قدرى كقوله: **{كُونُوا قَرِئَةً حَاسِبِينَ}**، **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}**، والأمر في قوله: **{قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ}** أمر شرعى ديني فظهر أن الأمر المنفي غير الأمر المثبت.

الوجه الثالث: أن معنى **{أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا}**: أي كثرناهم حتى بطروا النعمة ففسقوا، وبديل لهذا المعنى الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد مرفوعاً من حديث سويد بن هبيرة - رضي الله عنه -: "خير مال امرئ مهرة مأمورة أو سبكة مأمورة" فقوله مأمورة أي كثيرة النسل وهي محل الشاهد.

قوله تعالى: **{فَالْيَوْمَ تَنْسَاهُمْ كَمَا تَنْسُوا إِفَاءً يَوْمَهُمْ هَذَا}** الآية، وأمثالها من الآيات كقوله: **{تَنْسُوا اللَّهَ فَتَنَسِيهِمْ}**، وقوله: **{وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}**، وقوله: **{وَقِيلَ الْيَوْمَ تُنْسَاكُمْ}** الآية، لا يعارض قوله تعالى: **{لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى}**، ولا قوله: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}**، لأن معنى **{فَالْيَوْمَ تَنْسَاهُمْ}** ونحوه أي تتركهم في العذاب محرومين من كل خير والله تعالى أعلم.

• **قوله تعالى: {قَالَ قَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ شُجُبَانٌ مُّبِينٌ}** الآية ، هذه الآية تدل على شبه العصا بالشجبان وهو لا يطلق إلا على الكبير من الحيات وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **{فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ}** الآية ، لأن الجان هو الحية الصغيرة، والجواب عن هذا أنه شبهها بالشجبان في عظم خلقتها وبالجان في اهتزازها وخفتها وسرعة حركتها فهي جامعة بين العظم وخفة الحركة على خلاف العادة.



دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب

لفضيلة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي
المدرس بالجامعة



سورة الأنفال

قوله تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}** الآية.. هذه الآية تدل على أن وجل القلوب عند سماع ذكر الله من علامات المؤمنين. وقد جاء في آية أخرى ما يدل على خلاف ذلك وهي قوله: **{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}**. فالمنافاة بين الطمأنينة ووجل القلوب ظاهرة والجواب عن هذا أن الطمأنينة تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيع والذهاب عن الهدى كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: **{تَفْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}**. وقوله تعالى: **{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}** الآية. وقوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}**. قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}** الآية. هذه الآية تدل بظاهرها على أن الاستجابة للرسول التي هي طاعته لا تجب إلا إذا دعانا لما يحيينا ونظيرها قوله تعالى: **{وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرِفٍ}** وقد جاء في آيات أخرى ما يدل على وجوب اتباعه مطلقا من غير قيد كقوله: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}**. وقوله: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}**. الآية. وقوله: **{مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}**. والظاهر أن وجه الجمع والله تعالى أعلم أن آيات الإطلاق مبينة أنه صلى الله عليه وسلم لا يدعونا إلا لما يحيينا من خيري الدنيا والآخرة فالشرط المذكور في قوله إذا دعاكم متوفر في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لمكان عصمته كما دل عليه قوله تعالى: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}**. والحاصل أن الآية إذا دعاكم لما يحييكم مبينة أنه لا طاعة إلا لما يدعو إلى ما يرضي الله وأن الآيات الأخر بينت أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدعو أبدا إلا إلى ذلك صلوات الله عليه وسلامه. قوله تعالى: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}**. هذه الآية الكريمة تدل على أن لكفار مكة أمانين يدفع الله عنهم العذاب بسببها: أحدهما كونه صلى الله عليه وسلم فيهم لأن الله لم يهلك أمة ونبههم فيهم. والثاني استغفارهم الله وقوله تعالى: **{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}** يدل على خلاف ذلك.

والجواب من أربعة أوجه:

الأول: وهو اختيار ابن جرير ونقله عن قتادة والسدي وابن زيد أن الأمانين منتفیان فالنبي صلى الله عليه وسلم خرج من بين أظهرهم مهاجرا واستغفارهم معدوم لإصرارهم على الكفر فجملة الحال أريد بها أن العذاب لا ينزل في حاله استغفارهم لو يستغفروا ولا في حالة وجود نبيهم فيهم لكنه خرج من بين أظهرهم ولم يستغفروا لكفرهم ومعلوم أن الحال قيد لعاملها ووصف لصاحبها فالاستغفار مثلا قيد في نفي العذاب لكنهم لم يأتوا بالقيد فتقرير المعنى وما

كان الله معذبهم وهم يستغفرون لو استغفروا.

وبعد انتفاء الأمرين عذبهم بالقتل والأسر يوم بدر كما يشير إليه قوله تعالى:

{وَلَنذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ}.

الوجه الثاني: أن المراد بقوله: يستغفرون استغفار المؤمنين المستضعفين بمكة وعليه فالمعنى أنه بعد خروجه صلى الله عليه وسلم كان استغفار المؤمنين سبباً لرفع العذاب الديني عن الكفار المستعجلين للعذاب بقولهم: **{فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ}**. الآية. وعلى هذا القول فقد أسند الاستغفار إلى مجموع أهل مكة الصادق بخصوص المؤمنين منهم ونظير الآية عليه قوله تعالى: **{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ}** مع أن العاقر واحد منهم بدليل قوله تعالى: **{فَتَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}** وقوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا}**: أي جعل القمر في مجموعهن الصادق بخصوص السماء التي فيها القمر لأنه لم يجعل في كل سماء قمراً. وقوله تعالى: **{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ}** أي من مجموعكم الصادق بخصوص الإنس على الأصح إذا ليس من الجن يرسل وأما تمثيل كثير من العلماء لإطلاق المجموع مراداً بعرضه بقوله تعالى: **{يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ}** زاعمين أن معنى قوله منهما: أي من مجموعهما الصادق بخصوص البحر الملح لأن العذب لا يخرج منه لؤلؤ ولا مرجان فهو قول باطل بنص القرآن العظيم.

فقد صرح تعالى باستخراج اللؤلؤ والمرجان من البحرين كليهما حيث قال: **{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُراتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}** فقله تعالى: **{وَمِنْ كُلٍّ}** نص صريح في إرادة العذب والملح معاً وقوله: **{حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}** هي اللؤلؤ والمرجان، وعلى هذا القول فالعذاب الديني يدفعه الله عنهم باستغفار المؤمنين الكائنين بين أظهرهم. وقوله تعالى: **{وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ}**: أي بعد خروج المؤمنين الذين كان استغفارهم سبباً لدفع العذاب الديني فبعد خروجهم عذب الله أهل مكة في الدنيا بأن سلط عليهم رسول الله عليه وسلم حتى فتح مكة وبدل لكونه تعالى يدفع العذاب الديني عن الكفار بسبب وجود المسلمين بين أظهرهم ما وقع في صلح الحديبية كما بينه تعالى بقوله: **{وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوهُمْ فُتُصِيكُمُ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ يَغَيِّرُ عِلْمَ لِيُذْجِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً}**. فقله: **{لَوْ تَزَيَّلُوا}** أي لو تزيل الكفار عن المسلمين لعذبنا الكفار بتسليط المسلمين عليهم ولكننا رفعنا عن الكفار هذا العذاب الديني لعدم تميزهم من المؤمنين كما بينه تعالى بقوله: **{وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنَاتِ..}** الآية. ونقل ابن جرير هذا القول عن ابن عباس والضحاك وأبي مالك وابن أبيزي وحاصل هذا القول أن كفار مكة لما قالوا: **{اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً}**. الآية. أنزل الله قوله: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ}** ثم لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم بقيت طائفة من المسلمين بمكة يستغفرون الله ويعبدونه فأنزل الله قوله تعالى: **{وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ}** أي: أي شيء ثبت لهم يدفع عنهم عذاب الله. وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من بين أظهرهم. فالآية على هذا كقوله: **{فَاتْلَوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ}**.

الوجه الثالث: أن المراد بقوله: **{وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}** كفار مكة وعليه فوجه الجمع أن الله تعالى يرد عنهم العذاب الديني بسبب استغفارهم أما عذاب الآخرة فهو واقع بهم لا محالة فقله: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ}** أي في الدنيا في حالة استغفارهم وقوله: **{وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ}** أي في الآخرة وقد كانوا كفاراً في الدنيا. ونقل ابن جرير هذا القول عن ابن عباس وعلى هذا القول فعمل الكافر ينفعه في الدنيا كما فسر به جماعة قوله تعالى: **{وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ جِسَابَةً}**: أي أثابه من عمله الطيب في الدنيا وهو صريح قوله تعالى: **{مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا فِي الْآخِرَةِ}**. الآية. وقوله تعالى: **{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}**. وقوله: **{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً}** ونحو ذلك من الآيات يدل على بطلان عمل الكافر من أصله كما أوضحه الله تعالى بقوله: **{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}** فجعل كلنا الدارين طرفاً لبطلان أعمالهم واضمحلالها وسيأتي إن شاء الله تحقيق هذا المقام في سورة هود.

الوجه الرابع: أن معنى قوله: **{وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}** أي يسلمون أي وما كان الله معذبهم وقد سبق في عمله أن منهم من يسلم ويستغفر الله من كفره وعلى هذا القول فقله: **{وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ}** في الذين سبق لهم الشقاوة كأبي جهل وأصحابه الذين عذبوا بالقتل يوم بدر ونقل ابن جرير معنى هذا القول عن عكرمة ومجاهد. وأما ما رواه ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري من أن قوله: **{وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ}** ناسخ لقوله: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}** فبطلانه ظاهر لأن قوله تعالى: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ}**. الآية. خبر من الله بعدم تعذيبه لهم في حالة استغفارهم والخبر لا يجوز نسخه شرعاً بإجماع المسلمين وأظهر هذه الأقوال الأولان منها: قوله تعالى: **{إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ}**. الآية. ظاهر هذه الآية أن الواحد من المسلمين يجب عليه مصابة عشرة من الكفار وقد ذكر تعالى ما يدل على خلاف ذلك بقوله: **{فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ}**. الآية. والجواب عن هذا أن الأول منسوخ بالثاني كما دل عليه قوله تعالى: **{الآن}**

حَقَّقَ اللَّهُ عَنْكُمْ}. الآية. والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا}**. هذه الآية الكريمة تدل على أن من لم يهاجر لا ولاية بينه وبين المؤمنين حتى يهاجر. وقد جاءت آية أخرى يفهم منها خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}** فإنها تدل على ثبوت الولاية بين المؤمنين وظاهرها العموم. والجواب من وجهين: الأول: إن الولاية المنفية في قوله: **{مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}** هي ولاية الميراث أي ما لكم شيء من ميراثهم حتى يهاجروا لأن المهاجرين والأنصار كانوا يتوارثون بالمؤاخاة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فمن مات من المهاجرين ورثه أخوه الأنصاري دون أخيه المؤمن الذي لم يهاجر حتى نسخ ذلك بقوله تعالى: **{وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ}**. الآية. وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة كما نقله عنهم أبو حيان وابن جرير والولاية في قوله: **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}** ولاية النصر والمؤازرة والتعاون والتعاقد لأن المسلمين كالبنين يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وهذه الولاية لم تقصد بالنفي في قوله: **{مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}** يدلل تصريحه تعالى بذلك في قوله بعده يليه: **{وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ}**. الآية. فأثبت ولاية النصر بينهم بعد قوله ما لكم من ولايتهم من شيء فدل على أن الولاية المنفية غير ولاية النصر فظهر أن الولاية المنفية غير المنثبة فارتفع الإشكال. الثاني: هو ما اقتصر عليه ابن كثير مستدلا عليه بحديث أخرجه الإمام أحمد ومسلم أن معنى قوله: **{مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}** يعني لا نصيب لكم من المغنم ولا في خمسها إلا فيما حضرتم فيه القتال وعليه فلا إشكال في الآية ولا مانع من تناول الآية للجميع فيكون المراد بها نفي الميراث بينهم ونفي القسم لهم في الغنائم والخمس والعلم عند الله تعالى.

سورة براءة

قوله تعالى: **{قَادَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}**. الآية. اعلم أولا أن المراد بهذه الأشهر الحرم أشهر المهلة المنصوص عليها بقوله فسيحوا في الأرض أربعة أشهر لا الأشهر الحرم التي هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب على الصحيح وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه.

وبه قال مجاهد وعمر بن شعيب ومحمد بن إسحاق وقتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واستظهر هذا القول ابن كثير لدلالة سياق القرآن الكريم عليه ولأقوال هؤلاء العلماء خلافا لابن جرير وعليه فالآية تدل بعمومها على قتال الكفار في الأشهر الحرم المعروفة بعد انقضاء أشهر الإمهال الأربعة وقد جاءت آية أخرى تدل على عدم القتال فيها وهي قوله تعالى: **{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}**. الآية.

والجواب: أن تحريم الأشهر الحرم² [1] منسوخ بعموم آيات السيف ومن يقول بعدم النسخ يقول: هو مخصص لها. والظاهر أن الصحيح كونها منسوخة كما يدل عليه النبي صلى الله عليه وسلم في حصار ثقيف في الشهر الحرام الذي هو ذو القعدة كما ثبت في الصحيحين أنه خرج إلى هوازن في شهر شوال فلما كسرهم واستفاء أموالهم ورجع إليهم لجأوا إلى الطائف فعمد إلى الطائف فحاصروهم أربعين يوما وانصرف ولم يفتحها فثبت أنه حاصر في الشهر الحرام وهذا القول هو المشهور عند العلماء وعليه فقوله تعالى: **{اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}** ناسخ لقوله: **{مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ}** وقوله: **{لَا تَحْلُوا سَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ}** وقوله: **{الشُّهُرُ الْحَرَامُ بِالشُّهُرِ الْحَرَامِ}** الآية. والمنسوخ من هذه ومن قوله أربعة حرم هو تحريم الشهر في الأولى والأشهر في الثانية فقط دون ما تضمنته من الخبر لأن الخبر لا يجوز نسخه شرعا.

قوله تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ}** إلى قوله سبحانه **{عَمَّا يُشْرِكُونَ}**. هذه الآية فيها التنصيص الصريح على أن كفار أهل الكتاب مشركون بدليل قوله فيهم: سبحانه عما يشركون بعد أن بين وجوه شركهم بجعلهم الأولاد لله واتخاذهم الأبحار والرهبان أربابا من دون الله ونظير هذه الآية قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}** لإجماع العلماء أن كفار أهل الكتاب داخلون فيها. وقد جاءت آيات أخرى تدل بظاهرها على أن أهل الكتاب ليسوا من المشركين كقوله تعالى: **{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَغَيِّبِينَ}**. الآية. وقوله: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي تَارِ جَهَنَّمَ}**. الآية. وقوله: **{مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ}**. الآية. والعطف يقتضي المغايرة.

والذي يظهر لمقيدده عفا الله عنه: أن وجه الجمع أن الشرك الأكبر المقتضي للخروج من الملة أنواع. وأهل الكتاب متصفون ببعضها وغير متصفين ببعض آخر منها. أما البعض الذي هم غير متصفين به فهو ما اتصف به كفار مكة من عبادة الأوثان صريحا ولذا عطفهم عليهم لاتصاف كفار مكة بما لم يتصف به أهل الكتاب من عبادة الأوثان وهذه المغايرة هي التي سوغت العطف فلا ينافي أن يكون أهل الكتاب مشركون بنوع آخر من أنواع الشرك الأكبر وهو طاعة الشيطان والأخبار والرهبان فإن مطيع الشيطان إذا كان يعتقد أن ذلك صواب عابد الشيطان مشرك بعبادة الشيطان الشرك الأكبر المخلد في النار كما بينته النصوص القرآنية كقوله: **{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَانَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا}** فقوله: **{وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا}**. صح معناه وما يعبدون إلا شيطانا لأن عبادتهم للشيطان طاعتهم له فيما حرمه الله عليهم وقوله تعالى: **{أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ}** الآية. وقوله تعالى عن خليله إبراهيم: **{يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا}**. وقوله تعالى: **{بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْحَيَّ}**. الآية. وقوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ رَزَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ}**. الآية. فكل هذا الكفر بشرك الطاعة في معصية الله تعالى، ولما أوحى الشيطان إلى كفار مكة أن يسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن البشاة تصبح ميتة من قتلها؟ وأنه إذا قال صلى الله عليه وسلم الله قتلها أن يقولوا: ما قتلتموه بأيديكم حلال وما قتله الله حرام فأنتم إذا أحسن من الله. أنزل الله في ذلك قوله تعالى: **{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}**. فأقسم تعالى في هذه الآية على أن من أطاع الشيطان في معصية الله أنه مشرك بالله ولما سأل عدي بن حاتم النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: **{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا}**، كيف اتخذوهم أربابا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألم يحلو لهم ما حرم الله ويحرموا عليهم ما أحل الله فاتبعوهم". قال: "بلى". قال: "بذلك اتخذوهم أربابا". فبان أن أهل الكتاب مشركون من هذا الوجه الشرك الأكبر وإن كانوا خالفوا كفار مكة في صريح عبادة الأوثان والعلم عند الله تعالى. قوله تعالى: **{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا}**. الآية. هذه الآية الكريمة تدل على لزوم الخروج للجهاد في سبيل الله على كل حال وقد جاءت آيات أخرى تدل على خلاف ذلك كقوله: **{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ}**. الآية. وقوله تعالى: **{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً}**. الآية. والجواب: أن آية انفروا خفافا وثقالا منسوخة بآيات العذر المذكورة وهذا الوضع من أمثلة ما نسخ فيه النسخ لأن قوله: **{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا..}** ناسخ لآيات الإعراض عن المشركين وهو منسوخ بآيات العذر كما ذكرنا آنفا. والعلم عند الله تعالى.

التعليق:

³[1] - لو قيل بعدم النسخ والتعارض لأن أشهر السياحة خاصة بأهل اليهود الذين نقضوا عهدهم أو ظهرت خيانتهم. الخ. فأرجئوا أربعة أشهر حتى يبلغوا مأمنهم. وأما الأشهر الحرم الأخرى الدوارة فهي على ما هي عليه لما ذكر من الأدلة ولأن المشركين لما عاتبوا المسلمين في وقعه سرية نخله وعظم الأمر على المسلمين لم يذكر الله نسخ تلك الأشهر، بل ذكر أن القتال فيها كبير أيضا إلا أن عمل الكفار للمسلمين أكبر وكانهم يادؤون بالحرب فلا جرم على المسلمين إذا حاربوهم لذلك **{تَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ}**. الآية.

ومن ناحية أخرى أن قوله تعالى: **{قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً}** من باب التهييج ولم يتعرض للزمن فلا دليل فيه على النسخ وحصار ثقيف أجاب عنه في فتح القدير للشوكاني بأنه كان امتداد لحرب بدأت في شوال ابتداء بها هوازن ثم لجأوا إلى الطائف فامتد الحرب من شوال إلى الأشهر الحرم.

ويقول: فرق بين البداءة وبين الامتداد، فالبداءة محرمة بخلاف الامتداد.

سورة يونس

قوله تعالى: { يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } الآية .

هذه الآية الكريمة تدلُّ على أنهم يرجون شفاعَةَ أصنامهم يوم القيامة .

وقد جاء في آيات أخر ما يدلُّ على إنكارهم لأصل يوم القيامة ؛ كقوله تعالى: { وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } وقوله : { وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ } وقوله: { مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } إلى غير ذلك من الآيات .

والجواب : أنهم يرجون شفاعتها في الدنيا لإصلاح معاشهم ، وفي الآخرة على تقدير وجودها لأنهم شاكون فيها . نصّ

على هذا ابن كثير في سورة الأنعام ، في تفسير قوله : { مَا تَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفْرٍ } الآية . ويدل له قوله تعالى عن الكافر { وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْخُسْرَىٰ } وقوله: { وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا } لأن " إن " الشرطية تدلُّ على الشك في حصول الشرط ، ويدل له قوله: { وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً } في الآيتين المذكورتين .

قوله تعالى: { رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ { الآية

نص الله تعالى في هذه الآية على أن هذا دعاء موسى ، ولم يذكر معه أحداً ، ثم قال : { قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا } .

والجواب : أن موسى لما دعا ، أمّن هارون على دعائه ، والمؤمن أحد الداعين ، وهذا الجمع مروى عن أبي العالية ، وأبي صالح ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب القرظي ، والربيع بن أنس . قاله ابن كثير .

وبهذه الآية استدل بعض العلماء على أن قراءة الإمام تكفي المأموم إذا أمّن له على قراءته ؛ لأن تأمينه بمنزلة قراءته .
سورة هود

قوله تعالى : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ } .

هذه الآية الكريمة فيها التصريح بأن الكافر يُجَارَى بحسناته ؛ كالصدقة وصلة الرحم وقرى الضيف والتنفيس عن

المكروب ، في الدنيا دون الآخرة ؛ لأنه تعالى قال : { نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا } يعني الحياة الدنيا ، ثم نصّ على بطلانها في الآخرة بقوله : { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الآية .

ونظير هذه الآية قوله تعالى : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا

نُؤْتِيهِ مِنْهَا {الآية ، وقوله تعالى : { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا { الآية على ما قاله ابن زيد وقوله { وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ { على أحد القولين ، وقوله : { وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ { على أحد الأقوال الماضية في سورة الأنفال .

وقد صحَّ عنه ^١ ^٢ ^٣ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠} ^{١٠١} ^{١٠٢} ^{١٠٣} ^{١٠٤} ^{١٠٥} ^{١٠٦} ^{١٠٧} ^{١٠٨} ^{١٠٩} ^{١١٠} ^{١١١} ^{١١٢} ^{١١٣} ^{١١٤} ^{١١٥} ^{١١٦} ^{١١٧} ^{١١٨} ^{١١٩} ^{١٢٠} ^{١٢١} ^{١٢٢} ^{١٢٣} ^{١٢٤} ^{١٢٥} ^{١٢٦} ^{١٢٧} ^{١٢٨} ^{١٢٩} ^{١٣٠} ^{١٣١} ^{١٣٢} ^{١٣٣} ^{١٣٤} ^{١٣٥} ^{١٣٦} ^{١٣٧} ^{١٣٨} ^{١٣٩} ^{١٤٠} ^{١٤١} ^{١٤٢} ^{١٤٣} ^{١٤٤} ^{١٤٥} ^{١٤٦} ^{١٤٧} ^{١٤٨} ^{١٤٩} ^{١٥٠} ^{١٥١} ^{١٥٢} ^{١٥٣} ^{١٥٤} ^{١٥٥} ^{١٥٦} ^{١٥٧} ^{١٥٨} ^{١٥٩} ^{١٦٠} ^{١٦١} ^{١٦٢} ^{١٦٣} ^{١٦٤} ^{١٦٥} ^{١٦٦} ^{١٦٧} ^{١٦٨} ^{١٦٩} ^{١٧٠} ^{١٧١} ^{١٧٢} ^{١٧٣} ^{١٧٤} ^{١٧٥} ^{١٧٦} ^{١٧٧} ^{١٧٨} ^{١٧٩} ^{١٨٠} ^{١٨١} ^{١٨٢} ^{١٨٣} ^{١٨٤} ^{١٨٥} ^{١٨٦} ^{١٨٧} ^{١٨٨} ^{١٨٩} ^{١٩٠} ^{١٩١} ^{١٩٢} ^{١٩٣} ^{١٩٤} ^{١٩٥} ^{١٩٦} ^{١٩٧} ^{١٩٨} ^{١٩٩} ^{٢٠٠} ^{٢٠١} ^{٢٠٢} ^{٢٠٣} ^{٢٠٤} ^{٢٠٥} ^{٢٠٦} ^{٢٠٧} ^{٢٠٨} ^{٢٠٩} ^{٢١٠} ^{٢١١} ^{٢١٢} ^{٢١٣} ^{٢١٤} ^{٢١٥} ^{٢١٦} ^{٢١٧} ^{٢١٨} ^{٢١٩} ^{٢٢٠} ^{٢٢١} ^{٢٢٢} ^{٢٢٣} ^{٢٢٤} ^{٢٢٥} ^{٢٢٦} ^{٢٢٧} ^{٢٢٨} ^{٢٢٩} ^{٢٣٠} ^{٢٣١} ^{٢٣٢} ^{٢٣٣} ^{٢٣٤} ^{٢٣٥} ^{٢٣٦} ^{٢٣٧} ^{٢٣٨} ^{٢٣٩} ^{٢٤٠} ^{٢٤١} ^{٢٤٢} ^{٢٤٣} ^{٢٤٤} ^{٢٤٥} ^{٢٤٦} ^{٢٤٧} ^{٢٤٨} ^{٢٤٩} ^{٢٥٠} ^{٢٥١} ^{٢٥٢} ^{٢٥٣} ^{٢٥٤} ^{٢٥٥} ^{٢٥٦} ^{٢٥٧} ^{٢٥٨} ^{٢٥٩} ^{٢٦٠} ^{٢٦١} ^{٢٦٢} ^{٢٦٣} ^{٢٦٤} ^{٢٦٥} ^{٢٦٦} ^{٢٦٧} ^{٢٦٨} ^{٢٦٩} ^{٢٧٠} ^{٢٧١} ^{٢٧٢} ^{٢٧٣} ^{٢٧٤} ^{٢٧٥} ^{٢٧٦} ^{٢٧٧} ^{٢٧٨} ^{٢٧٩} ^{٢٨٠} ^{٢٨١} ^{٢٨٢} ^{٢٨٣} ^{٢٨٤} ^{٢٨٥} ^{٢٨٦} ^{٢٨٧} ^{٢٨٨} ^{٢٨٩} ^{٢٩٠} ^{٢٩١} ^{٢٩٢} ^{٢٩٣} ^{٢٩٤} ^{٢٩٥} ^{٢٩٦} ^{٢٩٧} ^{٢٩٨} ^{٢٩٩} ^{٣٠٠} ^{٣٠١} ^{٣٠٢} ^{٣٠٣} ^{٣٠٤} ^{٣٠٥} ^{٣٠٦} ^{٣٠٧} ^{٣٠٨} ^{٣٠٩} ^{٣١٠} ^{٣١١} ^{٣١٢} ^{٣١٣} ^{٣١٤} ^{٣١٥} ^{٣١٦} ^{٣١٧} ^{٣١٨} ^{٣١٩} ^{٣٢٠} ^{٣٢١} ^{٣٢٢} ^{٣٢٣} ^{٣٢٤} ^{٣٢٥} ^{٣٢٦} ^{٣٢٧} ^{٣٢٨} ^{٣٢٩} ^{٣٣٠} ^{٣٣١} ^{٣٣٢} ^{٣٣٣} ^{٣٣٤} ^{٣٣٥} ^{٣٣٦} ^{٣٣٧} ^{٣٣٨} ^{٣٣٩} ^{٣٤٠} ^{٣٤١} ^{٣٤٢} ^{٣٤٣} ^{٣٤٤} ^{٣٤٥} ^{٣٤٦} ^{٣٤٧} ^{٣٤٨} ^{٣٤٩} ^{٣٥٠} ^{٣٥١} ^{٣٥٢} ^{٣٥٣} ^{٣٥٤} ^{٣٥٥} ^{٣٥٦} ^{٣٥٧} ^{٣٥٨} ^{٣٥٩} ^{٣٦٠} ^{٣٦١} ^{٣٦٢} ^{٣٦٣} ^{٣٦٤} ^{٣٦٥} ^{٣٦٦} ^{٣٦٧} ^{٣٦٨} ^{٣٦٩} ^{٣٧٠} ^{٣٧١} ^{٣٧٢} ^{٣٧٣} ^{٣٧٤} ^{٣٧٥} ^{٣٧٦} ^{٣٧٧} ^{٣٧٨} ^{٣٧٩} ^{٣٨٠} ^{٣٨١} ^{٣٨٢} ^{٣٨٣} ^{٣٨٤} ^{٣٨٥} ^{٣٨٦} ^{٣٨٧} ^{٣٨٨} ^{٣٨٩} ^{٣٩٠} ^{٣٩١} ^{٣٩٢} ^{٣٩٣} ^{٣٩٤} ^{٣٩٥} ^{٣٩٦} ^{٣٩٧} ^{٣٩٨} ^{٣٩٩} ^{٤٠٠} ^{٤٠١} ^{٤٠٢} ^{٤٠٣} ^{٤٠٤} ^{٤٠٥} ^{٤٠٦} ^{٤٠٧} ^{٤٠٨} ^{٤٠٩} ^{٤١٠} ^{٤١١} ^{٤١٢} ^{٤١٣} ^{٤١٤} ^{٤١٥} ^{٤١٦} ^{٤١٧} ^{٤١٨} ^{٤١٩} ^{٤٢٠} ^{٤٢١} ^{٤٢٢} ^{٤٢٣} ^{٤٢٤} ^{٤٢٥} ^{٤٢٦} ^{٤٢٧} ^{٤٢٨} ^{٤٢٩} ^{٤٣٠} ^{٤٣١} ^{٤٣٢} ^{٤٣٣} ^{٤٣٤} ^{٤٣٥} ^{٤٣٦} ^{٤٣٧} ^{٤٣٨} ^{٤٣٩} ^{٤٤٠} ^{٤٤١} ^{٤٤٢} ^{٤٤٣} ^{٤٤٤} ^{٤٤٥} ^{٤٤٦} ^{٤٤٧} ^{٤٤٨} ^{٤٤٩} ^{٤٥٠} ^{٤٥١} ^{٤٥٢} ^{٤٥٣} ^{٤٥٤} ^{٤٥٥} ^{٤٥٦} ^{٤٥٧} ^{٤٥٨} ^{٤٥٩} ^{٤٦٠} ^{٤٦١} ^{٤٦٢} ^{٤٦٣} ^{٤٦٤} ^{٤٦٥} ^{٤٦٦} ^{٤٦٧} ^{٤٦٨} ^{٤٦٩} ^{٤٧٠} ^{٤٧١} ^{٤٧٢} ^{٤٧٣} ^{٤٧٤} ^{٤٧٥} ^{٤٧٦} ^{٤٧٧} ^{٤٧٨} ^{٤٧٩} ^{٤٨٠} ^{٤٨١} ^{٤٨٢} ^{٤٨٣} ^{٤٨٤} ^{٤٨٥} ^{٤٨٦} ^{٤٨٧} ^{٤٨٨} ^{٤٨٩} ^{٤٩٠} ^{٤٩١} ^{٤٩٢} ^{٤٩٣} ^{٤٩٤} ^{٤٩٥} ^{٤٩٦} ^{٤٩٧} ^{٤٩٨} ^{٤٩٩} ^{٥٠٠} ^{٥٠١} ^{٥٠٢} ^{٥٠٣} ^{٥٠٤} ^{٥٠٥} ^{٥٠٦} ^{٥٠٧} ^{٥٠٨} ^{٥٠٩} ^{٥١٠} ^{٥١١} ^{٥١٢} ^{٥١٣} ^{٥١٤} ^{٥١٥} ^{٥١٦} ^{٥١٧} ^{٥١٨} ^{٥١٩} ^{٥٢٠} ^{٥٢١} ^{٥٢٢} ^{٥٢٣} ^{٥٢٤} ^{٥٢٥} ^{٥٢٦} ^{٥٢٧} ^{٥٢٨} ^{٥٢٩} ^{٥٣٠} ^{٥٣١} ^{٥٣٢} ^{٥٣٣} ^{٥٣٤} ^{٥٣٥} ^{٥٣٦} ^{٥٣٧} ^{٥٣٨} ^{٥٣٩} ^{٥٤٠} ^{٥٤١} ^{٥٤٢} ^{٥٤٣} ^{٥٤٤} ^{٥٤٥} ^{٥٤٦} ^{٥٤٧} ^{٥٤٨} ^{٥٤٩} ^{٥٥٠} ^{٥٥١} ^{٥٥٢} ^{٥٥٣} ^{٥٥٤} ^{٥٥٥} ^{٥٥٦} ^{٥٥٧} ^{٥٥٨} ^{٥٥٩} ^{٥٦٠} ^{٥٦١} ^{٥٦٢} ^{٥٦٣} ^{٥٦٤} ^{٥٦٥} ^{٥٦٦} ^{٥٦٧} ^{٥٦٨} ^{٥٦٩} ^{٥٧٠} ^{٥٧١} ^{٥٧٢} ^{٥٧٣} ^{٥٧٤} ^{٥٧٥} ^{٥٧٦} ^{٥٧٧} ^{٥٧٨} ^{٥٧٩} ^{٥٨٠} ^{٥٨١} ^{٥٨٢} ^{٥٨٣} ^{٥٨٤} ^{٥٨٥} ^{٥٨٦} ^{٥٨٧} ^{٥٨٨} ^{٥٨٩} ^{٥٩٠} ^{٥٩١} ^{٥٩٢} ^{٥٩٣} ^{٥٩٤} ^{٥٩٥} ^{٥٩٦} ^{٥٩٧} ^{٥٩٨} ^{٥٩٩} ^{٦٠٠} ^{٦٠١} ^{٦٠٢} ^{٦٠٣} ^{٦٠٤} ^{٦٠٥} ^{٦٠٦} ^{٦٠٧} ^{٦٠٨} ^{٦٠٩} ^{٦١٠} ^{٦١١} ^{٦١٢} ^{٦١٣} ^{٦١٤} ^{٦١٥} ^{٦١٦} ^{٦١٧} ^{٦١٨} ^{٦١٩} ^{٦٢٠} ^{٦٢١} ^{٦٢٢} ^{٦٢٣} ^{٦٢٤} ^{٦٢٥} ^{٦٢٦} ^{٦٢٧} ^{٦٢٨} ^{٦٢٩} ^{٦٣٠} ^{٦٣١} ^{٦٣٢} ^{٦٣٣} ^{٦٣٤} ^{٦٣٥} ^{٦٣٦} ^{٦٣٧} ^{٦٣٨} ^{٦٣٩} ^{٦٤٠} ^{٦٤١} ^{٦٤٢} ^{٦٤٣} ^{٦٤٤} ^{٦٤٥} ^{٦٤٦} ^{٦٤٧} ^{٦٤٨} ^{٦٤٩} ^{٦٥٠} ^{٦٥١} ^{٦٥٢} ^{٦٥٣} ^{٦٥٤} ^{٦٥٥} ^{٦٥٦} ^{٦٥٧} ^{٦٥٨} ^{٦٥٩} ^{٦٦٠} ^{٦٦١} ^{٦٦٢} ^{٦٦٣} ^{٦٦٤} ^{٦٦٥} ^{٦٦٦} ^{٦٦٧} ^{٦٦٨} ^{٦٦٩} ^{٦٧٠} ^{٦٧١} ^{٦٧٢} ^{٦٧٣} ^{٦٧٤} ^{٦٧٥} ^{٦٧٦} ^{٦٧٧} ^{٦٧٨} ^{٦٧٩} ^{٦٨٠} ^{٦٨١} ^{٦٨٢} ^{٦٨٣} ^{٦٨٤} ^{٦٨٥} ^{٦٨٦} ^{٦٨٧} ^{٦٨٨} ^{٦٨٩} ^{٦٩٠} ^{٦٩١} ^{٦٩٢} ^{٦٩٣} ^{٦٩٤} ^{٦٩٥} ^{٦٩٦} ^{٦٩٧} ^{٦٩٨} ^{٦٩٩} ^{٧٠٠} ^{٧٠١} ^{٧٠٢} ^{٧٠٣} ^{٧٠٤} ^{٧٠٥} ^{٧٠٦} ^{٧٠٧} ^{٧٠٨} ^{٧٠٩} ^{٧١٠} ^{٧١١} ^{٧١٢} ^{٧١٣} ^{٧١٤} ^{٧١٥} ^{٧١٦} ^{٧١٧} ^{٧١٨} ^{٧١٩} ^{٧٢٠} ^{٧٢١} ^{٧٢٢} ^{٧٢٣} ^{٧٢٤} ^{٧٢٥} ^{٧٢٦} ^{٧٢٧} ^{٧٢٨} ^{٧٢٩} ^{٧٣٠} ^{٧٣١} ^{٧٣٢} ^{٧٣٣} ^{٧٣٤} ^{٧٣٥} ^{٧٣٦} ^{٧٣٧} ^{٧٣٨} ^{٧٣٩} ^{٧٤٠} ^{٧٤١} ^{٧٤٢} ^{٧٤٣} ^{٧٤٤} ^{٧٤٥} ^{٧٤٦} ^{٧٤٧} ^{٧٤٨} ^{٧٤٩} ^{٧٥٠} ^{٧٥١} ^{٧٥٢} ^{٧٥٣} ^{٧٥٤} ^{٧٥٥} ^{٧٥٦} ^{٧٥٧} ^{٧٥٨} ^{٧٥٩} ^{٧٦٠} ^{٧٦١} ^{٧٦٢} ^{٧٦٣} ^{٧٦٤} ^{٧٦٥} ^{٧٦٦} ^{٧٦٧} ^{٧٦٨} ^{٧٦٩} ^{٧٧٠} ^{٧٧١} ^{٧٧٢} ^{٧٧٣} ^{٧٧٤} ^{٧٧٥} ^{٧٧٦} ^{٧٧٧} ^{٧٧٨} ^{٧٧٩} ^{٧٨٠} ^{٧٨١} ^{٧٨٢} ^{٧٨٣} ^{٧٨٤} ^{٧٨٥} ^{٧٨٦} ^{٧٨٧} ^{٧٨٨} ^{٧٨٩} ^{٧٩٠} ^{٧٩١} ^{٧٩٢} ^{٧٩٣} ^{٧٩٤} ^{٧٩٥} ^{٧٩٦} ^{٧٩٧} ^{٧٩٨} ^{٧٩٩} ^{٨٠٠} ^{٨٠١} ^{٨٠٢} ^{٨٠٣} ^{٨٠٤} ^{٨٠٥} ^{٨٠٦} ^{٨٠٧} ^{٨٠٨} ^{٨٠٩} ^{٨١٠} ^{٨١١} ^{٨١٢} ^{٨١٣} ^{٨١٤} ^{٨١٥} ^{٨١٦} ^{٨١٧} ^{٨١٨} ^{٨١٩} ^{٨٢٠} ^{٨٢١} ^{٨٢٢} ^{٨٢٣} ^{٨٢٤} ^{٨٢٥} ^{٨٢٦} ^{٨٢٧} ^{٨٢٨} ^{٨٢٩} ^{٨٣٠} ^{٨٣١} ^{٨٣٢} ^{٨٣٣} ^{٨٣٤} ^{٨٣٥} ^{٨٣٦} ^{٨٣٧} ^{٨٣٨} ^{٨٣٩} ^{٨٤٠} ^{٨٤١} ^{٨٤٢} ^{٨٤٣} ^{٨٤٤} ^{٨٤٥} ^{٨٤٦} ^{٨٤٧} ^{٨٤٨} ^{٨٤٩} ^{٨٥٠} ^{٨٥١} ^{٨٥٢} ^{٨٥٣} ^{٨٥٤} ^{٨٥٥} ^{٨٥٦} ^{٨٥٧} ^{٨٥٨} ^{٨٥٩} ^{٨٦٠} ^{٨٦١} ^{٨٦٢} ^{٨٦٣} ^{٨٦٤} ^{٨٦٥} ^{٨٦٦} ^{٨٦٧} ^{٨٦٨} ^{٨٦٩} ^{٨٧٠} ^{٨٧١} ^{٨٧٢} ^{٨٧٣} ^{٨٧٤} ^{٨٧٥} ^{٨٧٦} ^{٨٧٧} ^{٨٧٨} ^{٨٧٩} ^{٨٨٠} ^{٨٨١} ^{٨٨٢} ^{٨٨٣} ^{٨٨٤} ^{٨٨٥} ^{٨٨٦} ^{٨٨٧} ^{٨٨٨} ^{٨٨٩} ^{٨٩٠} ^{٨٩١} ^{٨٩٢} ^{٨٩٣} ^{٨٩٤} ^{٨٩٥} ^{٨٩٦} ^{٨٩٧} ^{٨٩٨} ^{٨٩٩} ^{٩٠٠} ^{٩٠١} ^{٩٠٢} ^{٩٠٣} ^{٩٠٤} ^{٩٠٥} ^{٩٠٦} ^{٩٠٧} ^{٩٠٨} ^{٩٠٩} ^{٩١٠} ^{٩١١} ^{٩١٢} ^{٩١٣} ^{٩١٤} ^{٩١٥} ^{٩١٦} ^{٩١٧} ^{٩١٨} ^{٩١٩} ^{٩٢٠} ^{٩٢١} ^{٩٢٢} ^{٩٢٣} ^{٩٢٤} ^{٩٢٥} ^{٩٢٦} ^{٩٢٧} ^{٩٢٨} ^{٩٢٩} ^{٩٣٠} ^{٩٣١} ^{٩٣٢} ^{٩٣٣} ^{٩٣٤} ^{٩٣٥} ^{٩٣٦} ^{٩٣٧} ^{٩٣٨} ^{٩٣٩} ^{٩٤٠} ^{٩٤١} ^{٩٤٢} ^{٩٤٣} ^{٩٤٤} ^{٩٤٥} ^{٩٤٦} ^{٩٤٧} ^{٩٤٨} ^{٩٤٩} ^{٩٥٠} ^{٩٥١} ^{٩٥٢} ^{٩٥٣} ^{٩٥٤} ^{٩٥٥} ^{٩٥٦} ^{٩٥٧} ^{٩٥٨} ^{٩٥٩} ^{٩٦٠} ^{٩٦١} ^{٩٦٢} ^{٩٦٣} ^{٩٦٤} ^{٩٦٥} ^{٩٦٦} ^{٩٦٧} ^{٩٦٨} ^{٩٦٩} ^{٩٧٠} ^{٩٧١} ^{٩٧٢} ^{٩٧٣} ^{٩٧٤} ^{٩٧٥} ^{٩٧٦} ^{٩٧٧} ^{٩٧٨} ^{٩٧٩} ^{٩٨٠} ^{٩٨١} ^{٩٨٢} ^{٩٨٣} ^{٩٨٤} ^{٩٨٥} ^{٩٨٦} ^{٩٨٧} ^{٩٨٨} ^{٩٨٩} ^{٩٩٠} ^{٩٩١} ^{٩٩٢} ^{٩٩٣} ^{٩٩٤} ^{٩٩٥} ^{٩٩٦} ^{٩٩٧} ^{٩٩٨} ^{٩٩٩} ^{١٠٠٠} ^{١٠٠١} ^{١٠٠٢} ^{١٠٠٣} ^{١٠٠٤} ^{١٠٠٥} ^{١٠٠٦} ^{١٠٠٧} ^{١٠٠٨} ^{١٠٠٩} ^{١٠١٠} ^{١٠١١} ^{١٠١٢} ^{١٠١٣} ^{١٠١٤} ^{١٠١٥} ^{١٠١٦} ^{١٠١٧} ^{١٠١٨} ^{١٠١٩} ^{١٠٢٠} ^{١٠٢١} ^{١٠٢٢} ^{١٠٢٣} ^{١٠٢٤} ^{١٠٢٥} ^{١٠٢٦} ^{١٠٢٧} ^{١٠٢٨}

لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ { ، وكقوله تعالى : { وَلَا يَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ حَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ
لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ { (178) سورة آل عمران {
وكقوله تعالى : { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا
عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا
أَخَذْنَا هُمْ بِغَتَّةٍ فَإِذَا هُمْ مُمْلِسُونَ { وقوله تعالى :
{ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ (55)
نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ { وقوله :
{ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا
{ وقوله : { وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً { إلى
قوله : { وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ { إلى غير ذلك
من الآيات .

والجواب من أربعة أوجه :

الأول -ويظهر لي صوابه لدلالة ظاهر القرآن عليه - : أن من
الكفار من يشبه الله بعمله في الدنيا ، كما دلَّت عليه آيات
وصحَّ به الحديث ، ومنهم من لا يشبه الله بعمله في الدنيا ،
كما دلت عليه آيات وصحَّ به الحديث ، ومنهم من لا يشبه في
الدنيا ، كما دلت عليه آيات آخر ، وهذا مُشاهد فيهم في الدنيا
، فمنهم من هو في عيش رغد ، ومنهم من هو في بؤس
وضيق .

ووجه دلالة القرآن على هذا ، أنه تعالى أشار إليه بالتخصيص
بالمشيئة في قوله : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا
لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ { فهي مخصصة لعموم

قوله تعالى : { تُوَفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ } (15) سورة هود { وعموم قوله تعالى : { وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا } .

وممن صرح بأنها مخصصة لهما ، الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، في كتاب الرقاق ، في الكلام على قول البخاري [باب : المكثرون هم المقلون] ، وقوله تعالى : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا } الآيتين .

ويدل لهذا التخصيص قوله في بعض الكفار : { خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } (11) سورة الحج { وجمهور العلماء من حمل العام على الخاص ، والمطلق على المقيد ، كما تقرر في الأصول .

الثاني : وهو وجيه أيضاً ، أن الكافر يُثَاب عن عمله بالصحة وسعة الرزق والأولاد ونحو ذلك ، كما صرح به تعالى في قوله : { تُوَفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا } يعني الدنيا ، وأكد ذلك بقوله { وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ } وبظاهرها المتبادر منها كما ذكرنا . فسرّها ابن عباس ، وسعيد بن جبیر ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك كما نقله عنهم ابن جرير .

وعلى هذا ف بطلان أعمالهم في الدنيا بمعنى أنها لم يعتد بها شرعاً في عصمة دم ، ولا ميراث ولا نكاح ، ولا غير ذلك ، ولا تفتح لها أبواب السماء ، ولا تصعد إلى الله تعالى ، بدليل قوله : { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ } ، ولا تُدْخِر لهم الأعمال النافعة ، ولا تكون في كتاب الأبرار في عليين ، وكفى بهذا بطلاناً .

أما مطلق النفع الدنيوي بها ، فهو عند الله لا شيء ، فلا يُنافي بطلانها ؛ بدليل قوله : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَّاعٌ } وقوله : { وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون } وقوله : { وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً } إلى قوله : { للمتقين } والآيات في مثل هذه كثيرة .

قوله تعالى: { فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ } الآية . هذه الآية الكريمة ندل على أن هذا الابن من

أهل نوح عليه السلام ، وقد ذكر تعالى ما يدل على خلاف ذلك ، حيث قال : { يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ } .
والجواب : أن معنى قوله : { ليس من أهلك } ، أي :
الموعد بنجاتهم في قوله : { لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ } ؛ لأنه
كافر لا مؤمن .

وقول نوح : { إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي } يظنه مسلماً من جملة
المسلمين الناجين كما يُشير إليه قوله تعالى : { فلا تسألني
ما ليس لك به علم } .

وقد شهد الله أنه ابنه حيث قال : { وَتَادَى نُوحٌ ابْنَهُ }
إلا أنه أخبره بأن هذا الابن عملٌ غير صالح ؛ لكفره ، فليس
من الأهل الموعد بنجاتهم ، وإن كان من جملة الأهل نسباً .
قوله تعالى : { وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ
بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ.. } الآية .

هذه الآية الكريمة تدل على أن إبراهيم رد السلام على
الملائكة . وقد جاء في سورة الحجر ما يُوهم أنهم لما سلموا
عليه أجابهم بأنه وجلٌ منهم ، من غير رد السلام ، وذلك قوله
تعالى : { فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ } (52) سورة
الحجر { .

والجواب ظاهر : وهو أن إبراهيم أجابهم بكلا الأمرين : رد
السلام والإخبار بوجهه منهم . فذكر أحدهما في هود ، والآخر
في الحجر . ويدل لذلك ذكره تعالى ما يدل عليهما معاً في
سورة الذاريات في قوله : { فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ
مُنْكَرُونَ } (25) سورة الذاريات { لأن قوله : { مُنْكَرُونَ } {

يدل على وجهه منهم . ويوضح ذلك قوله تعالى : { فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً } في هود والذاريات ، مع أن في كل منهم : { قَالَ سَلَامٌ } .

قوله تعالى : { خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض } الآية .

تقدم وجه الجمع بينه وبين الآيات التي يُظنّ تعارضهما معه ، كقوله تعالى : { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } في سورة الأنعام ، وسيأتي له إن شاء الله زيادة إيضاح في سورة النبأ . قوله تعالى : { وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } .

اختلف العلماء في المشار إليه بقوله : " ذلك " ، ف قيل : إلا من رحم ربك وللرحمة خلقهم .

والتحقيق : أن المشار إليه هو اختلافهم إلى سقي وسعيد ، المذكور في قوله : { وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } ولذلك الاختلاف خلقهم ، فخلق فريقاً للجنة وفريقاً للسعير ، كما نص عليه بقوله تعالى : { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ.. } الآية .

وأخرج الشيخان في صحيحهما ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه : " ثم يبعث الله إليك الملك فيؤمر بأربع كلمات : فيكتب رزقه ، وأجله وعمله ، وشقي أم سعيد " .

وروى مسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - " يا عائشة ، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم " .
وفي صحيح مسلم ، من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء " .

وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه
عن النبي ﷺ : " لا يدرى الله ما في قلبه " .

በህዝብ ጥቅም ላይ የሚውል ሲሆን ፡ በህዝብ {የህዝብ ጥቅም} ላይ የሚደረግ ማንኛውም ስህተት

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ { (56) سورة الذاريات
فلا يخفى ظهور التعارض بين هذه الآيات ، مع قوله تعالى : {

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه :

الأول - ونقله ابن جرير عن زيد بن أسلم وسفيان - : أن

معنى الآية : { ^{١٣}إِلَّا لِيَعْبُدُونِي ^{١٤}أَي : يعبدني السعداء منهم

ويعصيني الأشقياء . فالحكمة المقصودة من إيجاد الخلق -

التي هي عبادة الله - حاصلة بفعل السعداء منهم ، كما أشار

له قوله تعالى: { يَكْفُرُ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا

قَوْمًا لِّسُواْ بِهَا بَكَا فِرِينَ { .

وغاية ما يلزم على هذا القول ، أنه أطلق المجموع وأراد بعضهم ، وقد بيّنا أمثال ذلك من الآيات التي أطلق فيها المجموع مراداً بعضه ، في سورة الأنفال .

الوجه الثاني - هو ما رواه ابن جرير عن ابن عباس ، واختاره ابن جرير : أن معنى قوله : {إلا ليعبدون} أي : إلا ليقرؤا إليّ بالعبودية طوعاً أو كرهاً ؛ لأن المؤمن يُطيع باختياره ، والكفار مذعن منقاد لقضاء ربه جبراً عليه .

الوجه الثالث - ويظهر لي أنه هو الحق ؛ لدلالة القرآن عليه - : أن الإرادة في قوله : {ولذلك خلقهم} إرادة كونية قدرية ، والإدارية في قوله : {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} إرادة شرعية دينية . فبيّن في قوله : {ولذلك خلقهم} وقوله : {ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس} ؛ أنه أراد

بإرادته الكونية القدرية صيرورة قوم إلى السعادة ، وآخرين إلى الشقاوة وبيّن بقوله : {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} أنه يريد العبادة بإرادته الشرعية الدينية من الجن والإنس ، فيوفق من شاء بإرادته الكونية فيعبده ، ويخذل من شاء فيمتنع من العبادة .

ووجه دلالة القرآن على هذا : أنه تعالى بيّنه بقوله : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } فعمّم الإرادة الشرعية بقوله : {إِلَّا لِيُطَاعَ} ، وبيّن التخصيص في الطاعة بالإرادة الكونية بقوله : {بِإِذْنِ اللَّهِ}

فالدعوة عامة ، والتوفيق خاص .

وتحقيق النسبة بين الإرادة الكونية القدرية والإرادة الشرعية الدينية ، أنه بالنسبة إلى وجود المراد وعدم وجوده ، فالإرادة

الكونية أعمُّ مطلقاً ؛ لأن كل مراد شرعاً يتحقق وجوده في الخارج إذا أُريد كوناً وقدرأ ، كإيمان أبي بكر . وليس يوجد ما لم يرد كوناً وقدرأ ولو أُريد شرعأ ، كإيمان أبي لهب . فكل مراد شرعي حصل فبالإرادة الكونية ، وليس كل مراد كوني حصل مرادأ في الشرع .

وأما بالنسبة إلى تعلُّق الإرادتين بعبادة الإنس والجن لله تعالى ، فالإرادة الشرعية أعمُّ مطلقاً ، والإرادة الكونية أخصُّ مطلقاً ؛ لأن كل فرد من أفراد الجن والإنس أراد الله منه العبادة شرعأ لم يُردها من كُلِّهم كوناً وقدرأ فتعمُّ الإرادة الشريعة عبادة جميع الثقلين ، وتختصُّ الإرادة الكونية بعبادة السعداء منهم ، كما قدَّمنا من أن الدعوة عامة ، والتوفيق خاص كما بينه تعالى بقوله : { وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } فصرَّح بأنه يدعو الكل ، ويهدي من شاء منهم .

وليست النسبة بين الإرادة الشرعية والقدرية العموم والخصوص من وجه ؛ بل هي العموم والخصوص المطلق ، كما بينا ، إلا أن إحداهما أعمُّ مطلقاً من الأخرى باعتبار ، والثانية أعمُّ مطلقاً باعتبار آخر ، كما بينا والعلم عند الله تعالى .

سورة يوسف

قوله تعالى : { وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ .. } الآية .
هذه الآية يدل ظاهرها على أن بعض الأنبياء ربما بُعث من
البادية . وقد جاء في موضع آخر ما يدل على خلاف ذلك ،
وهو قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا
نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى } .
وأجبي عن هذا بأجوبة :
منها : أن يعقوب نُبئ من الحضر ، ثم انتقل بعد ذلك إلى
البادية .

ومنها : أن المراد بالبدو نزول موضع اسمه " بدا " هو
المذكور في قوله جميل أو كثير :
وأنت الذي حُب شغباً إلى بدا إليّ وأوطاني
بلاؤ سواهما

حللت بهذا مرة ثم مرة بهذا فطاب
الواديان كلاهما
وهذا القول مروى عن ابن عباس . ولا يخفى بعد هذا القول ،
كما نبه عليه الألوسي في تفسيره .
ومنها : أن البدو الذي جاءوا منه مُستند للحضر ، فهو في
حكمه والله تعالى أعلم .

سورة الرعد

قوله تعالى : { إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ... } .

هذه الآية الكريمة فيها التصريح بأن لكل قوم هادياً . وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أن بعض الأقوام لم يكن لهم هادٍ ، سواء فسّرنا الهدى بمعناه الخاص أو بمعناه العام . فمن الآيات الدالة على أن بعض الناس لم يكن لهم هاد بالمعنى الخاص ؛ قوله تعالى : { وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ خِطْبًا فَسَوْفَ يَسْتَرْفِعُوا إِلَيْكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَضِلُّونَ } . ونظيرها قوله : { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } ، وقوله : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } وقوله : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } إلى غير ذلك من الآيات .

ومن الآيات الدالة على أن بعض الأقوام لم يكن لهم هاد بالمعنى العام ، الذي هو إبانة الطريق ، قوله تعالى : { لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ (6) سورة يس } بناء على التحقيق من أن " ما " نافية لا موصولة ، وقوله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ .. } الآية . فالذين ماتوا في هذه الفترة ، لم يكن لهم هادٍ بالمعنى الأعم أيضاً .

والجواب عن هذا من أربعة أوجه .
الأول : أن معنى قوله : { وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } أي داع يدعوهم ويُرشدهم ، إما إلى خير الأنبياء ، وإما إلى شر كالشياطين . أي وأنت يا رسول الله منذر هادٍ إلى كل خير .

على وفق ما سبق به العلم الأزلي ، كقوله تعالى : { إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هَٰذَا هُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ } .
الثالث : أن معنى : { وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } أي : قائد ، والقائد :
الإمام والإمام : العمل . قاله أبو العالية ، كما نقله عنه ابن
كثير .

وعلى هذا القول ، فالمعنى : ولكل قوم عمل يهديهم إلى ما
هم صائرون إليه من خير وشر . ويدلُّ لمعنى هذا الوجه قوله
تعالى : { هَٰنَالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ } على قراءة من
قرأها بتاءين مثنائين ، بمعنى : تتبع كل نفس ما أسلف من
خير وشر .

وأما على القول بأن معنى : " تتلو " : تقرأ في كتاب عملها
ما قدمت من خير وشر ، فلا دليل في الآية . ويدل له أيضاً
حديث : " لتتبع كل أمة ما كانت تعبد . فيتبع من كان يعبد
الشمس : الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع
من كان يعبد الطواغيت : الطواغيت " الحديث .

الرابع : وبه قال مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد - : أن
المراد بالقوم الأمة ، والمراد بالهادي النبي . فيكون معنى
قوله : { وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } أي : ولكل أمة نبي ، كقوله
تعالى : { وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ } وقوله : { ولكل
أمة رسول } .

وكثيراً ما يُطلق في القرآن اسم القوم على الأمة ، كقوله :
{ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه } ، ونحو ذلك .

وعلى هذا القول ، فالمراد بالقوم في قوله : {ولكل قوم هادٍ} أعمُّ من مطلق ما يصدق عليه اسم القوم لغةً . ومما يوضح ذلك : حديث معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه في السنن والمسانيد : "" أنتم توفون سبعين أمة " الحديث . ومعلوم أن ما يُطلق عليه اسم القوم لغةً ، أكثر من سبعين بأضعاف وحاصل هذا الوجه الرابع أن الآية كقوله : { وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ } وقوله : { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ } وهذا لا إشكال فيه ، لحصر الأمم في سبعين ، كما بين في الحديث . فأبَاء القوم الذين لم يندروا مثلاً ، المذكورون في قوله : {لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم} ليسوا أمة مستقلة ، حتى يرد الإشكال في عدم إنذارهم ، مع قوله : {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} بل هم بعض أمة . وقوله تعالى : { وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ } لا يشكل عليه قوله تعالى : {ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً} لأن المعنى : أرسلنا إلى جميع القرى ، بل إلى الأسود والأحمر ، رسولاً واحداً ، هو محمد ﷺ

والمشركين منفيين { إلى أن قال : { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ { وبين
في موضع آخر أن الكافرين من أهل الكتاب أكثر ، وهو قوله
: { { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا
لَّهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) سورة آل
عمران { .

والجواب : أن الآية من العام المخصوص ، فهي في خصوص
المؤمنين من أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام ومن أسلم
من اليهود ، وكالثمانين الذين أسلموا من النصارى
المشهورين ، كما قاله الماوردي وغيره ، وهو ظاهر ويدل
عليه التبعض في قوله تعالى : { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ.. { الآية .

سورة إبراهيم

قوله تعالى : {ويأتيه الموت في كل مكان ..} الآية .
يُفهم من ظاهره موث الكافر في النار . وقوله : {وما هو
بميت} يُصرِّح بنفي ذلك .

والجواب : أن معنى : {ويأتيه الموت} ، أي أسبابه
المقتضية له عادة ، إلا أن الله يُمسك روحه في بدنه مع
وجود ما يقتضي موته عادة . وأوضح هذا المعنى بعض
المتأخرين ممن لا حُجة في قوله : بقوله :
ولقد قتلتك بالهزاء فلم تمت إن الكلاب طويلة

الأعمار

قوله تعالى : {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ}
الآية .

هذه الآية الكريمة فيها التصريح بتبديل الأرض يوم القيامة .
وقد جاء في آية أخرى ما يُتوهم منه أنها تبقي ولا تتغير ،
وهي قوله تعالى : {إنا جعلنا مع على الأرض زينة لها لنبلوهم
أيهم أحسن عملاً ، وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً} فإنه
تعالى في هذه الآية صرح بأنه جعل ما على الأرض زينة لها ؛
لابتلاء الخلق ، ثم بين أنه يجعل ما على الأرض صعيداً جرزاً ،
ولم يذكر أنه يتغير نفس الأرض ؛ فيتوهم منه أن التغير
حاصل في ما عليها دون نفسها .

والجواب : هو أن حكمة ذكر ما عليها دونها ، لأن ما على
الأرض من الزينة والزخارف ومتاع الدنيا ، هو سبب الفتنة
والطغيان ومعصية تعالى .

فالإخبار عنه بأنه فإن زائل ؛ فيه أكبر واعظٍ وأعظم زاجرٍ
 عن الافتتان به ، ولهذه الحكمة خصّ بالذكر ؛ فلا ينافي تبديل
 الأرض المصرح به في الآية الأخرى ، كما هو ظاهر ، مع أن
 مفهوم قوله : { ما عليها } مفهوم لقبٍ ؛ لأن الموصول الذي
 هو " ما " واقع على جميع الأجناس الكائنة على الأرض زينة
 لها . ومفهوم اللقب لا يُعتبر عند الجمهور ، وإذا كان لا اعتبار
 به لم تظهر منافات أصلاً . والعلم عند الله تعالى .



دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب

لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى

المدرس بكلية الشريعة بالجامعة



سورة النحل

قوله تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ}
 الآية. هذه الآية الكريمة تدل على أن هؤلاء الضالين المضلين يحملون أوزارهم كاملة ويحملون أيضاً من
 أوزار الأتباع الذين أضلوهم. وقد جاءت آيات أخر تدل أنه لا يحمل أحد وزر غيره كقوله تعالى: {وَإِنْ تَدْعُ
 مُنْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلٍهَا لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} وقوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
 أُخْرَىٰ}.
 والجواب: أن هؤلاء الضالين ما حملوا إلا أوزار أنفسهم لأنهم تحمّلوا وزر الضلال ووزر الإضلال .
 فمن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً لأن تشريعه لها
 لغيره ذنب من ذنوبه فأخذ به، وبهذا يزول الإشكال أيضاً في قوله تعالى: {وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ
 أَثْقَالِهِمْ} الآية.
قوله تعالى: {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} الآية. هذه
 الآية الكريمة يفهم منها أن السكر المتخذ من ثمرات النخيل والأعنب لا بأس به لأن الله

امتن به على عباده في سورة الامتنان التي هي سورة النحل، وقد حرّم تعالى الخمر بقوله: {رَحْسٌ
 مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ} الآية، لأنه وصفها بأنها رجس وأنّها من عمل الشيطان
 وأمر باجتنابها ورتب عليه رجاء الفلاح، ويفهم منه أن من لم يجتنبها لم يفلح وهو كذلك، وقد بيّن صلى الله
 عليه وسلم أن كل ما خامر العقل فهو خمر وأن كل مسكر حرام وأن ما أسكر كثيره فقليله حرام.
 والجواب ظاهر وهو أن آية تحريم الخمر ناسخة لقوله: {تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا}. الآية. ونسخها له هو

التحقيق خلافا لما يزعمه كثير من الأصوليين من أن تحريم الخمر ليس نسخا لإباحتها الأولى؛ لأن إباحتها الأولى إباحة عقلية، وهي المعروفة عند الأصوليين بالبراءة الأصلية، وتسمى استصحاب العدم الأصلي، والإباحة العقلية ليست من الأحكام الشرعية حتى يكون رفعها نسخا، ولو كان رفعها نسخا لكان كل تكليف في الشرع ناسخا للبراءة الأصلية من التكليف به، وإلى كون الإباحة العقلية ليست من الأحكام الشرعية أشار في مراقي السعود بقوله:

وما من الإباحة العقلية
كما أشار إلى أن تحريم الخمر ليس نسخا لإباحتها؛ لأنها إباحة عقلية وليست من الأحكام الشرعية حتى يكون رفعها نسخا بقوله:
أباحها في أول الإسلام

وإنما قلنا إن التحقيق هو كون تحريم الخمر ناسخا لإباحتها؛ لأن قوله: **{تَجِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا}** يدل على إباحة الخمر شرعا، فرفع هذه الإباحة المدلول عليها بالقرآن رفع حكم شرعي فهو نسخ بلا شك، ولا يمكن أن تكون إباحتها عقلية إلا قبل نزول هذه الآية كما هو ظاهر، ومعلوم عند العلماء أن الخمر نزلت في شأنها أربع آيات من كتاب الله:

- **الأولى:** هذه الآية الدالة على إباحتها.
- **الثانية:** الآية التي ذكر فيها بعض معانيها، وأن فيها منافع وصرحت بأن إثمها أكبر من نفعها، وهي قوله تعالى: **{قُلْ فِيهَا إِنَّكُمْ كَيْسٌ وَمَتَاعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ تَفْعِيلِهَا}** فشرها بعد نزولها قوم للمنافع المذكورة، وتركها آخرون للإثم الذي هو أكبر من المنافع.
- **الثالثة:** الآية التي دلت على تحريمها في أوقات الصلاة دون غيرها، وهي قوله: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}** الآية.
- **الرابعة:** الآية التي حرمتها تحريما باتا مطلقا، وهي قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ}** إلى قوله: **{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}**، والعلم عند الله تعالى.

وأما على قول من زعم أن السكر: الطعام، كما اختاره ابن جرير وأبو عبيدة، أو أنه الخل فلا إشكال في الآية.

قوله تعالى: {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ} الآية. هذه الآية الكريمة فيها التصريح بأن الشيطان له سلطان على أوليائه، ونظيرها الاستثناء في قوله تعالى: **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}**.
وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على نفي سلطانه عليهم كقوله تعالى: **{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيْقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ}** الآية، وقوله تعالى حاكيا عنه مقررًا له: **{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ}** الآية.
والجواب: هو أن السلطان الذي أثبت له عليهم غير السلطان الذي نفاه؛ وذلك من وجهين:
الأول: أن السلطان المثبت له هو سلطان إضلاله لهم بتزيينه، والسلطان المنفي هو سلطان الحجة، فلم يكن لإبليس عليهم من حجة يتسلط بها غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا برهان، وإطلاق السلطان على البرهان كثير في القرآن.

الثاني: أن الله لم يجعل له عليهم سلطانا ابتداء البتة، ولكنهم هم الذين سلطوه على أنفسهم بطاعته، ودخولهم في حربه فلم يتسلط عليهم بقوة؛ لأن الله يقول: **{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}**، وإنما تسلط عليهم بإرادتهم واختيارهم، ذكر هذا الجواب بوجهيه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}. هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن معية الله خاصة بالمتقين المحسنين، وقد جاء في آيات آخر ما يدل على عمومها، وهي قوله: **{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ}**، وقوله: **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}**، وقوله: **{فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْلَمَ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ}**، **{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ}** الآية. والجواب: أن لله معية خاصة ومعية عامة، فالمعية الخاصة بالنصر والتوفيق والإعانة، وهذه لخصوص المتقين المحسنين كقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا}**. وقوله: **{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْتُمْ أَنِّي مَعَكُمْ}**. الآية، وقوله: **{لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}**. ومعية عامة بالإحاطة والعلم؛ لأنه تعالى أعظم وأكبر من كل شيء، محيط بكل شيء، فجميع الخلائق في يده أصغر من حبة خردل في يد أحدنا وله المثل الأعلى، وسيأتي له زيادة إيضاح في سورة الحديد - إن شاء الله - وهي عامة لكل الخلائق كما دلت عليه الآيات المتقدمة.

سورة بني إسرائيل

قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا}. هذه الآية الكريمة فيها التصريح بأن الله تعالى لا يعذب أحدا حتى ينذره على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام، ونظيرها قوله تعالى: **{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}**، وقوله تعالى: **{ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ}**، إلى غير ذلك من الآيات، ويؤيده تصريحه تعالى بأن كل أفواج أهل النار جاءتهم الرسل في دار الدنيا في قوله تعالى: **{كَلِمَاتٍ أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا}** الآية. ومعلوم أن (كلمات) صيغة عموم، ونظيرها قوله تعالى: **{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا}** إلى قوله تعالى: **{قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ}** فقوله: **{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا}** يعم كل كافر، لما تقرر في الأصول من أن

الموصلات من صيغ العموم، لعمومها كَلِّمًا تشمله صلاتها كما أشار له في مراقي السعود بقوله:

وقد تلا الذي التي الفروع

ومعنى قوله: (وقد تلا الذي الخ..): أن (الذي)، و(التي) وفروعها صيغ عموم ككل وجميع، ونظيره أيضا قوله تعالى: **{وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ فِيهَا}** إلى قوله: **{وَجَاءَ كُمْ النَّذِيرُ}** فانه عام أيضا؛ لأن أول الكلام **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ}** وأمثال هذا كثيرة في القرآن مع أنه جاء في بعض الآيات ما يفهم منه أن أهل الفترة في النار، كقوله تعالى: **{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}**، فإن عمومها يدل على دخول من لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك عموم قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}**، وقوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}**. وقوله: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا}** الآية. إلى غير ذلك من الآيات. اعلم أولا: أن من ياتيه نذير في دار الدنيا وكان كافرا حتى مات اختلف العلماء فيه هل هو من أهل النار لكفره أو هو معذور لأنه لم ياتيه نذير؟ كما أشار له في مراقي السعود بقوله:

وفي الأصول بينهم نزاع

دو فترة بالفرع لا يراعى

وسنذكر إن شاء الله جواب أهل كل واحد من القولين، ونذكر ما يقتضي الدليل رجحانه، فنقول:

-وبالله نستعين- قد قال قوم: إن الكافر في النار ولو مات في زمن الفترة وممن جزم بهذا القول النووي في شرح مسلم؛ لدلالة الأحاديث على تعذيب بعض أهل الفترة، وحكى القرافي في (شرح التنقيح) الإجماع على أن موتي أهل الجاهلية في النار لكفرهم كما حكاه عنه صاحب (نشر البنود) وأجاب أهل هذا القول عن آية: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ}** وأمثالها من ثلاثة أوجه:

الأول: إن التعذيب المنفي في قوله: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ}** وأمثالها هو التعذيب الدنيوي فلا ينافي ثبوت التعذيب في الآخرة، وذكر الشوكاني في تفسيره أن اختصاص هذا التعذيب المنفي بالدنيا دون الآخرة ذهب إليه الجمهور، واستظهر هو خلافه، ورد التخصيص بعذاب الدنيا بأنه خلاف الظاهر من الآيات، وبأن الآيات المتقدمة الدالة على اعتراف أهل النار جميعا بأن الرسل أُنذروهم في دار الدنيا صريح في نفيه. الثاني: أن محل العذر بالفترة المنصوص في قوله: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ}** الآية وأمثالها في غير الواضح الذي لا يلتبس على عاقل، أما الواضح الذي لا يخفى على من عنده عقل كعبادة الأوثان فلا يعذر فيه أحد؛ لأن جميع الكفار يقرّون بأن الله هو ربهم وهو خالقهم ورازقهم، ويتحققون أن الأوثان لا تقدر على جلب نفع ولا على دفع ضرر، لكنهم غلطوا أنفسهم فزعموا أنها تقرّبهم إلى الله زلفى، وأنها شفعاؤهم عند الله مع أن العقل يقطع بنفي ذلك.

الثالث: أن عندهم بقية إنذار مما جاءت به الرسل الذين أرسلوا قبله - صلى الله عليه وسلم - تقوم عليهم بها الحجة، ومال إليه بعض الميل ابن قاسم في (الآيات البينات) وقد قدمنا في سورة آل عمران أن هذا القول يردّه القرآن في آيات كثيرة مصرحة بنفي أصل النذير عنهم كقوله: **{لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤَهُمْ}** وقوله: **{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ يَلَّ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَنَا لَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ}**، وقوله: **{وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَةً مِنْ رَبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَنَا لَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ}** وقوله: **{وَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَنْذِرُوهَا وَمَا أَزْسلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ}**، إلى غير ذلك من الآيات. وأجاب القائلون بأن أهل الفترة معذورون عن مثل قوله **{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ}** - إلى قوله - **{مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}** من الآيات المتقدمة، بأنهم لا يتيبن أنهم من أصحاب الجحيم ولا يحكم لهم بالنار، ولو ماتوا كفارا إلا بعد إنذارهم وامتناعهم من الإيمان كإبي طالب، وحملوا الآيات المذكورة على هذا المعنى، واعترض هذا الجواب بما ثبت في الصحيح من دخول بعض أهل الفترة النار كحديث **"إِنْ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ"** الثابت في صحيح مسلم وأمثاله من الأحاديث، واعترض هذا الاعتراض بأن الأحاديث - وإن صحت - فهي أخبار آحاد يقدم عليها القاطع كقوله: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا}**، واعترض هذا الاعتراض أيضا بأنه لا يعارض عام وخاص فما أخرجه حديث صحيح خرج من العموم وما لم يخرج نص صحيح بقي داخلا في العموم، واعترض هذا الاعتراض أيضا بأن هذا التخصيص يبطل علة العام؛ لأن الله تعالى تمدح بكمال الإنصاف، وصرح بأنه لا يعذب حتى يقطع حجة المعذب بإنذار الرسل في دار الدنيا، ويبيّن أن ذلك الإنصاف التام علة لعدم التعذيب، فلو عذب إنسانا واحدا من غير إنذار لاخلت تلك الحكمة ولثبتت لذلك المعذب الحجة التي بعث الله الرسل لقطعها كما صرح به في قوله: **{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}** وهذه الحجة بينها في سورة طه بقوله: **{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ}** الآية، وأشار لها في سورة القصص بقوله: **{وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ}** إلى قوله: **{وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}**، وهذا الاعتراض الأخير يجري على الخلاف في النقض هل هو قاذح في العلة أو تخصيص لها؟ وهو اختلاف كثير معروف في الأصول عقده في مراقي السعود بقوله: - في تعداد القوادح في الدليل - :

سماه بالنقض وعاء العلم

منها وجود الوصف دون الحكم

بل هو تخصيص وذا مصحح

والأكثرون عندهم لا يقدح

إن يك الاستنباط لا التنقيص

وقد روى عن مالك تخصيص

ومنتقى ذي الاختصار النقض

وعكس هذا قد رآه البعض

وليس فيما استنبطت بضائر

إن لم تكن منصوصة بظاهر

والوفق في مثل العرايا قد وقع

إن جاء لفقد الشرط أو لما منع

والمحققون من أهل الأصول على أن عدم تأثير العلة إن كان لوجود مانع من التأثير أو انتفاء شرط التأثير فوجودها مع تخلف الحكم لا ينقضها ولا يقدح فيها وخروج بعض أفراد الحكم حينئذ تخصيص للعلة لا تقص لها كالقتل عمدا عدوانا فانه علة القصاص إجماعا ولا يقدح في هذه العلة تخلف الحكم عنها في قتل الوالد لولده لأن تأثيرها منع منه مانع هو الأبوة وأما إن كان عدم تأثيرها لا لوجود مانع أو انتفاء بشرط فانه

يكون نقصانها وقدحا فيها ولكن يرد على هذا التحقيق ما ذكره بعض العلماء من أن قوله تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ}** علة منصوصة لقوله: **{وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمُ}** الآية، مع أن هذه العلة قد توجد ولا يوجد ما عذب به بنو النضير من جلاء أو تعذيب دينوي وهو يؤيد كون النقص تخصيصاً مطلقاً لا قدحاً. ويجب أن هذا بأن بعض المحققين من الأصوليين قال: إن التحقيق المذكور محله في العلة المستنبطة دون المنصوصة وهذه منصوصة كما قدمنا ذلك في آيات مراقي السعود في قوله: وليس فيما استنبطت بضائر

إن جاء لفقد الشرط أو لما منع هذا ملخص كلام العلماء وحججهم في المسألة، والذي يظهر رجحانه بالدليل هو الجمع بين الأدلة؛ لأن الجمع واجب إذا أمكن بلا خلاف كما أشار له في المراقى بقوله: والجمع واجب متى ما أمكن... الخ. ووجه الجمع بين هذه الأدلة هو عذرهم بالفترة وامتحانهم يوم القيامة بالأمر باقتحام نار فمن اقتحمها دخل الجنة وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءت في الدنيا ومن امتنع عذب بالنار وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءت في الدنيا لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل وبهذا الجمع تتفق الأدلة فيكون أهل الفترة معذورين، وقوم منهم من أهل النار بعد الامتحان، وقوم منهم من أهل الجنة بعده أيضاً، ويحمل كل واحد من القولين على بعض منهم علم الله مصيرهم، وأعلم به نبيه صلى الله عليه وسلم، فيزول التعارض. والدليل على هذا الجمع ورود الأخبار به عنه صلى الله عليه وسلم. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا}** بعد أن ساق طرق الأحاديث الدالة على عذرهم وامتحانهم يوم القيامة راذاً على ابن عبد البر تضعيف أحاديث عذرهم وامتحانهم ما نصه: "والجواب عما قال، إن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها" انتهى محل الغرض منه بلفظه، ثم قال "إن هذا قال به جماعة من محققي العلماء والحفاظ والنقاد وما احتج به البعض لرد هذه الأحاديث من أن الآخرة دار جزاء لا دار عمل وابتلاء فهو مردود من وجهين: الأول أن ذلك لا ترد به النصوص الصحيحة عنه صلى الله عليه وسلم ولو سلمنا عموم ما قال من أن الآخرة ليست دار عمل لكأن الأحاديث المذكورة مخصصة لذلك العموم. الثاني: أنا لا نسلم انتفاء الامتحان في عرصات المحشر بل نقول دل القاطع عليه؛ لأن الله تعالى صرح في سورة القلم بأنهم يُدْعَوْنَ إِلَى السَّجْدَةِ فِي قَوْلِهِ جَل وَعَلَا: **{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السَّجْدَةِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ}** الآية ومعلوم أن أمرهم بالسجود تكليف في عرصات المحشر، وثبت في الصحيح أن المؤمنين يسجدون يوم القيامة وأن المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفحة الواحدة طبقاً واحداً كلما أراد السجود خثر لقفاه، وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجاً منها أن الله يأخذ عهوده وموآثيقه أن لا يسأل غير ما هو فيه، ويتكرر ذلك مراراً، ويقول الله تعالى يا ابن آدم ما أغدرك ثم يأذن له في دخول الجنة، ومعلوم أن تلك العهود والموآثيق تكليف في عرصات المحشر والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا}: هذه الآية يظهر تعارضها مع قوله تعالى: **{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ}**، ووجه الجمع أن الحصر في آية الإسراء حصر في المانع العادي والحصر في آية الكهف في المانع الحقيقي. وإيضاحه: هو ما ذكره ابن عبد السلام من أن معنى آية الكهف وما منع الناس أن يؤمنوا إلا أن الله أراد أن تأتيهم سنة الأولين من أنواع الهلاك في الدنيا أو يأتيهم العذاب قبلًا في الآخرة، فأخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الأمرين ولا شك أن إرادة الله مانعة من وقوع ما ينافي مراده فهذا حصر في المانع الحقيقي لأن الله هو المانع في الحقيقة. ومعنى آية سبحان الذي أسرى أنه ما منع الناس من الإيمان إلا استغرابهم أن الله يبعث رسولا من البشر واستغرابهم لذلك ليس مانعاً حقيقياً بل عادياً يجوز تخلفه فيوجد الإيمان معه بخلاف الأول فهو حقيقي لا يمكن تخلفه ولا وجود الإيمان معه. ذكر هذا الجمع صاحب الإتيان، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: {وَتَخَشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} الآية، هذه الآية الكريمة يدل ظاهرها على أن الكفار يبعثون يوم القيامة عُمياً وبُكماً وصُماً. وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: **{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ تَأْتُونَنَا}**، وكقوله **{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِقُوهَا}**، وكقوله: **{رَبَّنَا أَنْصِرْنَا وَاسْمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا}**. الآية والجواب عن هذا من أوجه:

الوجه الأول: هو ما استظهره أبو حيان من كون المراد مما ذكر حقيقته ويكون ذلك في مبدأ الأمر ثم يرد الله تعالى إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم فيرون النار ويسمعون زفيرها وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم في غير موضع.

الوجه الثاني: أنهم لا يرون شيئاً يسرهم ولا يسمعون كذلك ولا ينطقون بحجة كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه وأخرج ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس وروى أيضاً عن الحسن كما ذكره الألوسي في تفسيره فتزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة العدم لعدم الانتفاع به كما تقدم نظيره.

الوجه الثالث: أن الله إذا قال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون وقع بهم ذاك العمى والصم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج قال تعالى: **{وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا طَلَّمُوا فِيهِمْ لَا يَنْطَلِقُونَ}** وعلى هذا القول تكون الأحوال الثلاثة مقدرة.

سورة الكهف

قوله تعالى: {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا}. هذه الآية تدل بظاهرها على أن المكروه على الكفر لا يفلح أبداً. وقد جاءت آية أخرى تدل على أن

المكره على الكفر معذور إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان وهي قوله تعالى: **{إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صُدْرًا}**. الآية.
والجواب عن هذا من وجهين:

الأول: إن رفع المؤاخذه مع الإكراه من خصائص هذه الأمة فهو داخل في قوله تعالى: **{وَيَصْنَعُ عَنْهُمْ إِضْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}** ويدل لهذا قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه". فهو يدل بمفهومه على خصوصه بأتمته صلى الله عليه وسلم وليس مفهوم لقب؛ لأن مناط التخصيص هو اتصافه صلى الله عليه وسلم بالأفضلية على من قبله من الرسل واتصاف أتمته بها على من قبلها من الأمم. والحديث وإن أعله أحمد وابن أبي حاتم فقد تلقاه العلماء قديماً وحديثاً بالقبول ومن أصرح الأدلة في أن من قبلنا ليس لهم عذر بالإكراه، حديث طارق⁴ [1] بن شهاب في الذي دخل النار في ذباب قربه لصنم مع أنه قربه ليتخلص من شر عبدة الصنم، وصاحبه الذي امتنع من ذلك قتلوه فعلم أنه لو لم يفعل لقتلوه كما قتلوا صاحبه ولا إكراه أكبر من خوف القتل ومع هذا دخل النار ولم ينفعه الإكراه، وظواهر الآيات تدل على ذلك فقوله: **{وَلَنْ تُغْلِبُوا إِذَا أَبَدْنَا}** ظاهر في عدم فلاحهم مع الإكراه؛ لأن قوله: **{يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ فِي مَلْتَمِهِمْ}** صريح في الإكراه وقوله: **{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}** مع أنه تعالى قال: "قد فعلت" كما ثبت في صحيح مسلم يدل بظاهره على أن التكاليف بذلك كان معهوداً قبل، وقوله تعالى: **{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَتْسِي}** مع قوله: **{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ}** فأسند إليه النسيان والعصيان معاً يدل على ذلك أيضاً وعلى القول بأن المراد بالنسيان الترك فلا دليل في الآية. وقوله: **{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}** مع قوله: **{كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الدِّينِ مِنْ قَبْلِنَا}** ويستأنس لهذا بما ذكره البغوي في تفسيره عن الكلبي من أن المؤاخذه بالنسيان كانت من الأصر على من قبلنا وكان عقابها يعجل لهم في الدنيا فيحرم عليهم بعض الطيبات. وقال بعض العلماء: إن الإكراه عذر لمن قبلنا وعليه فالجواب هو:

الوجه الثاني: أن الإكراه على الكفر قد يكون سبباً لاستدراج الشيطان إلى استحسانه والاستمرار عليه كما يفهم من مفهوم قوله تعالى: **{وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}** وإلى هذا الوجه جنح صاحب روح المعاني والأول أظهر عندي وأوضح والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: {فَارَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا}. هذه الآية تدل على أن عيبها يكون سبباً لترك الملك الغاصب لها ولذلك خرقها الخضر وعموم قوله: **{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ غَصْبًا}** يقتضي أخذ الملك للمعيبة والصحيحة معاً. والجواب أن في الكلام حذف الصفة وتقديره: كل سفينة صالحة صحيحة. وحذف النعت إذا دل المقام عليه جاز كما أشار له ابن مالك في الخلاصة بقوله:

وما من المنعوت والنعت عقل

ومن شواهد حذف الصفة قول الشاعر:

ورب أسيلة الخدين بكر

أي لها فرع فاحم وجيد طويل.

وقول عبيد بن الأبرص الأسدي:

من قوله قول ومن فعله

يعني من قوله قول فصل وفعله فعل جميل ونائله نائل جزل.

مهففة لها فرع وجيد

فعل ومن نائله نائل

دفع إيهام الاضطراب

عن آيات الكتاب

لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

المدرس في كلية الشريعة بالجامعة

سورة مريم

قوله تعالى: **{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}** الآية. هذه الآية الكريمة تدل على أن كل الناس لابد لهم من ورود النار وأكد ذلك بقوله: **{كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا}** وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أن بعض الناس مبعد عنها لا يسمع لها حساً وهي قوله تعالى: **{أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا}** الآية.

والجواب هو ما ذكره الألوسي وغيره من أن معنى قوله: **{مُبْعَدُونَ}**: أي عن عذاب النار وألمها. وقيل: المراد إبعادهم عنها بعد أن يكونوا قريباً منها، ويدل للوجه الأول ما أخرجه الإمام أحمد والحكيم الترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه وجماعة عن أبي سمية قال: "اختلفنا في الورود فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن وقال آخر: يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقبت جابر ابن عبد الله رضي الله عنه فذكرت ذلك له، فقال- وأهوى بإصبعيه إلى أذنيه:- صمنا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا". وروى جماعة عن ابن مسعود أن ورود النار هو المرور عليها؛ لأن الناس تمر على الصراط وهو جسر منصوب على متن جهنم. وأخرج عبد بن عبد حميد وابن الأنباري والبيهقي عن الحسن الورود: المرور عليها من غير

دخول. وروى ذلك أيضا عن قتادة قاله الألوسي.
واستدل القائلون بأن الورود نفس الدخول كابن عباس بقوله تعالى: **{ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ }**
وقوله: **{ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوها }** وقوله: **{ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }**، فالورود
في ذلك كله بمعنى الدخول واستدل القائلون بأن الورود القرب منها من غير دخول بقوله تعالى:
{ وَلَمَّا وَرَدَ ماء مَدْيَنَ }، وقول زهير:
فلما وردن الماء زرفاً جمامة
وضعن عصى الحاضر المتخيم

سورة طه

قوله تعالى: **{ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا }** هذه الآية الكريمة يتوهم منها أنه جل وعلا لم
يخفها بالفعل ولكنه قارب أن يخفيها؛ لأن (كاد) فعل مقاربة. وقد جاء في آيات أخر التصريح بأنه أخفاها
كقوله تعالى: **{ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَغْلِبُهَا إِلَّا هُوَ }** وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن
المراد بمفاتيح الخمس المذكورة في قوله تعالى: **{ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ }** الآية. وكقوله:
{ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي } وقوله: **{ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا }** إلى غير ذلك من الآيات. والجواب
من سبعة أوجه:

الأول: وهو الراجح، أن معنى الآية أكاد أخفيها من نفسي أي لو كان ذلك يمكن وهذا على عادة
العرب؛ لأن القرآن نزل بلغتهم والواحد منهم إذا أراد المبالغة في كتمان أمر قال كتمته من نفسي أي
لا أبوح به لأحد، ومنه قول الشاعر:
أيام تصحيني هند وأخبرها
ما كدت أكتمه عني من الخير

ونظير هذا من المبالغة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السبعة الذين يظلمهم الله "ورجل
تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه". وهذا القول مروى عن أكثر المفسرين،
وممن قال به ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح كما نقله عنهم ابن جرير وجعفر الصادق كما نقله
عنه الألوسي في تفسيره ويؤيد هذا القول أن في مصحف أبي (أكاد أخفيها من نفسي) كما نقله
الألوسي وغيره وروى ابن خالويه أنها في مصحف أبي كذلك بزيادة (فكيف أظهركم عليها) وفي بعض
القراءات بزيادة (فكيف أظهرها لكم) وفي مصحف عبد الله ابن مسعود بزيادة (فكيف يعلمها مخلوق)
كما نقله الألوسي وغيره.

الوجه الثاني: أن معنى الآية أكاد أخفيها أي أخفي الأخبار بأنها آتية والمعنى أقرب أن أترك
الأخبار عن إتيانها من أصله لشدة إخفائي لتعيين وقت إتيانها.
الوجه الثالث: أن الهمزة في قوله: (أخفيها) هي همزة السلب لأن العرب كثيرا ما تجعل الهمزة
أداة لسلب الفعل كقولهم شكا إلي فلان فأشكيتني أي أزلت شكايته وقولهم عقل البعير فأعقلته أي
أزلت عقله وعلى هذا فالمعنى أكاد أخفيها أي أزيل خفاءها بأن أظهرها لقرب وقتها كما قال تعالى:
{ أَفْتَرَبِ السَّاعَةَ }. الآية. وهذا القول مروى عن أبي علي كما نقله عنه الألوسي في تفسيره ونقله
النيسابوري في تفسيره عن أبي الفتح الموصلي ومنه قول امرئ القيس ابن عباس الكندي:
وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

فإن تدفنوا الداء لا نخفه

على رواية ضم النون من لا نخفه وقد نقل ابن جرير في تفسير هذه الآية عن معمر بن معمر بن المثنى
أنه قال: أنشدني أبو الخطاب عن أهله في بلده بضم النون من لا نخفه ومعناه لا نظهره أما على
الرواية المشهورة بفتح النون من لا نخفه فلا شاهد في البيت إلا على قراءة من قرأ أكاد أخفيها بفتح
الهمزة وممن قرأ بذلك أبو الدرداء وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وحמיד وروى مثل ذلك عن ابن
كثير وعاصم وإطلاق خفاء يخفيه بفتح الياء بمعنى أظهره إطلاق مشهور صحيح إلا أن القراءة به لا
تخلو من شذوذ ومنه البيت المذكور على رواية فتح النون وقول كعب بن زهير أو غيره:
داب شهرين ثم شهرا دميكا
باريكن يخفيان غميرا

أي يظهرانه. وقول امرئ القيس:
خفاهن من إنفاقهن كأنما
خفاهن ودق من عشي مجلب
الوجه الرابع: أن خبر كاد محذوف والمعنى علي هذا القول أن الساعة آتية أكاد أظهرها فحذف
الخبر ثم ابتدأ الكلام بقوله: **{ أَخْفِيهَا لِئَجْزَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى }**، ونظير ذلك من كلام العرب
قول ضابئي ابن الجرث البرجمي:
هممت ولم أفعل وكدت وليتني
يعني وكدت أفعل.

الوجه الخامس: أن كاد تأتي بمعنى أراد وعليه فمعنى أكاد أخفيها أريد أن أخفيها وإلى هذا
القول ذهب الأخفش وابن الأنباري وأبو مسلم كما نقله عنهم الألوسي وغيره قال ابن جني في
المحتسب ومن مجيء كاد بمعنى أراد قول الشاعر:

كادت وكدت وتلك خير إرادة
لو عاد من لهو الصباية ما مضى
كما نقله عنه الألوسي. وقال بعض العلماء أن من مجيء كاد بمعنى أراد قوله تعالى: **{ كَذَلِكْ
كَذَّبْنَا لِيُوسُفَ }** أي أردنا له كما ذكره النيسابوري وغيره ومنه قول العرب لا أفعل كذا ولا أكاد أي لا
أريد كما نقله بعضهم.

الوجه السادس: أن كاد من الله تدل على الوجوب كما دلت عليه عسي في كلامه تعالى نحو
{ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً } أي هو قريب وعلى هذا فمعنى أكاد أخفيها أنا أخفيها.

الوجه السابع: أن كاد صلة وعليه فالمعنى أن الساعة آتية أخفيها لتجزى الآية. واستدل قائل هذا القول بقول زيد الخيل: سريع إلى الهيجاء شاك سلاحه فما أن يكاد قرنه يتنفس

أي فما يتنفس قرنه. قالوا: ومن هذا القبيل قوله تعالى: **{لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا}** أي لم يرها وقول ذي الرمة:

إذا غير النأي المحبين لم يكد
أي لم يبرح على قول هذا القائل، قالوا ومن هذا المعنى قول أبي النجم:
وإن أتاك نعي فاندبن أبا
أي قد اطلع الأعداء.

وقد قدمنا أن أرجح الأقوال الأول والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي}** لا يخفى أنه من سؤال موسى الذي قال له ربه أنه أتاه بإياه بقوله: **{قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى}** وذلك صريح في حل العقدة من لسانه، وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على بقاء شيء من الذي كان بلسانه كقوله تعالى عن فرعون: **{أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ}**. وقوله تعالى عن موسى: **{وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ}**. الآية. والجواب أن موسى- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- لم يسأل زوال ما كان بلسانه بالكلية وإنما سأل زوال القدر المانع من أن يفقهوا قوله كما يدل عليه قوله: **{يَفْقَهُوا قَوْلِي}**. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى **{وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي}** ما نصه: وما سأل أن يزول ذلك بالكلية بل بحيث يزول العي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ولو سأل الجميع لزال، ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية، قال تعالى إخبارا عن فرعون أنه قال: **{أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ}** أي يفصح بالكلام. قال الحسن البصري: **{وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي}** قال: "حل عقدة واحدة ولو سأل أكثر من ذلك أعطى" وقال ابن عباس: "شكا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه؛ فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون ردءا له ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فأناؤه سؤله فحل عقدة من لسانه"، وقال ابن أبي حاتم: "ذكر عن عمر بن عثمان حدثنا بقية عن أرطاة بن المنذر حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال: أتاه ذو قرابة له فقال له: ما بك بأس لو لا أنك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك فقال القرطي: يا ابن أخي ألسنت أفهمك إذا حدثتك؟ قال نعم، قال: فإن موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل قوله ولم يزد عليها". انتهى كلام ابن كثير بلفظه وقد نقل فيه عن الحسن البصري وابن عباس ومحمد بن كعب القرظي ما ذكرنا من الجواب ويمكن أن يجاب أيضا بأن فرعون كذب عليه في قوله: **{وَلَا يَكَادُ يُبِينُ}** كما كذب على الله في إدعاء الربوبية وأن قوله: **{هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا}** يدل على اشتراكه مع هارون في الفصاحة فكلاهما فصيح إلا أن هارون أفصح وعليه فلا إشكال والعلم عند الله تعالى. قوله تعالى: **{فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ}**. الآية. يدل على أنهما رسولان وهما موسى وهارون وقوله تعالى: **{فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّ الْعَالَمِينَ}**، بوجه كون الرسول واحد. والجواب من وجهين: الأول: أن معني قوله: **{إِنَّا رَسُولَا رَبِّ الْعَالَمِينَ}** أي كل واحد منا رسول رب العالمين كقول البرجمي: فإني وقيارا بها لغريب.

وإنما ساع هذا لظهور المراد من سياق الكلام. الوجه الثاني: أن أصل الرسول مصدر كالقبول والولوع فاستعمل في الاسم فجاز جمعه وتثنيته نظرا إلى كونه بمعنى الوصف وساع إفراده مع إرادة المثنى أو الجمع نظرا إلى الأصل من كونه مصدرا ومن إطلاق الرسول على غير المفرد قول الشاعر: أكنى إليها وخير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر

يعني وخير الرسل، وإطلاق الرسول مرادا به المصدر كثير ومنه قوله:

لقد كذب النواشون ما فهت عندهم بقول ولا أرسلتهم برسول

يعني برسالة.

قوله تعالى: **{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى}**. قوله تعالى: **{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا}** يقتضي أن المخاطب اثنان وقوله: **{يَا مُوسَى}** يقتضي أن المخاطب واحد والجواب من ثلاثة أوجه: الأول: أن فرعون أراد خطاب موسى وحده والمخاطب أن اشترك معه في الكلام غير مخاطب غلب المخاطب على غيره كما لو خاطبت رجلا اشترك معه آخر في شأن والثاني غائب فإنك تقول للحاضر منهما ما بالكما فعلتما كذا والمخاطب واحد وهذا ظاهر.

الوجه الثاني: أنه خاطبهما معا وخص موسى بالنداء لكونه الأصل في الرسالة.
الثالث: أنه خاطبهما معا وخص موسى بالنداء لمطابقة رؤوس الآي مع ظهور المراد ونظير الآية قوله تعالى: **{فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}** وبجاء عنه بأن المرأة تبع لزوجها وبأن شقاء الكد والعمل يتولاه الرجال أكثر من النساء، وبأن الخطاب لآدم وحده والمرأة ذكرت فيما خوطب به آدم بدليل قوله: **{إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ}** فهي ذكرت فيما خوطب به آدم؛ والمخاطب عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسْبَى}**. ظاهر هذه الآية أن آدم ناس للعهد بالنهي عن أكل الشجرة؛ لأن الشيطان قاسمه بالله أنه له ناصح حتى دلاه بغرور وأنساه العهد وعليه فهو معذور لا عاص. وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}**.

والجواب عن هذا من وجهين:
الأول: هو ما قدمنا من عدم العذر بالنسيان لغير هذه الأمة.
الثاني: أن نسي بمعنى ترك، والعرب ربما أطلقت النسيان بمعنى الترك ومنه قوله تعالى: **{قَالَتُومُ تَسَاءَهُمْ}**. الآية. والعلم عند الله تعالى.

سورة الأنبياء

قوله تعالى: **{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}**. هذه الآية تدل على أن جميع المعبودات مع عابديها في النار.
وقد أشارت آيات أخر إلى أن بعض المعبودين كعيسى والملائكة ليسوا من أهل النار كقوله تعالى: **{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا}** الآية، وقوله تعالى: **{ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلَاءُ إِنَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ}** وقوله: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}**. الآية.

والجواب من وجهين:
الأول: أن هذه الآية لم تتناول الملائكة ولا عيسى لتعبيدهما بما الدالة على غير العاقل، وقد أشار تعالى إلى هذا الجواب بقوله: **{مَا صَرَّبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}**، لأنهم لو أنصفوا لما ادعوا دخول العقلاء في لفظ لا يتناولهم لغة.

الثاني: أن الملائكة وعيسى نص الله على إخراجهم من هذا دفعا للتوهم ولهذه الحجة الباطلة بقوله: **{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}** الآية، قوله تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}**، عبر في هذه الآية الكريمة بلفظ (إنما) وهي تدل على الحصر عند الجمهور وعليه فهي تدل على حصر الوحي في توحيد الألوهية وقد جاءت آيات أخر تدل على أنه أوصى إليه غير ذلك كقوله: **{قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ}** الآية، وقوله: **{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ}**، وقوله: **{تَخُنْ نَفْعُشْ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}** الآية.

والجواب أن حصر الوحي في توحيد الألوهية حصر له في أصله الأعظم الذي يرجع إليه جميع الفروع لأن شرائع كل الأنبياء داخلة في ضمن لا إله إلا الله لأن معناها خلع كل الأنداد سوى الله في جميع أنواع العبادات وإفراد الله بجميع أنواع العبادات فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية.

سورة الحج

قوله تعالى: **{أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتَهُمْ طُلُومًا}**، هذه الآية الكريمة تدل على أن قتال الكفار مأذون فيه لا واجب وقد جاءت آيات تدل على وجوبه كقوله: **{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ}** الآية، وقوله: **{وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً}** الآية، إلى غير ذلك من الآيات. والجواب ظاهر وهو أنه أذن فيه أولا من غير إيجاب ثم أوجب بعد ذلك كما تقدم في سورة البقرة، وبذل لهذا ما قاله ابن عباس وعروة ابن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقاتل ومجاهد والضحاك وغير واحد كما نقله عنهم ابن كثير وغيره من أن آية **{أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ}** هي أول آية نزلت في الجهاد والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{فَاتَّبَعَهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}**.
ظاهر هذه الآية أن الأبصار لا تعمي، وقد جاءت آيات أخر تدل على عمى الأبصار كقوله: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ}**، وكقوله: **{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ}**.

والجواب: أن التمييز بين الحق والباطل وبين الصار والنافع وبين القبيح والحسن لما كان كله بالبصائر لا بالإبصار صار العمى الحقيقي هو عمى البصائر لا عمى الأبصار ألا ترى أن صحة العينين لا تفيد مع عدم العقل كما هو ضروري وقوله: **{فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ}** يعني بصائرهم أو أعمى أبصارهم عن الحق وإن رأيت غيره.

قوله تعالى: **{وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}**.
هذه الآية الكريمة تدل على أن مقدار اليوم عند الله ألف سنة وكذلك قوله تعالى: **{يُذَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}**.
وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى في سورة سأل سائل: **{تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}** الآية، أعلم أولا أن أبا عبيدة روى عن إسماعيل ابن إبراهيم عن أيوب عن ابن أبي مليكة أنه حضر كلاً من ابن عباس وسعيد ابن المسيب سئل عن هذه الآيات فلم يدر ما يقول فيها ويقول لا أدري.

وللجمع بينهما وجهان:
 الوجه الأول: هو ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس من أن يوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض، ويوم الألف في سورة السجدة هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه تعالى. ويوم الخمسين ألفا هو يوم القيامة.
 الوجه الثاني: أن المراد بجميعها يوم القيامة وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر؛ وبدل لهذا قوله تعالى: **{قَدْ لَكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}** ذكر هذين الوجهين صاحب الإتيان. والعلم عند الله
 قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ}**. الآية. هذه الآية الكريمة تدل على أن كل رسول وكل نبي يلقي الشيطان في أمنيته أي تلاوته إذا تلا ومنه قول الشاعر في عثمان رضي الله عنه:
 وأخرها لاقى حمام المقادر

تمنى كتاب الله أول ليلة

وقول الآخر:

تمنى كتاب الله آخر ليلة
 تمنى داود الزبور علي رسل
 ومعنى تمنى في البيتين قرأ وتلا. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال: "إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه". وقال بعض العلماء: "إذا تمنى أحب شيئا وأراد فكل نبي يتمنى إيمان أمته والشيطان يلقي عليهم الوسواس والشبه ليصدهم عن سبيل الله، وعلى أن (تمنى) بمعنى قرأ وتلا كما عليه الجمهور، فمعنى إلقاء الشيطان في تلاوته إلقاءه الشبه والوسواس فيما يتلوه النبي ليصد الناس عن الإيمان به، أو إلقاءه في المتلو ما ليس منه ليظن الكفار أنه منه، وهذه الآية لا تعارض بينها وبين الآيات المصرحة بأن الشيطان لا سلطان له على عباد الله المؤمنين المتوكلين، ومعلوم أن خيارهم الأنبياء كقوله تعالى: **{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ}**، وقوله تعالى: **{إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}**، وقوله: **{فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**، وقوله: **{وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي}**، ووجه كون الآيات لا تعارض بينها أن سلطان الشيطان المنفي عن المؤمنين المتوكلين في معناه وجهان للعلماء:
 الأول: أن معنى السلطان الحجة الواضحة، وعليه فلا إشكال إذ لا حجة مع الشيطان البتة كما اعترف به فيما ذكر الله عنه في قوله: **{وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي}**.
 الثاني: أن معناه أنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم في ذنب يهلكون به ولا يتوبون منه، فلا ينافي هذا ما وقع من آدم وحواء وغيرهما فإنه ذنب مغفور لوقوع التوبة منه، فإلقاء الشيطان في أمنية النبي سواء فسرناها بالقراءة أو التمني لإيمان أمته لا يتضمن سلطانا للشيطان على النبي بل هو من جنس الوسوسة وإلقاء الشبه لصد الناس عن الحق كقوله: **{وَرَبَّنَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ}** الآية، فإن قيل: ذكر كثير من المفسرين أن سبب نزول هذه الآية الكريمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم بمكة فلما بلغ **{أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** ألقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترجى) فلما بلغ آخر السورة سجد وسجد معه المشركون والمسلمون وقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم وشاع في الناس أن أهل مكة أسلموا بسبب سجودهم مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى رجع المهاجرون من الحبشة طنا منهم أن قومهم أسلموا فوجدوهم على كفرهم، وعلى هذا الذي ذكره كثير من المفسرين فسلطان الشيطان بلغ إلى حد أدخل به في القرآن على لسان النبي صلى الله عليه وسلم الكفر البواح حسبما يقتضيه ظاهر القصة المرعومة.

فالجواب: أن قصة الغرائيق مع استحالتها شرعا لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج، وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من العلماء كما بيناه بيانا شافيا في رحلتنا، والمفسرون يروون هذه القصة عن ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومعلوم أن الكلبي متروك، وقد بين البزار أنها لا تعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله، وقد اعترف الحافظ ابن حجر مع انتصاره لثبوت هذه القصة بأن طرقها كلها إما منقطعة أو ضعيفة إلا طريق سعيد بن جبير، وإذا علمت ذلك فاعلم أن طريق سعيد بن جبير لم يروها بها أحد متصلة إلا أمية بن خالد، وهو وإن كان ثقة فقد شك في وصلها؛ فقد أخرج البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب ثم ساق حديث القصة المذكورة، وقال البزار: "لا يروى متصلا إلا بهذا الإسناد تفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور"، وقال البزار: "وإنما يروى من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس والكلبي متروك". فتحصل أن قصة الغرائيق لم ترد متصلة إلا من هذا الطريق الذي شك راويه في الوصل، وما كان كذلك فصعفه ظاهر، ولذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره أنه لم يرها مسندة من وجه صحيح، وقال العلامة الشوكاني في هذه القصة: "ولم يصح شيء من هذا ولا ثبت بوجه من الوجوه ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله كقوله: **{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ}** الآية، وقوله: **{وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى}**، وقوله: **{وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَفَدَّتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا}** الآية، فنفي المقاربة للركون فضلا عن الركون"، ثم ذكر الشوكاني عن البزار أنها لا تروى بإسناد متصل وعن البيهقي أنه قال: "هي غير ثابتة من جهة النقل" وذكر عن إمام الأئمة ابن خزيمة أن هذه القصة من وضع الزنادقة وأبطلها عياض وابن العربي المالكي والفخر الرازي وجماعات كثيرة،

ومن أصرح الأدلة القرآنية في بطلانها أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بعد ذلك في سورة النجم قوله تعالى: **{إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}** فلو فرضنا أنه قال تلك الغرائيق العلى ثم أبطل ذلك بقوله: **{إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا}** فكيف يفرح المشركون بعد هذا الإبطال والذم التام لأصنامهم بأنها أسماء بلا مسميات وهذا هو الأخير وقراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم بمكة وسجود المشركين ثابت في الصحيح ولم يذكر فيه شيء من قصة الغرائيق وعلى القول ببطلانها فلا إشكال وأما على القول بثبوت القصة كما هو رأي الحافظ ابن حجر فإنه قال في فتح الباري: "إن هذه القصة ثبتت بثلاثة أسانيد كلها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض؛ لأن الطرق إذا كثرت وتباينت مخرجها دل ذلك على أن لها أصلاً فللعلماء عن ذلك أجوبة كثيرة من أحسنها وأقربها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتل السورة ترتيلاً تتخلله سكنتان فلما قرأ **{وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى}** قال الشيطان لعنه الله محاكياً لصوته صلى الله عليه وسلم وهو بريء من ذلك براءة الشمس من الشمس، وقد بينا هذه المسألة بيانا شافيا في رحلتنا فلذلك اختصرناها هنا فظهر أنه لا تعارض بين الآيات والعلم عند الله تعالى.

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - المدرس بالجامعة

("سورة قد أفلح المؤمنون")

قوله تعالى: **{قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ}**: لا يخفى ما يسبق إلى الذهن فيه من رجوع الضمير إلى الرب والضمير بصيغة الجمع والرب جلّ وعلا واحد.
والجواب من ثلاثة أوجه:
الأول: وهو أظهرها أن الواو لتعظيم المخاطب وهو الله تعالى كما في قول الشاعر.
ألا فارحموني يا إله محمد
فإن لم أكن أهلاً فأنت له أهل

وقول الآخر:

وإن شئت حرمت النساء سواكم
وإن شئت لم أطعم نقاخاً ولا برداً
الوجه الثاني: إن قوله ربّ استغاثة به تعالى وقوله ارجعون خطاب للملائكة ويستأنس لهذا الوجه بما ذكره ابن جرير عن ابن جريح قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعائشة "إذا عابن المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى دار الدنيا؟ فيقول إلى دار الهموم والأحزان؟ فيقول بل قدموني إلى الله، وأما الكافر فيقولون له: نرجعك فيقول: رب ارجعون"
الوجه الثالث: وهو قول المازني أنه جمع الضمير ليدل على التكرار فكأنه قال: رب ارجعني ارجعني ارجعني. ولا يخلو هذا القول عندي من بُعد والعلم عند الله تعالى.
قوله تعالى: **{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}** هذه الآية الكريمة تدل على أنهم لا أنساب بينهم يومئذ، وأنهم لا يتساءلون يوم القيامة؛ وقد جاءت آيات آخر تدل على ثبوت الأنساب بينهم كقوله **{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ}** الآية... وآيات آخر تدل على أنهم يتساءلون كقوله تعالى: **{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}**.
والجواب عن الأول: أن المراد بنفي الأنساب انقطاع فوائدها وأثارها التي كانت مترتبة عليها في الدنيا من العواطف والنفع والصلوات والتفاخر بالأباء لا نفي حقيقتها.

والجواب عن الثاني من ثلاثة أوجه:

الأول: أن نفي السؤال بعد النفخة الأولى وقبل الثانية وإثباته بعدهما معاً.
الثاني: أن نفي السؤال عند اشتغالهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط وإثباته فيما عدا ذلك. وهو عن السدي من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.
الثالث: أن السؤال المنفي سؤال خاص وهو سؤال بعضهم العفو من بعض فيما بينهم من الحقوق لقنوطهم من الإعطاء ولو كان المسؤول أباً أو ابناً أو أمّاً أو زوجة. ذكر هذه الأوجه الثلاثة أيضاً صاحب الإتيان.

قوله تعالى: **{قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ}**. هذه الآية الكريمة تدل على أن الكفار يزعمون يوم القيامة أنهم ما لبثوا إلا يوماً أو بعض يوم وقد جاءت آيات آخر يفهم منها خلاف ذلك كقوله تعالى: **{يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا}** وقوله تعالى: **{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْسِلُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ}**. والجواب عن هذا بما دل عليه القرآن؛ وذلك أن بعضهم يقول: لبثنا يوماً أو بعض يوم، وبعضهم يقول: لبثنا ساعة، وبعضهم يقول: لبثنا عشراً. ووجه دلالة القرآن على هذا أنه يبين أن أقوالهم إدراكاً وأرجحهم عقلاً وأمثلهم طريقة هو من يقول أن مدة لبثهم يوماً وذلك قوله تعالى: **{إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ طَرِيقَةٌ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا}** فدل ذلك على اختلاف أقوالهم في مدة لبثهم والعلم عند الله.

"(سورة النور)"

قوله تعالى: **{الرَّائِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}**.
هذه الآية الكريمة تدل على تحريم نكاح الزواني والزناة على الإعفاء والعفائف ويدل لذلك قوله تعالى:

{مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ} ... الآية، وقوله: **{مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ}** الآية. وقد جاءت آيات أخر تدل بعمومها على خلاف ذلك؛ كقوله تعالى: **{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ}** الآية وقوله: **{وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ}**... والجواب على هذا مختلف فيه اختلافاً متبهماً على الاختلاف في حكم تزوج العفيف للزانية أو العفيفة للزاني؛ فمن يقول (هو حرام) يقول: هذه الآية مخصصة لعموم وأنكحوا الأيامى منكم وعموم وأحل لكم ما وراء ذلكم. والذين يقولون بـ(عدم المنع) وهم الأكثر أجابوا بأجوبة:

منها أنها منسوخة بقوله: **{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ}**، واقتصر صاحب الإتيان على النسخ، وممن قال بالنسخ سعيد بن المسيب والشافعي.

ومنها أن النكاح في هذه الآية: (الوطء) وعليه فالمراد بالآية أن الزاني لا يطاوعه على فعله ويشاركه في مراده إلا زانية مثله أو مشركة لا ترى حرمة الزنا.

ومنها أن هذا خاص؛ لأنه كان في نسوة بغايا كان الرجل يتزوج إحداهن على أن تتفق عليه مما كسبته من الزنا؛ لأن ذلك هو سبب نزول الآية. فزعم بعضهم أنها مختصة بذلك السبب بدليل قوله: **{وَأَجَلَ لَكُمْ}**... الآية، وقوله: **{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى}**... الآية، وهذا أضعفها والله تعالى أعلم. قوله تعالى: **{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ}**. هذه الآية الكريمة نزلت في براءة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- مما رميت به، وذلك يؤيد ما قاله عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم من أن معناها: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء؛ أي فلو كانت عائشة -رضي الله عنها- غير طيبة لما جعلها الله زوجة لأطيب الطيبين صلوات الله وسلامه وعلى هذا فالآية الكريمة يظهر تعارضها مع قوله تعالى: **{صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ}** إلى قوله **{مَعَ الدَّاحِلِينَ}**، وقوله أيضاً **{وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ}**... الآية؛ إذ الآية الأولى دلت على خبث الزوجتين الكافرتين مع أن زوجيهما من أطيب الطيبين وهما: نوح ولوط -عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام-، والآية الثانية دلت على طيب امرأة فرعون مع خبث زوجها. والجواب أن في معنى الآية وجهين للعلماء:

الأول: -وبه قال ابن عباس وروى عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك، كما نقله عنهم ابن كثير واختاره ابن جرير- أن معناها الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول؛ أي فما نسبة أهل النفاق إلى عائشة من كلام خبيث هم أولى به وهي أولى بالبراءة والبراءة منهم؛ ولذا قال تعالى: **{أُولَئِكَ مُتَرَاوِنٌ مِمَّا يَقُولُونَ}** وعلى هذا الوجه فلا تعارض أصلاً بين الآيات.

الوجه الثاني: هو ما قدمنا عن عبد الرحمن بن زيد، وعليه فالإشكال ظاهر بين الآيات. والذي يظهر لمقبيده -عفا الله عنه- أن قوله الخبيثات للخبيثين إلى آخره على هذا القول من العام المخصوص بدليل امرأة نوح ولوط وامرأة فرعون وعليه فالغالب تقييض كل من الطيبات والطيبين والخبيثات والخبيثين لجنسه وشكله الملائم له في الخبث أو الطيب مع أنه تعالى ربما قبض خبيثة لطيب كامرأة نوح ولوط أو طيبة لخبيث كامرأة فرعون لحكمة بالغة كما دل عليه قوله: **{صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا}** وقوله **{وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا}** مع قوله **{وَيَلِكُ الْأَمْثَالُ مَصْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ}** فدل ذلك على أن تقييض الخبيثة للطيب أو الطيبة للخبيث فيه حكمة لا يعقلها إلا العلماء؛ وهي: في تقييض الخبيثة للطيب أن يُبين للناس أن القرابة من الصالحين لا تنفع الإنسان وإنما ينفعه عمله ألا ترى أن أعظم ما يدافع عنه الإنسان زوجته وأكرم الخلق على الله رسله فدخل امرأة نوح وامرأة لوط النار كما قال تعالى: **{فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ سَبْتًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ}**. فيه أكبر إعطى وأعظم زاجر عن الاعتزاز بالقرابة من الصالحين والإعلاء بأن الإنسان إنما ينفعه عمله ليس **{لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}**... الآية كما أن دخول امرأة فرعون الجنة يعلم منه الإنسان إذا دعت الضرورة لمخالطة الكفار من غير اختياره وأحسن عمله وصبر على القيام بدينه أنه يدخل الجنة ولا يضربه خبث الذين يخالطهم ويعاشرهم فالخبث خبيث وإن خالط الصالحين كامرأة نوح ولوط والطيب طيب وإن خالط الأشرار كامرأة فرعون، ولكن مخالطة الأشرار لا تجوز اختياراً كما دلت عليه أدلة أخر.

قوله تعالى: **{حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيِّئًا}** لا يخفى ما يسبق إلى الذهن فيه من أن الضمير في قوله جاءه يدل على شيء موجود واقع عليه المجيء؛ لأن وقوع المجيء على العدم لا يعقل، ومعلوم أن الصفة الإضافية لا تتقوم إلا بين متضائين فلا تدرك إلا بادرأكهما، فلا يعقل وقوع المجيء بالفعل إلا بإدراك فاعل واقع منه المجيء ومفعول به واقع عليه المجيء وقوله تعالى **{لَمْ يَجِدْهُ سَيِّئًا}** يدل على عدم وجود شيء يقع عليه المجيء في قوله تعالى: **{جَاءَهُ}** والجواب عن هذا من وجهين ذكرهما ابن جرير في تفسير هذه الآية؛ قال: فإن قال قائل: وكيف قيل **{حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيِّئًا}** فإن لم يكن السراب شيئاً فعلام دخلت الهاء في قوله **{حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ ؟}** قيل إنه شيء يرى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفاً من بعيد والهباء، فإذا قرب منه دق وصار كالهواء وقد يحتمل أن يكون معناه حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئاً فاكتفى بذكر السراب عن ذكر موضعه انتهى منه بلفظه. والوجه الأول أظهر عندي وعنده دليل قوله: وقد يحتمل أن يكون معناه الخ...

قوله تعالى: **{فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِنَعَصِ سَائِبِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ}**. هذه الآية الكريمة تدل على أنه -صلى الله عليه وسلم- له الإذن لمن شاء وقوله تعالى: **{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ}** الآية يوهم خلاف ذلك.

والجواب الظاهر وهو أنه -صلى الله عليه وسلم- له الإذن لمن شاء من أصحابه الذين كانوا معه على أمر جامع كصلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك كما بينه تعالى بقوله: **{وَإِذَا كَانُوا عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِنَعَصِ سَائِبِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ}**. وأما الإذن في خصوص التخلف عن الجهاد فهو الذي بين الله لرسوله أن الأولى فيه ألا يبادر بالإذن حتى يتبين له الصادق في عذره من الكاذب وذلك في قوله تعالى: **{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ}**. فظهر أن لا منافاة بين الآيات والعلم عند الله.

-(سورة الفرقان)-

قوله تعالى: **{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}**. هذه الآية الكريمة تدل على انقضاء الحساب في نصف نهار؛ لأن المقيّل: القيلولة أو مكانها؛ وهي: الاستراحة نصف النهار في الحر، وممن قال بانقضاء الحساب في نصف نهار: ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وابن جبير؛ لدلالة هذه الآية على ذلك كما نقله عنهم ابن كثير وغيره، وفي تفسير الجلالين ما نصه: وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في حديث انتهى منه مع أنه تعالى ذكر أن مقدار يوم القيامة خمسون ألف سنة في قوله تعالى: **{إِنَّ يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}** والظاهر في الجواب أن يوم القيامة يطول على الكفار ويقصر على المؤمنين ويشير لهذا قوله تعالى بعد هذا بقليل: **{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا}** فتخصيصه عسر ذلك اليوم بالكافرين يدل على أن المؤمنين ليسوا كذلك وقوله تعالى: **{قَدْ لَكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}** يدل بمفهومه أيضاً على أنه يسير على المؤمنين غير عسير كما دل عليه قوله تعالى: **{مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ}** وقال ابن جرير: حدثني يونس أنبأ ابن وهب أنبأ عمرو بن الحارث أن سعيداً الصواف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس وأنهم يتقلبون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس وذلك قوله: **{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}** ونقله عنه ابن كثير في تفسيره، ومن المعلوم أن السرور يقصر به الزمن، والكروب والهموم سبب لطوله كما قال أبو سفيان بن الحارث يرثي النبي صلى الله عليه وسلم:

أرقت فيات ليلي لا يزول

وليل أخي المصيبة فيه طول

وقال الآخر:

وطوالهن مع السرور قصار

فقصارهن مع الهموم طويلة

ولقد أجاد من قال:

في الطول والطول، طوبى لي لو اعتدلا

ليلي وليلي نفى نومي اختلافهما

يجود بالطول ليلي كلما بخلت

بالطول ليلي وإن جادت به بخلًا

ومثل هذا كثير في كلام العرب جداً. وأما على قول من فسر المقيّل بأنه المأوى والمنزل كقتادة رحمه الله فلا تعارض بين الآيتين أصلاً؛ لأن المعنى على هذا القول أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مأوى ومنزلاً والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{أُولَٰئِكَ يُجْرُونَ، الْغُرْفَةُ بِمَا صَبَرُوا}**... الآية. هذه الآية الكريمة تدل على أنهم يجزون غرفة واحدة وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: **{لَهُمْ عَرْفٌ مِّنْ قَوْفِهَا عَرْفٌ مَّبْنِيٌّ}** وكقوله: **{وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ}**. والجواب:

- أن الغرفة هنا بمعنى الغرف كما تقدم مستوفي بشواهد في الكلام على قوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ}**... الآية.

- وقيل إن المراد بالغرفة: الدرجة العليا في الجنة وعليه فلا إشكال.

- وقيل الغرفة الجنة سميت غرفة لارتفاعها.

-(سورة الشعراء)-

قوله تعالى: **{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ}**. هذه الآية تدل على أن قوم نوح كذبوا جماعة من

المرسلين؛ بدليل صيغة الجمع في قوله المرسلين، ثم بين ذلك بما يدل على خلاف ذلك وأنهم إنما كذبوا رسولاً واحداً وهو نوح -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- بقوله: **{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ}**... إلى قوله **{قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُون}**.
والجواب عن هذا: أن الرسل -عليهم صلوات الله وسلامه- لما كانت دعوتهم واحدة وهي: (لا إله إلا الله) صار مكذب واحد منهم مكذباً لجميعهم؛ كما يدل لذلك قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون}** وقوله: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}**. وقد بين تعالى أن مكذب بعضهم مكذب للجميع بقوله: **{وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضِ وَتَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا}**.
وبآتي مثل هذا الإشكال والجواب في قوله: **{كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ}** إلى آخره. وقوله: **{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ}**. وكذلك في قصة لوط، وشعيب على الجميع وعلى نبينا الصلاة والسلام.

-(سورة النمل)-

قوله تعالى أخباراً عن بلقيس: **{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرُهُ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}**، يدل على تعدد رسلها إلى سليمان وقوله: **{فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ}** بإفراد فاعل جاء، وقوله تعالى أخباراً عن سليمان أنه قال: **{أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُبْرٍ}** الآية يدل على أن الرسول واحد.

والظاهر في الجواب: هو ما ذكره غير واحد من أن الرسل جماعة وعليهم رئيس منهم فالجمع نظراً إلى الكل والإفراد نظراً إلى الرئيس؛ لأن من معه تبع له والعلم عند الله تعالى

وقوله تعالى: **{وَيَوْمَ تَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا}** الآية. هذه الآية يدل ظاهرها على أن الحشر خاص بهؤلاء الأفواج المكذبة، وقوله -بعد هذا بقليل-: **{وَكُلُّ أُنُوفٍ دَاخِرِينَ}**. يدل على أن الحشر عام كما صرحت به الآيات القرآنية عن كثرة.
والجواب عن هذا: هو ما بينه الألوسي في تفسيره من أن قوله: **{وَكُلُّ أُنُوفٍ دَاخِرِينَ}** يراد به الحشر العام، وقوله **{وَيَوْمَ تَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً}** أي بعد الحشر العام يجمع الله المكذبين للرسول من كل أمة لأجل التوبيخ المنصوص عليه بقوله: **{قَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}**، فالمراد بالفوج من كل أمة: الفوج المكذب للرسول يحشر للتوبيخ حشراً خاصاً فلا ينافي حشر الكل لفصل القضاء. وهذا الوجه أحسن من تخصيص الفوج بالرؤساء كما ذهب إليه بعضهم.
قوله تعالى: **{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا حَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ}** الآية. هذه الآية تدل بظاهرها على أن الجبال يظنها الرائي ساكنة وهي تسير، وقد جاءت آيات أخرى تدل على أن الجبال راسية، والراي هو: (الثابت في محل) كقوله تعالى: **{وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا}**. وقوله: **{وَالْفُيُ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ}** وقوله: **{وَالْأَرْضُ مَدَدُتَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي}**. وقوله: **{وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِي شَامِخَاتٍ}**.
ووجه الجمع ظاهر وهو أن قوله **{أَرْسَاهَا}** ونحوه يعني في الدنيا، وقوله وهي تمر مر السحاب يعني في الآخرة بدليل قوله: **{وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُفِخَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ}** ثم عطف على ذلك قوله **{وَتَرَى الْجِبَالَ}**... الآية. ومما يدل على ذلك النصوص القرآنية على أن سير الجبال في يوم القيامة كقوله تعالى: **{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً}** وقوله: **{وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً}**.

-(سورة القصص)-

قوله تعالى: **{وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ}**... الآية. الخطاب في قوله: **{وَلَكَ}** يدل على أن المخاطب واحد وفي قوله: **{لَا تَقْتُلُوهُ}** يدل على أنه جماعة. والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه.

الأول: أن صيغة الجمع للتعظيم.

الثاني: أنها تعني فرعون وأعدائه الذين هموا معه بقتل موسى فأفردت الضمير في قولها (لك)؛ لأن كونه قرة عين في زعمها يختص بفرعون دونهم وجمعته في قولها (لا تقتلوه)؛ لأنهم شركاء معه في الهمة بقتله.

الثالث: أنها لما استعطف فرعون على موسى التفت إلى المأمورين بقتل الصبيان قائلة لا تقتلوه معللة ذلك بقولها: **{عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا أَوْ تَخَذَهُ وَلِداً}**.

قوله تعالى: **{فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا}**. الآية. **{لِأَهْلِهِ}**: زوجته بدليل قوله: **{وَسَارَ بِأَهْلِهِ}** لأن المعروف أنه سار من عند شعيب بزوجته (ابنة شعيب)، أو غير شعيب على القول بذلك. وقوله: **{امْكُثُوا}** خطاب جماعة الذكور فما وجه خطاب المرأة بجماعة الذكور. والجواب عن هذا من

ثلاثة أوجه:

الأول: أن الإنسان يخاطب المرأة بخطابة الجماعة تعظيماً لها ونظيره قول الشاعر:
فإن شئت حرمت النساء سواكم

وإن شئت لم أطعم نقاحاً ولا برداً

الثاني: أن معها خادماً والعرب ربما خاطبت الاثنين خطاب الجماعة.

الثالث: أنه كان له مع زوجته ولدان له، اسم الأكبر منهما: (جيرشوم) واسم الأصغر (اليعازر). والجواب الأول ظاهر والثاني والثالث محتملان؛ لأنهما من الإسرائيليات والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}** قد قدمنا أن وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: **{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** أن الهدى المنفي عنه صلى الله عليه وسلم هو: منح التوفيق، والهدى المثبت له هو: إبانة الطريق.

(سورة العنكبوت)"

قوله تعالى: **{وَمَا هُمْ بِخَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ}** لا يعارضه قوله تعالى: **{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ}** كما تقدم بيانه مستوفى في سورة النحل. (فأثقالهم): أوزار ضلالهم و(الأثقال التي معها) أوزار إضلالهم ولا ينقص ذلك شيئاً من أوزار اتباعهم الصالحين. قوله تعالى: **{وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}**. هذه الآية الكريمة تدل على أن النبوة والكتاب في خصوص ذرية إبراهيم، وقد ذكر في سورة الحديد ما يدل على اشتراك نوح معه في ذلك في قوله: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ}**.

والجواب: أن وجه الاختصار على إبراهيم أن جميع الرسل بعده من ذريته وذكر نوح معه لأمرين:

أحدهما: أن كل من كان من ذرية إبراهيم فهو من ذرية نوح.

والثاني: أن بعض الأنبياء من ذرية نوح ولم يكن من ذرية إبراهيم؛ كهود وصالح ولوط ويونس على خلاف فيه، ولا ينافي ذلك الاختصار على إبراهيم؛ لأن المراد من كان بعد إبراهيم لا من كان قبله أو في عصره كلوط عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.

(سورة الروم)"

قوله تعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا}**... الآية. هذا خطاب خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى: بعده **{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ}** فقوله: **{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ}** حال من ضمير الفاعل المستتر في قوله **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ}** الواقع على النبي -صلى الله عليه وسلم- فتقرير المعنى: فاقم وجهك يا نبي الله -صلى الله عليه وسلم- في حال كونكم منيبيين إليه. وقد تقرر عند علماء العربية أن الحال إن لم تكن سببية لا بد أن تكون مطابقة لصاحبها أفراداً وثنياً وجمعاً وتذكيراً وتأنثاً فما وجه الجمع بين هذه الحال وصاحبها؟ فالحال جمع وصاحبها مفرد.

والجواب أن الخطاب الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم يعُمُّ جميع الأمة؛ فالأمة تدخل تحت خطابه -صلى الله عليه وسلم- فتكون الحال من الجميع الداخل تحت خطابه -صلى الله عليه وسلم-. ونطير هذه الآية في دخول الأمة تحت الخطاب الخاص به -صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَعْتُمُ النِّسَاءَ} الآية.** فقولهُ **{طَلَعْتُمُ النِّسَاءَ}** بعد يا أيها النبي دليل على دخول الأمة تحت لفظ النبي. وقوله: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ} ثم قال: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ}.** وقوله: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ} ثم قال: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} الآية.** وقوله: **{فَلَمَّا قَضَىٰ رَبُّكَ مِنْهَا حَلًّا رَأَىٰ أَنَّهُ وَقَّحَاتُكُمَا} ثم قال: {لَكِنِّي لَا أَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ} الآية.** وقوله: **{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ} ثم قال: {وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ}.** ودخول الأمة في الخطاب الخاص بالنبي -صلى الله عليه وسلم- هو مذهب الجمهور وعليه مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله تعالى خلافاً للشافعي رحمه الله.

التعليق:

⁵[1] ولو قيل: إن الذي دخل النار في ذبابة دخلها لمجرد رضاه بالذبح المفهوم من قوله: ما عندي

ما أقدم، لأنه أجاب مبدئياً بعدم وجود ما يقدمه بخلاف صاحبه أجاب بعدم تقديمه فعلم منه أن الأول راض عن التقديم لكنه لم يجد ما يقدمه فدخل النار على رضاه وقبوله أما الآخر الذي امتنع فقتل وكان من حقه أن يقدم تقية ولو فعل فلا مانع لأن قلبه مطمئن بالإيمان لكنه لم يفعل فلا حق له. فالظاهر أنه ترك ذلك اختياراً كالذي أخذ أسيراً وأرادوا صلبه بمكة ثم عرضوا عليه أن يتمنى لو أن محمداً صلى الله وسلم مكانه ويتركونه فأبى حتى ولا أن يشاك بشوكة. وكان يمكنه أن يوافقهم تقية لكنه لم يوافقهم.

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب

لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

المدرس بالجامعة



سورة لقمان

قوله تعالى: **{وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}**. هذه الآية الكريمة تدل على الأمر ببر الوالدين الكافرين وقد جاءت آية أخرى يفهم منها خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ }** الآية. ثم نص على دخول الآباء في هذا بقوله: **{وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ}**.

والذي يظهر لي والله تعالى أعلم أنه لا معارضة بين الآيتين. ووجه الجمع بينهما أن المصاحبة بالمعروف أعم من المودة لأن الإنسان يمكنه إساءة المعروف لمن يوده ومن لا يوده والنهي عن الأخص لا يستلزم النهي عن الأعم فكأن الله حذر من المودة المشعرة بالمحبة والمودة بالباطن لجميع الكفار يدخل في ذلك الآباء وغيرهم وأمر الإنسان بأن لا يفعل لوالديه إلا المعروف وفعل المعروف لا يستلزم المودة لأن المودة من أفعال القلوب لا من أفعال الجوارح. ومما يدل لذلك إذنه صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت أبي بكر الصديق أن تصل أمها وهي كافرة وقال بعض العلماء أن قصتها سبب لنزول قوله تعالى: **{ لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ }** الآية..

قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ }** الآية. هذه الآية تدل بظاهرها على أن يوم القيامة لا ينفع فيه والد ولده وقد جاءت آية أخرى تدل على رفع درجات الأولاد بسبب صلاح آبائهم حتى يكونوا في درجة الآباء مع أن عملهم أي الأولاد لم يبلغهم تلك الدرجة إقراراً لعبون الآباء بوجود الأبناء معهم في منازلهم من الجنة وذلك نفع لهم وهي قوله تعالى: **{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ }** الآية..

ووجه الجمع أشير إليه بالقيد الذي في هذه الآية وهو قوله تعالى: **{ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ }** وعين فيها النفع بأنه إلحاقهم بهم في درجاتهم بقيد الإيمان فهي أخص من الآية الأخرى والأخص لا يعارض الأعم. وعلى قول من فسر الآية بأن معنى قوله: **{ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ }** لا يقضي عنه حقاً لزمه ولا يدفع عنه عذاباً حق عليه، فلا إشكال في الآية. وسيأتي لهذا زيادة إيضاح في سورة النجم في الكلام على: **{ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى }** الآية إن شاء الله تعالى.

سورة السجدة

قوله تعالى: **{ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ... }** الآية. أسند في هذه الآية الكريمة التوقي إلى ملك واحد وأسند في آيات أخر إلى جماعة من الملائكة بقوله: **{ إِنَّ الدِّينَ تَوَفَّاكُمُ الْمَلَائِكَةُ }** وقوله: **{ تَوَفَّنَا رُسُلَنَا وَهُمْ لَا يُقَرِّطُونَ }** وقوله: **{ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الدِّينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ... }** الآية وقوله: **{ وَلَوْ تَرَى إِذْ الطَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو... }** وأسند في آية أخرى إلى نفسه جل وعلا وهي قوله تعالى: **{ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا... }**

والجواب عن هذا ظاهر وهو أن إسناده التوقي إلى نفسه لأن ملك الموت لا يقدر أن يقبض روح أحد إلا بإذنه ومشيتته تعالى: **{ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا }** وأسند ملك الموت لأنه هو المأمور بقبض الأرواح وأسند للملائكة لأن ملك الموت له أعوان من الملائكة تحت رئاسته يفعلون بأمره وينزعون الروح إلى الحلقوم فيأخذها ملك الموت والعلم عند الله تعالى.

سورة الأحزاب

قوله تعالى: **{ تَابَّهَا النَّبِيُّ }** لا منافاة بينه وبين قوله في آخر الآية **{ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ... }** بصيغة الجمع لدخول الأمة تحت الخطاب الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه قدوتهم كما تقدم بيانه مستوفى في سورة الروم.

قوله تعالى: **{ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلِيلَيْنِ فِي جُوفِهِ }**. هذه الآية الكريمة تدل بفحوى خطابها أنه لم يجعل لامرأة من قليلين في جوفها وقد جاءت آية أخرى يوهم ظاهرها خلاف ذلك وهي قوله تعالى في حفصة وعائشة: **{ إِنَّ تَثُوبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا ... }** الآية فقد جمع القلوب لهاتين المرأتين.

والجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: أن المثنى إذا أضيف إليه شيئان هما جزأه جاز في ذلك المضاف الذي هو شيئان الجمع والتثنية والإفراد وأفصحها الجمع للإفراد فالتثنية على الأصح سواء كانت الإضافة لفظاً أو معنى. فاللفظ مثاله: شويت رؤوس الكباشين أو رأسهما أو رأسهما أو رأسيهما والمعنى قطعت الكبشين رؤوساً وقطعت منهما الرؤوس فإن فرق المثنى فالمختار الإفراد نحو: **{ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ }** وإن كان الاثنان المضافان منفصلين عن المثنى المضاف إليه أي كان غير جزأيه فالقياس الجمع وفاقاً للفقراء وفي الحديث: **"ما أخرجكما من بيوتكما إذا أويتما إلى مصاجعكما..."**. وهذه فلاة وفلاة يسألانك عن إنفاقهما على أزواجهما ألهما فيه أجر. و"لقي علياً وحمزة فضرباه بأسيا فلهما". وأعلم أن الضمائر الراجعة إلى هذا المضاف يجوز فيها الجمع نظراً إلى اللفظ والتثنية نظراً إلى المعنى فمن الأول قوله: خليلي لا تهلك نفوسكما أساً فإن لها فيما ذهبت به أساً ومن الثاني قوله:

قلوبكما يغشاهما الأمن عادة
إذاً منكما الأبطال يغشاهما الذعر
الثاني هو ما ذهب إليه مالك بن أنس رحمه الله تعالى من أن أقل الجمع اثنان. ونظيره قوله تعالى: **{ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ }** أي أخوان فصاعداً.

قوله تعالى: **{ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }** هذه الآية الكريمة تدل بدلالة الالتزام على أنه صلى الله عليه وسلم أب لهم لأن أمومة أزواجه لهم تستلزم أبوتهم صلى الله عليه وسلم لهم وهذا المدلول عليه بدلالة الالتزام مصرح به في قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه لأنه يقرأها: (وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) وهذه القراءة مروية أيضاً عن ابن عباس وقد جاءت آية أخرى تصرح بخلاف هذا المدلول عليه بدلالة الالتزام والقراءة الشاذة وهي قوله تعالى: **{ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ }**. الآية.. والجواب ظاهر وهو أن الأبوة المثبتة دينية والأبوة المنفية طينية وبهذا يرتفع الإشكال في قوله: **{ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ }** مع قوله: **{ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ }**. إذ يقال كيف يلزم الإنسان أن يسأل أمه من وراء حجاب؟ والجواب ما ذكرناه الآن فهن أمهات في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام لا في الخلوة بهن ولا في حرمة بناتهن ونحو ذلك والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{ تَابَّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ }** الآية. يظهر تعارضه مع قوله: **{ لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدِ }** الآية. والجواب أن قوله: **{ لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ }** منسوخ بقوله: **{ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ }** وقد قدمنا في سورة البقرة أنه أحد الموضعين اللذين في المصحف ناسخهما قبل منسوخهما لتقدمه في ترتيب المصحف مع تأخره في النزول على القول بذلك. وقيل أن الآية الناسخة لها هي قوله تعالى: **{ تُزْجِي مَنْ نَسَاءُ مِنْهُنَّ }**. الآية. وقال بعض العلماء هي محكمة وعليه فالمعنى **{ لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ }** أي من بعد النساء التي أحلهن الله لك في قوله: **{ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ }** الآية. فتكون آية **{ لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ }** محرمة ما لم يدخل في آية **{ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ }** كالكتابات والمشاركات والبدويات على القول بذلك فيهن وبنات العم والعلمات وبنات الخال والخالات اللاتي لم يهاجرن معه على القول بذلك فيهن أيضاً والقول بعدم النسخ قال به أبي بن كعب ومجاهد في رواية عنه وعكرمة والضحاك في رواية وأبو رزين في رواية عنه وأبو صالح والحسن وقتادة في رواية والسدي وغيرهم كما نقله عنهم ابن كثير وغيره واختار عدم النسخ ابن جرير وأبو حيان.

والذي يظهر لنا أن القول بالنسخ أرجح وليس المرجح لذلك عندنا أنه قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم منهم علي وابن عباس وأنس وغيرهم ولكن المرجح له عندنا أنه قول أعلم الناس بالمسألة أعني أزواجه صلى الله عليه وسلم لأن حليّة غيرهن من الضرات وعدمها لا يوجد من هو أشد اهتماماً بهما منهن فهن صواحيب القصة وقد تقرر في علم الأصول أن صاحب القصة يقدم على غيره ولعل هناك تفريق بين ما إذا كان صاحب القصة راوياً وبين كونه مستتباً كقصة فاطمة بنت قيس في إسقاط النفقة والسكنى فالحجة معها والحديث يؤيدها ومع ذلك فعمر يرد قولها. ولذلك قدم العلماء رواية ميمونة وأبي رافع أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال على رواية ابن عباس المتفق عليها أنه تزوجها محرماً لأن ميمونة صاحبة القصة وأبا رافع سفير فيها فإذا علمت ذلك فاعلم أن ممن قال بالنسخ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "ما مات صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء". وأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: "لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم". أما عائشة فقد روى عنها ذلك الإمام أحمد والترمذي وصححه النسائي في سنتيهما والحاكم وصححه وأبو داود في ناسخه وابن المنذر وغيرهم. وأما أم سلمة فقد رواه عنها ابن أبي حاتم كما نقله عنه ابن كثير

وغيره ويشهد لذلك ما رواه جماعة عن عبد الله بن شداد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة وجويرية رضي الله عنهما بعد نزول **{لَا تَجِلُّ لَكَ النِّسَاءُ}**. قال الألويسي في تفسيره أن ذلك أخرجه عنه ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والعلم عند الله تعالى.

سورة سبأ

قوله تعالى: **{وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ}**. هذه الآية الكريمة على كلتا القراءتين قراءة ضم الياء مع فتح الزاي مبنيا للمفعول مع رفع **{الْكَفُورَ}** على أنه نائب فاعل وقراءة **{نُجَازِي}** بضم النون وكسر الزاي مبنيا للفاعل مع نصب **{الْكَفُورَ}** على أنه مفعول به تدل على خصوص الجزاء بالمبالغين بالكفر. وقد جاءت آيات أخر تدل على عموم الجزاء كقوله تعالى: **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}** الآية.

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:

الأول: أن المعنى ما نجازي هذا الجزاء الشديد المستأصل إلا المبالغ في الكفران.

الثاني: أن ما يفعل بغير الكافر من الجزاء ليس عقابا في الحقيقة لأنه تطهير وتمحيص.

الثالث: أنه لا يجازى جميع الأعمال مع المناقشة التامة إلا الكافر ويدل لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من نوقش الحساب فقد هلك". وأنه لما سألت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: **{فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا}** قال لها ذلك العرض. وبيّن لها أن من نوقش الحساب لابد أن يهلك.

قوله تعالى: **{قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ}** الآية. هذه الآية الكريمة تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لا يسأل أمته أجرا على تبليغ ما جاءهم به من خير الدنيا والآخرة. ونظيرها قوله تعالى: **{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}**. وقوله تعالى: **{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ}** في سورة الطور والقلم. وقوله تعالى: **{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا}** وقوله: **{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}**. وعدم طلب الأجرة على التبليغ هو شأن الرسل كلهم عليهم صلوات الله وسلامه كما قال تعالى: **{اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا}** وقال تعالى في سورة الشعراء: **{وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام وقال في سورة هود عن نوح: **{وَمَا قَوْمٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا}** الآية. وقال فيها أيضا عن هود: **{يَا قَوْمُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي}** الآية. وقد جاء في آية أخرى ما يوهم خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}**. اعلم أولا أن في قوله تعالى: **{إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}** أربعة أقوال.

الأول: ورواه الشعبي وغيره عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقتادة وعكرمة وأبو مالك والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم كما نقله عنهم ابن جرير وغيره أن معنى الآية **{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}** أي إلا أن تودوني في قرابتي التي بيني وبينكم فتكفوا عني أذاكم وتمنعوني من أذي الناس كما تمنعون كل من بينكم وبينه مثل قرابتي منكم. وكان صلى الله عليه وسلم له في كل بطن من قريش رحم فهذا الذي سألهم ليس بأجر على التبليغ لأنه مبدول لكل أحد لأن كل أحد يوده أهل قرابته ويتنصرون له من أذى الناس وقد فعل له ذلك أبو طالب ولم يكن أجرا على التبليغ لأنه لم يؤمن وإذا كان لا يسأل أجرا إلا هذا الذي ليس بأجر تحقق أنه لا يسأل أجرا كقول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

ومثل هذا يسميه البلاغيون تأكيد المدح بما يشبه الذم وهذا القول هو الصحيح في الآية واختاره ابن جرير وعليه فلا إشكال.

الثاني: أن معنى الآية **{إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}** أي لا تؤذوا قرابتي وعترتي واحفظوني فيهم ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير وعمر بن شعيب وعلي بن الحسن وعليه فلا إشكال أيضا لأن المودة بين المسلمين واجبة فيما بينهم وأجرى قرابة النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}** وفي الحديث: "مثل المؤمنين في ترحامهم وتوادهم كالجسد الواحد إذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". والأحاديث في مثل هذا كثيرة جدا. وإذا كان نفس الدين يوجب هذا بين المسلمين تبين أنه غير عوض عن التبليغ وقال بعض العلماء: الاستثناء منقطع على كلا القولين، وعليه فلا إشكال. فمعناه على القول الأول لا أسألكم عليه أجرا لكن أذكركم قرابتي فيكم وعلى الثاني لكن أذكركم الله في قرابتي فاحفظوني فيهم.

الثالث: وبه قال الحسن: **{إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}** أي ألا تتوددوا إلى الله وتتقربوا إليه إلا بالطاعة والعمل الصالح وعليه فلا إشكال لأن التقرب إلى الله ليس أجر على التبليغ.

الرابع: **{إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}** أي ألا تتوددوا إلى قراباتكم وتصلوا أرحامكم. ذكر ابن جرير هذا القول عن عبد الله بن القاسم وعليه فلا إشكال لأن صلة الإنسان رحمه ليست أجرا على التبليغ فقد علمت الصحيح في تفسير الآية وظهر لك رفع الإشكال على جميع الأقوال. وأما القول بأن قوله تعالى: **{إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}** منسوخ بقوله تعالى: **{قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ}**

فَهُوَ لَكُمْ} فهو ضعيف والعلم عند الله تعالى.

سورة فاطر

قوله تعالى: **{وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ}** الضمير في قوله: **{عُمُرِهِ}** يظهر رجوعه إلى المعمر فيشكل معنى الآية لأن المعمر والمنقوص من عمره ضدان فيظهر تنافي الضمير ومفسره.

الجواب: أن المراد بالمعمر هنا جنس المعمر الذي هو مطلق الشخص فيصدق بالذي لم ينقص من عمره وبالذي نقص من عمره فصار المعنى: لا يزداد في عمر شخص ولا ينقص من عمر شخص إلا في كتاب الله وهذه المسألة هي المعروفة عند العلماء العربية بمسألة عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر.

قال ابن كثير في تفسيره: "الضمير عائد على الجنس لا على العين لأن طویل العمر في الكتاب وفي علم الله لا ينقص من عمره إنما عاد الضمير على الجنس". انتهى منه.

قوله تعالى: **{وَمَكْرَ السَّيِّئِ}** يدل على أن المكر هنا شيء غير السيئ أضيف إلى السيئ لزوم المغايرة بين المضاف والمضاف إليه. وقوله تعالى: **{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}** يدل على أن المراد بالمكر هنا هو السيئ بعينه لا شيء آخر فالتنافي بين التركيب الإضافي والتركيب التقييدي ظاهر. والذي يظهر والله تعالى أعلم أن التحقيق جواز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلفت الألفاظ لأن المغايرة بين الألفاظ ربما كفت في المغايرة بين المضاف والمضاف إليه كما جزم به ابن جرير في تفسيره في غير هذا الموضع ويشير إليه ابن مالك في الخلاصة بقوله: وإن يكونا مفردين فأصنف وأما قوله:

ولا يضاف اسم لما به اتحد
فالذي يظهر فيه بعد البحث أنه لا حاجة إلى تأويله مع كثرته في القرآن واللغة العربية فالظاهر أنه أسلوب من أساليب العربية بدليل كثرة ورود كقولنا هنا: **{وَمَكْرَ السَّيِّئِ}** والمكر هو السيئ بدليل قوله: **{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ}** الآية. وكقوله: **{وَالدَّارُ الْآخِرَةُ}** والدار هي الآخرة وكقوله: **{شَهْرُ رَمَضَانَ}** والشهر هو رمضان على التحقيق. وكقوله: **{مِنْ خَبَلٍ الْوَرِيدِ}** والخبل هو الوريد ونظيره من كلام العرب قول عنتره في معلقته:

ومشك سابعة هتكت فزوجها
بالسيف عن حامي الحقيقة معلم
فأصل المشك بالكسر السير الذي تشد به الدرع ولكن عنتره هنا أراد به نفس الدرع وأضافه إليها كما هو واضح من كلامه لأن الحكم بهتك الفروج واقع على الدرع لا على السير الذي تشد به كما جزم به بعض المحققين وهو ظاهر خلافا لظاهر كلام صاحب تاج العروس فإنه أورد بيت عنتره شاهداً لأن المشك السير الذي تشد به الدرع بل المشك في بيت عنتره هذا على التحقيق هو السابعة وأضيف إليها على ما ذكرنا. وقول امرئ القيس:

كبكر المقناة البياض بصفرة
غداؤها نمير الماء غير المحلل
فالبكر هي المقناة على التحقيق وأما على ما ذهب إليه ابن مالك فالجواب تأويل المضاف بأن المراد به مسمى المضاف إليه.

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب

لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المدرس بالجامعة
(سورة يس)

قوله تعالى: **{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ}** الآية. ظاهرها خصوص الإنذار بالمنتفعين به ونظيرها قوله تعالى: **{إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنِ خَشَاها}** وقد جاءت آيات أخر تدل على عموم الإنذار كقوله: **{وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا}**. وقوله **{لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}**، وقوله: **{فَانذِرْكُمْ تَارًا تَلَطَّى}** وقد قدمنا وجه الجمع بأن الإنذار في الحقيقة عام وإنما خص في بعض الآيات بالمؤمنين لبيان أنهم هم المنتفعون به دون غيرهم كما قال تعالى: **{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}**. وبين أن الإنذار وعدمه سواء بالنسبة إلى إيمان الأشقياء بقوله: **{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}**.

(سورة الصافات)

قوله تعالى: **{فَتَبَدَّلْنَا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ}**، هذه الآية الكريمة فيها التصريح بنبذ يونيس بالعراء عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقد جاءت آية أخرى يتوهم منها خلاف ذلك وهي قوله: **{لَوْلَا أَنْ تَذَارِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ}** الآية. والجواب: أن الامتناع المدلول عليه بحرف الامتناع الذي هو لولا منصب على الجملة الحالية لا على جواب لولا.

وتقرير المعنى: لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء في حال كونه مذموماً لكنه تداركته نعمة ربه فنبتذ بالعراء غير مذموم فهذه الحال عمدة لا فضلة، أو أن المراد بالفضلة ما ليس ركناً في الإسناد وإن توقفت صحة المعنى عليه ونظيرها قوله تعالى: **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ}** وقوله: **{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا}** الآية لأن النفي فيهما منصب على الحال لا على ما قبلها.

(سورة ص)
قوله تعالى: **{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ}** الآية، هذه الآية تدل بظاهرها على أن الخصم مفرد ولكن الضمائر بعده تدل على خلاف ذلك، والجواب أن الخصم في الأصل مصدر خصمه والعرب إذا نعتت بالمصدر أفردته وذكّرتة، وعليه فالخصم يراد به الجماعة والواحد والاثنان ويجوز جمعه وتثنيته لتناسي أصله الذي هو المصدر وتنزيله منزلة الوصف.

قال ابن مالك:
ونعتوا بمصدر كثيرا
(سورة الزمر)
قوله تعالى: **{وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ}** ظاهر في الإفراد، وقوله: **{أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}** يدل على خلاف ذلك.
وقد قدمنا وجه الجمع محررا بشواهد في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا}** الآية.
قوله تعالى: **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ}** الآية: هذه الآية الكريمة تدل على أمرين.

الأول: أن المسرفين ليس لهم أن يفتنوا من رحمة الله مع أنه جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **{وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ}**.
والجواب أن الإسراف يكون بالكفر ويكون بإرتكاب المعاصي دون الكفر فآية **{وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ}** في الإسراف الذي هو كفر وآية **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ}** في الإسراف بالمعاصي دون الكفر، ويحاط أيضا بأن آية **{وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ}** فيما إذا لم يتوبوا وأن قوله **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا}** فيما إذا تابوا.
والأمر الثاني: أنها دلت على غفران جميع الذنوب، مع أنه دلت آيات أخر على أن من الذنوب ما لا يغفر وهو الشرك بالله تعالى.
والجواب-أن الآية **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}** مخصصة لهذه، وقال بعض العلماء هذه مقيدة بالتوبة بدليل قوله تعالى: **{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ}** فإنه عطف على قوله **{لَا تَقْنَطُوا}**، وعليه فلا إشكال وهو اختيار ابن كثير.
(سورة غافر)

قوله تعالى: **{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا}** هذه الآية الكريمة تدل على أن استغفار الملائكة لأهل الأرض خاص بالمؤمنين منهم، وقد جاءت آية أخرى يدل بظاهرها على خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ}** الآية.
والجواب أن آية غافر مخصصة لآية الشورى، والمعنى ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين لوجوب تخصيص العام بالخاص.

قوله تعالى: **{وَإِنْ يَكْ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ}** لا يخفى ما سبق إلى الذهن في هذه الآية من توهم المنافاة بين الشرط والجزاء في البعض لأن المناسب لاشتراط الصدق هو أن يصيبهم جميع الذين يعدهم لا بعضه مع أنه تعالى لم يقل وإن يك صادقا يصيبكم كل الذي يعدكم، وأجيب عن هذا بأجوبة من أقربها عندي أن المراد بالبعض الذي يصيبهم هو البعض العاجل الذي هو عذاب الدنيا لأنهم أشد خوفا من العذاب العاجل، ولأنهم أقرب إلى التصديق بعذاب الدنيا منهم بعذاب الآخرة، ومنها أن المعنى: إن يك صادقا فلا أقل من أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وعلى هذا فالنكتة المبالغة في التحذير لأنه إذا حذرهم من إصابة البعض أفاد أنه مهلك مخوف فما بال الكل، وفيه إظهار لكمال الإنصاف وعدم التعصب ولذا قدم احتمال كونه كاذبا.

ومنها -أن لفظة- البعض يراد بها الكل وعليه فمعنى بعض الذي يعدكم كل الذي يعدكم ومن شواهد هذا في اللغة العربية قول الشاعر:

دون الشيوخ ترى في بعضها خلا
إن الأمور إذا الأحداث دبرها
يعني ترى فيها خلا.
وقول القطامي:

قد يدرك المتأني بعض حاجته
يعني قد يدرك المتأني حاجته.
وأما استدلال أبي عبيدة لهذا بقول لبيد:

تراك أمكنة إذا لم أرضها
أو يعتلق بعض النفوس حمامها
فغلط منه لأن مراد لبيد ببعض النفوس نفسه كما بينته في رحلتي في الكلام على قوله **{وَلَوْ أَنَّ فُرْأَنًا شِئْرَتْ بِهِ الْجِبَالُ}** الآية.

(سورة فصلت)
قوله تعالى: **{قُلْ أَتَاكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ}** إلى قوله **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}** تقديم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: **{وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}** في الكلام على قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}** الآية.
قوله تعالى: **{فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}**.
لا يخفى ما يسبق إلى الذهن من منافاة هذه الحال وصاحبها لأنها جمع مذكور عاقل وصاحبها ضمير تثنية لغير عاقل ولو طابقت صاحبها في التثنية حسب ما يسبق إلى الذهن لقال: أتينا طائعتين. والجواب عن هذا من وجهين: أحدهما - وهو الأظهر عندي - أن جمعه للسماوات والأرض لأن

السموات سبع والأرضين كذلك بدليل قوله **{وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}** فالتثنية لفظية تحتها أربعة عشر فردا، وأما إتيان الجمع على صيغة جمع العقلاء فلأن العادة في اللغة العربية أنه إذا وصف غير العاقل بصفة تختص بالعاقل أجرى عليه حكمه ومنه قوله تعالى: **{إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}** لما كان السجود في الظاهر من خواص العقلاء أجرى حكمهم على الشمس والقمر والكواكب لوصفها به، ونظيره: قوله تعالى: **{قَالُوا تَعْبُدُوا أَصْنَامًا فَتَطْلُلْ لَهَا عَافِيَةً، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضَرُّونَ}**. فأجرى على الأصنام حكم العقلاء لتنزيل الكفار لها منزلتهم، ومن هذا المعنى قول قيس بن

الملوح:

أسرب القطا هل من يعير جناحه

... البيت.

فإنه لما طلب الإغارة من القطا وهي من خواص العقلاء أجرى على القطا اللفظ المختص بالعقلاء لذلك، ووجه تذكير الجمع أن السموات والأرض تأنيثها غير حقيقي. الوجه الثاني: أن المعنى قائلنا أننا بمن فينا طائعين فيكون فيه تغليب العاقل على غيره والأول أظهر عندي والعلم عند الله تعالى.

(سورة الشورى)

قوله تعالى: **{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْتَظِرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ}** الآية، هذه الآية الكريمة تدل على أن الكفار يوم القيامة ينظرون بعيون خفية ضعيفة النظر وقد جاءت آية أخرى يتوهم منها خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **{فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}**. والجواب هو ما ذكره صاحب الإتيان من أن المراد بحدة البصر العلم وقوة المعرفة، قال قطرب: فبصرك أي علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم بصر بكذا أي علم وليس المراد رؤية العين، قال الفارسي ويدل على ذلك قوله **{فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ}**.

وقال بعض العلماء: فبصرك اليوم حديد أي تدرك به ما عميت عنه في دار الدنيا ويدل لهذا قوله تعالى: **{رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا}** الآية، وقوله: **{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا}** الآية، وقوله: **{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ تَأْتُوتَنَّا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}**.

ودلالة القرآن على هذا الوجه الأخير ظاهرة فلعلة هو الأرجح وإن اقتصر صاحب الإتيان على الأول.

(سورة الزخرف)

قوله تعالى: **{وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ}** كلامهم هذا حقي لأن كفرهم بمشيئة الله الكونية وقد صرح الله بأنهم كاذبون حيث قال: **{مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}**. وقد قدمنا الجواب واضحا في سورة الأنعام في الكلام على قوله: **{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ}** الآية.

قوله تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ}** هذا العطف مع التنكير في هذه الآية يتوهم الجاهل منه تعدد الآلهة مع أن الآيات القرآنية مصرحة بأنه واحد كقوله: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}** وقوله: **{وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ}** الآية.

والجواب- أن معنى الآية أنه تعالى هو معبود أهل السموات والأرض فقوله: **{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ}** أي معبود وحده في السماء كما أنه المعبود بالحق في الأرض سبحانه وتعالى. (سورة الدخان)

قوله تعالى: **{ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ دُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}**، هذه الآية الكريمة يتوهم من ظاهرها ثبوت العزة والكرم لأهل النار مع أن الآيات القرآنية مصرحة بخلاف ذلك كقوله: **{سَيَذَخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}** أي صاعرين أدلاء.

وكقوله **{وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}**، وقوله هنا: **{خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}**. والجواب- أنها نزلت في أبي جهل لما قال: أبوعدني محمد صلى الله عليه وسلم وليس بين جليلها أعز ولا أكرم مني فلما عذبه الله بكفره قال له ذق إنك أنت العزيز الكريم في زعمك الكاذب بل أنت المهان الخسيس الحقير فهذا التقريع نوع من أنواع العذاب.

(سورة الجاثية)

قوله تعالى: **{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}** لا يعارض قوله تعالى: **{لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى}** ولا قوله: **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}** وقد قدمنا الجواب واضحا في سورة الأعراف.

(سورة الأحقاف)

قوله تعالى: **{قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}** الآية، هذه الآية الكريمة تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم مصير أمره وقد جاءت آية أخرى تدل أنه عالم بأن مصيره إلى الخير وهي قوله تعالى: **{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}** فإن قوله وما تأخر تنصيص على حسن العاقبة والخاتمة والجواب ظاهر وهو أن الله تعالى علمه ذلك بعد أن كان لا يعلمه.

ويستأنس له بقوله تعالى: **{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ}** الآية وقوله: **{مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا}** الآية، وقوله: **{وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}**، وقوله: **{وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ}** الآية.

وهذا الجواب هو معنى قول ابن عباس وهو مراد عكرمة والحسن وقتادة بأنها منسوخة بقوله: **{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ}** الآية.

ويدل له أن الأحقاف مكية وسورة الفتح نزلت عام ست في رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية، وأجاب بعض العلماء بأن المراد ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا من الحوادث والوقائع وعليه فلا إشكال والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}** هذه الآية يفهم من ظاهرها أن جزاء المطيع من الجن غفران ذنوبه وإجارته من عذاب اليم لا دخوله الجنة، وقد تمسك جماعة من العلماء منهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى بظاهر هذه الآية فقالوا إن المؤمنين المطيعين من الجن لا يدخلون الجنة مع أنه جاء في آية أخرى ما يدل على أن مؤمنهم في الجنة وهي قوله تعالى: **{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ}** لأنه تعالى بين شموله للجن والإنس بقوله: **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}** ويستأنس لهذا بقوله تعالى: **{لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ}** لأنه يشير إلى أن في الجنة جنا يطمئون النساء كالإنس والجواب عن هذا أن آية الأحقاف نص فيها على الغفران والإجارة من العذاب ولم يتعرض فيها لدخول الجنة بنفي ولا إثبات، وآية الرحمن نص فيها على دخولهم الجنة لأنه تعالى قال فيها: **{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ}** وقد تقرر في الأصول أن الموصولات من صيغ العموم فقوله لمن خاف يعم كل خائف مقام ربه ثم صرح بشمول ذلك للجن والإنس مع بقوله: **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}** فيبين أن الوعد بالجننتين لمن خاف مقام ربه من آياته أي نعمه على الإنس والجن فلا تعارض بين الآيتين لأن إحداهما بينت ما لم تتعرض له الأخرى ولو سلمنا أن قوله: **{يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}** يفهم منه عدم دخولهم الجنة فإنه إنما يدل عليه بالمفهوم وقوله **{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ}**، **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}** يدل على دخولهم الجنة بعموم المنطوق والمنطوق مقدم على المفهوم كما تقرر في الأصول ولا يخفى أنا إذا أردنا تحقيق هذا المفهوم المدعى وجدناه معدوما من أصله للإجماع على أن قسمة المفهوم ثنائية، إما أن يكون مفهوم موافقة أو مخالفة ولا ثالث، ولا يدخل هذا المفهوم المدعى في شيء من أقسام المفهومين أما عدم دخوله في مفهوم الموافقة بقسميه فواضح وأما عدم دخوله في شيء من أنواع مفهوم المخالفة فلأن عدم دخوله في مفهوم الحصر أو العلة أو الغاية أو العدد أو الصفة أو الطرف واضح فلم يبق من أنواع مفهوم المخالفة يتوهم دخوله فيه إلا مفهوم الشرط أو اللقب وليس داخلا في واحد منهما فظهر عدم دخوله فيه أصلا، أما وجه توهم دخوله في مفهوم الشرط فلأن قوله **{يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ}** فعل مضارع مجزوم بكونه جزاء الطلب وجمهور علماء العربية على أن الفعل إذا كان كذلك فهو مجزوم بشرط مقدر لا بالجملة قبله كما قيل به وعلى الصحيح الذي هو مذهب الجمهور فتقرير المعنى أجيبوا داعي الله وآمنوا به أن تفعلوا ذلك يغفر لكم فيتوهم في الآية مفهوم هذا الشرط المقدر، والجواب عن هذا أن مفهوم الشرط عند القائل به إنما هو في فعل الشرط لا في جزائه وهو معتبر هنا في فعل الشرط على عادته فمفهوم أن تجيبوا داعي الله وتؤمنوا به يغفر لكم أنهم إن لم يجيبوا داعي الله ولم يؤمنوا به لم يغفر لهم وهو كذلك، أما جزاء الشرط فلا مفهوم له لاحتمال أن تترتب على الشرط الواحد مشروطات كثيرة فيذكر بعضها جزاء له فلا يدل على نفي غيره كما لو قلت لشخص مثلا إن تسرق يجب عليك غرم ما سرقته فهذا الكلام حق ولا يدل على نفي غير الغرم كالقطع، لأن قطع اليد مرتب أيضا على السرقة كالغرم فكذلك الغفران والإجارة من العذاب ودخول الجنة كلها مرتبة على إجابة داعي الله والإيمان به فذكر في الآية بعضها وسكت فيها عن بعض ثم بين في موضع آخر وهذا لا إشكال فيه، وأما وجه توهم دخوله في مفهوم اللقب فلأن اللقب في اصطلاح الأصوليين هو ما لم يكن انتظام الكلام العربي دونه أعني المسند إليه سواء كان لقبا أو كنية أو اسما أو اسم جنس أو غير ذلك وقد أوضحنا اللقب غاية في المائدة.

والجواب عن عدم دخوله في مفهوم اللقب أن الغفران والإجارة من العذاب المدعى بالفرض أنهما لقيان لجنس مصدر بهما وأن تخصيصهما في الآية مسندان لا مسند إليهما بدليل أن المصدر فيهما كامن في الفعل ولا يسند إلى الفعل إجماعا ما لم يرد مجرد لفظه على سبيل الحكاية، ومفهوم اللقب عند القائل به إنما هو فيما إذا كان اللقب مسندا إليه لأن تخصيصه بالذكر عند القائل به يدل على اختصاص الحكم به دون غيره وإلا لما كان للتخصيص بالذكر فائدة كما عللوا به مفهوم الصفة، وأجيب من جهة الجمهور بأن اللقب ذكر ليتمكن الحكم لا لتخصيصه بالحكم إذ لا يمكن الإسناد بدون مسند إليه ومما يوضح ذلك أن مفهوم الصفة الذي جمل عليه اللقب عند القائل به إنما هو في المسند إليه لا في المسند لأن المسند إليه هو الذي تراعى أفراده وصفاتها فيقصد بعضها بالذكر دون بعض فيختص الحكم بالمدكور.

أما المسند فإنه لا يراعى فيه شيء من الأفراد ولا الأوصاف أصلا وإنما يراعى فيه مجرد الماهية التي هي الحقيقة الذهنية فلو حكمت مثلا على الإنسان بأنه حيوان فإن المسند إليه الذي هو الإنسان في هذا المثال يقصد به جميع أفراد له لأن كل فرد منها حيوان بخلاف المسند الذي هو الحيوان في هذا المثال فلا يقصد به إلا مطلق ماهيته وحقيقته الذهنية من غير مراعاة الأفراد، لأنه لو روعيت أفراده لاستلزم الحكم على الإنسان بأنه فرد آخر من أفراد الحيوان كالفرس مثلا والحكم بالمباين على المباين باطل إذا كان إيجابيا باتفاق العقلاء وعامة النظار على أن موضوع القضية إذا كانت غير طبيعية يراعى فيه ما يصدق عليه عنوانها من الأفراد باعتبار الوجود الخارجي إن كانت خارجية أو الذهني إن كانت حقيقية.

وأما المحمول من حيث هو فلا تراعى فيه الأفراد البتة وإنما يراعى فيه مطلق الماهية ولو سلمنا تسليما جديا أن مثل هذه الآية يدخل في مفهوم اللقب فجماهير العلماء على أن مفهوم اللقب لا عبرة به وربما كان اعتباره كقرا كما لو اعتبر معتبر مفهوم اللقب في قوله تعالى: **{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ}** فقال يفهم من مفهوم لقبه أن غير محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن رسول الله فهذا كفر بإجماع المسلمين فالتحقيق أن اعتبار مفهوم اللقب لا دليل عليه شرعا ولا لغة ولا عقلا سواء كان اسم جنس أو اسم عين أو اسم جمع أو غير ذلك، فقولك جاء زيد لا يفهم منه عدم مجيء عمرو، وقولك رأيت أسدا لا

يفهم منه عدم رؤيتك غير الأسد والقول بالفرق بين اسم الجنس فيعتبر واسم العين فلا يعتبر لا يظهر فلا عبرة بقول الصيرفي وأبي بكر الدقاق وغيرهما من الشافعية، ولا بقول ابن خوزير منداد وابن القصار من المالكية ولا بقول بعض الحنابلة باعتبار مفهوم اللقب لأنه لا دليل على اعتباره عند القائل به إلا أنه يقول لو لم يكن اللقب مختصاً بالحكم لما كان لتخصيصه بالذكر فائدة كما علل به مفهوم الصفة لأن الجمهور يقولون ذكر اللقب ليسند إليه وهو واضح لا إشكال فيه، وأشار صاحب مراقبي السعود إلى تعريف اللقب بالاصطلاح الأصولي وأنه أضعف المفاهيم بقوله:

أضعفها اللقب وهو ما أبي
من دونه نظم الكلام العربي
وحاصل فقه هذه المسألة أن الجن مكلفون على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين وأن كافرهم في النار بإجماع المسلمين وهو صريح، قوله تعالى: **{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}**، وقوله تعالى: **{فَكُنْكُمْ فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ وَخُنُودٌ إِلَيْهِنَّ أَجْمَعُونَ}**، وقوله تعالى: **{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ}** إلى غير ذلك من الآيات، وأن مؤمنهم اختلف في دخولهم الجنة ومنشأ الخلاف الاختلاف في فهم الآيتين المذكورتين والظاهر دخولهم الجنة كم بينا والعلم عند الله تعالى. (سورة القتال)

قوله تعالى: **{فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}** هذه الآية الكريمة تدل على تعدد الأنهار مع تعدد أنواعها، وقد جاءت آية أخرى يوهم ظاهرها أنه نهر واحد وهي قوله تعالى: **{إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَابٍ وَنَهْرٍ}** وقد تقدم الجمع واضحاً في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ}** الآية، وبيناً أن قوله: **{وَنَهْرٍ}** يعني أنهار. (سورة الفتح)

قوله تعالى: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}** الآية، لا يخفى ما سبق إلى الذهن من تنافي هذه العلة ومعلولها لأن فتح الله لنبيه لا يظهر كونه علة لغفرانه له.

والجواب عن هذا من وجهين:
الأول: وهو اختيار ابن جرير لدلالة الكتاب والسنة عليه أن المعنى أن فتح الله لنبيه يدل بدلالة الالتزام على شكر النبي لنعمة الفتح فيغفر الله له ما تقدم وما تأخر بسبب شكره بأنواع العبادة على تلك النعمة فكان شكر النبي لازم لنعمة الفتح والغفران مرتب على ذلك اللازم.
أما دلالة الكتاب على هذا ففي قوله تعالى: **{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}** فصرح في هذه السورة الكريمة بأن تسبيحه بحمده ربه واستغفاره لربه شكراً على نعمة الفتح سبب لغفران ذنوبه لأنه رتب تسبيحه بحمده واستغفاره بالفاء على مجيء الفتح والنصر ترتيب المعلول على علته ثم بين أن ذلك الشكر سبب الغفران بقوله: **{إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}**.

وأما دلالة السنة ففي قوله صلى الله عليه وسلم لما قال له بعض أصحابه لا تجهد نفسك بالعمل فإن الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر "أفلا أكون عبداً شكوراً؟" فبين صلى الله عليه وسلم أن اجتهاده في العمل لشكر تلك النعمة وترتب الغفران على الاجتهاد في العمل لا خفاء به.
الوجه الثاني: إن قوله **{إِنَّا فَتَحْنَا}** يفهم منه بدلالة الالتزام الجهاد في سبيل الله لأنه السبب الأعظم في الفتح، والجهاد سبب لغفران الذنوب فيكون المعنى ليغفر لك الله بسبب جهادك المفهوم من ذكر الفتح، والعلم عند الله تعالى.

دفع إبهام الاضطراب

عن آيات الكتاب لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي _ المدرس بالجامعة _ (سورة الحجرات)

قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى}**. هذه الآية الكريمة تدل على أن خلق الناس ابتداءً من ذكر وأنثى. وقد دلت آيات أخر على خلقهم من غير ذلك كقوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ}** وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ}**.

والجواب واضح وهو أن التراب هو الطور الأول وقد قال تعالى: **{وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}** وقد بين الله أطوار خلق الإنسان من مبدئه إلى منتهاه بقوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}** إلى آخره.
(سورة ق)

قوله تعالى: **{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}** هذه الآية تدل على خصوص التذكير بالقرآن بمن يخاف وعيد وقد جاءت آخر تدل على عمومته كقوله تعالى: **{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}** وقوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا}** والجواب أن التذكير بالقرآن عام إلا أنه لما كان المنتفع به من يخاف وعيد الله صار كأنه مختص به كما أشار إليه قوله تعالى: **{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}** كما تقدم نظيره مرارا.
(سورة الذاريات)

قوله تعالى: **{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ}**. لا يخفى ما بين هذا النعت ومنعوته من التنافي في الظاهر لأن النعت صيغة جمع والمنعوت لفظ مفرد. والجواب أن لفظة الضيف تطلق على الواحد والجمع لأن أصلها مصدر ضاف فنقلت من المصدرية إلى الاسمية كما تقدم في سورة البقرة.

(سورة الطور)
قوله تعالى: **{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}** هذه الآية تقتضي عموم رهن كل إنسان بعمله ولو كان من أصحاب اليمين نظرا لشمول المدلول عليه بلفظه كل وقد جاءت آية أخرى تدل على عدم شمولها لأصحاب اليمين وهي قوله تعالى: **{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ}**.

والجواب ظاهر وهو أن آية الطور هذه تخصصها آية المدثر.

(سورة النجم)
قوله تعالى: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا**

وَحْيٍ يُوحَى}. هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجتهد في شيء وقد جاءت آيات أخر تدل على أنه صلى الله عليه وسلم ربما اجتهد في بعض الأمور كما دل عليه قوله تعالى: **{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ}**. وقوله تعالى: **{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ}** الآية.

والجواب عن هذا من وجهين: الأول _ وهو الذي اقتصر عليه ابن جرير وصدر به ابن الحاجب في مختصره الأصولي إن معنى قوله تعالى: **{وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى}** أي في كل ما يبلغه عن الله أن هو أي كل ما يبلغه عن الله إلا وحي من الله لأنه لا يقول على الله شيئاً إلا بوحي منه فالآية رد على الكفار حيث قالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم افترى هذا القرآن كما قال ابن الحاجب.

الوجه الثاني: أنه إن اجتهد فإنه إنما يجتهد بوحي من الله يأذن له به في ذلك الاجتهاد وعليه فاجتهاده بوحي فلا منافاة. ويدل لهذا الوجه أن اجتهاده في الإذن للمتخلفين عن غزوة تبوك أذن الله له فيه حيث قال له فأذن لمن شئت منهم. فلما أذن للمنافقين عاتبه بقوله: **{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكِ الْذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ}**. فالاجتهاد في الحقيقة إنما هو في الإذن قبل التبين لا في مطلق الإذن للنص عليه. ومسألة اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم وعدمه من مسائل الخلاف المشهورة عند علماء الأصول وسبب اختلافهم هو تعارض هذه الآيات في ظاهر الأمر.

قال مقيده عفا الله عنه: الذي يظهر أن التحقيق في هذه المسألة أنه صلى الله عليه وسلم ربما فعل بعض المسائل من غير وحي في خصوص كإذنه للمتخلفين عن غزوة تبوك قبل أن يتبين صادقهم من كاذبهم وكأسرة لأسارى بدر وكأمره بترك تأبير النخل وكقوله: **"لو استقبلت من أمري ما استدبرت"** الحديث. إلى غير ذلك. وإن معنى قوله تعالى: **{وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى}** لا إشكال فيه لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق بشيء من أجل الهوى

ولا يتكلم بالهوى وقوله تعالى: **{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}** يعني أن كل ما يبلغه عن الله فهو وحى من الله لا بهوى ولا بكذب ولا افتراء. والعلم عند الله تعالى.
قوله تعالى: **{وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}**
هذه الآية الكريمة تدل على أنه لا ينتفع أحد بعمل غير. وقد جاءت آية أخرى تدل على أن بعض الناس ربما انتفع بعمل غيره وهي قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ}** الآية. فرفع درجات الأولاد سواء قلنا إنهم الكبار أو الصغار نفع حاصل لهم وإنما حصل لهم بعمل آبائهم لا بعمل أنفسهم. اعلم أولا أن ما روي عن ابن عباس من أن هذا كان شرعا لمن قبلنا فنسخ في شرعنا غير صحيح بل آية وأن ليس للإنسان محكمة كما أن القول بأن المراد بالإنسان خصوص الكافر غير الصحيح أيضا والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول - إن الآية إنما دلت على نفي ملك الإنسان لغير سعيه ولم تدل على نفي انتفاعه بسعي غيره لأنه لم يقل وأن لن ينتفع الإنسان إلا بما سعى. وإنما قال وأن ليس للإنسان. وبين الأمرين فرق ظاهر لأن سعي الغير ملك لساعيه إن شاء بذله لغيره فانتفع به ذلك الغير وإن شاء أبقاه لنفسه وقد أجمع العلماء على انتفاع الميت بالصلاة عليه والدعاء له والحج عنه ونحو ذلك مما ثبت الانتفاع بعمل الغير فيه.

الثاني - أن إيمان الذرية هو السبب الأكبر في رفع درجاتهم إذ لو كانوا كفارا لما حصل لهم ذلك فإيمان العبد وطاعته سعي منه في انتفاعه بعمل غيره من المسلمين كما وقع في الصلاة في الجماعة فإن صلاة بعضهم مع بعض يتضاعف بها الأجر زيادة على صلاته منفردا وتلك المضاعفة انتفاع بعمل الغير سعى فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة. وهذا الوجه يشير بعضهم مع بعض يتضاعف بها الأجر زيادة على صلاته منفردا وتلك المضاعفة انتفاع بعمل الغير سعى فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة. وهذا الوجه يشير له قوله تعالى: **{وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ}**.

الثالث - إن السعي الذي حصل به رفع درجات الأولاد ليس للأولاد كما هو نص قوله تعالى: **{وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}**. ولكنه من سعي الآباء فهو سعي الآباء أقر الله عيونه بسببه بأن رفع إليهم أولادهم لينتمعوا في الجنة برؤيتهم فالآية تصدق الأخرى ولا تنافيها لأن المقصود بالرفع إكرام الآباء لا الأولاد فانتفاع الأولاد تبع فهو بالنسبة إليهم تفضل من الله عليهم بما ليس لهم كما تفضل بذلك على الولدان والحرور العين والخلق الذين ينشؤهم للجنة والعلم عند الله تعالى.

(سورة القمر)

قوله تعالى: **{فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}** يدل على أن عاقر الناقة واحد وقد جاءت آيات أخر تتدل على كونه غير واحد كقوله فعقروا الناقة الآية.

وقوله: **{فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا}**. والجواب من وجهين: الأول - أنهم تماثلوا كلهم على عقرها فانبعث أشقاها لمباشرة الفعل فأسند العقير إليهم لأنه رضاهم ومما لأتاهم.

الوجه الثاني - هو ما قدمنا في سورة الأنفال من إسناد الفعل إلى المجموع مرادا به بعضه وذكرنا في الأنفال نظائره في القرآن العظيم والعلم عند الله تعالى. قوله تعالى: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}**. تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: **{فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ}** الآية.

(سورة الرحمن)

قوله تعالى: **{يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاطِئُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ}**.

لا يخفى ما يسبق إلى الذهن من أن إرسال شواط النار الذي هو لهبها والنحاس الذي هو دخانها أو النحاس المذاب وعدم الانتصار ليس في شيء منه إنعام على الثقيلين. وقوله لهم فباي آلاء الله أي نعمه على الجن والإنس.

والجواب من وجهين: الأول - أن تكرير **{فَبَآئٍ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}** للتوكيد ولم يكرر متواليا لأن تكريره بعد كل آية أحسن من تكريره متواليا وإذا كان للتوكيد فلا إشكال لأن المذكور منه بعد ما ليس من الآلاء مؤكد للمذكور بعد ما هو من الآلاء.

الوجه الثاني _ أن **{ قَبَائِيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }** لم تذكر إلا بعد ذكر نعمة أو موعظة أو إنذار وتخويف وكلها من آلاء الله التي لا يكذب بها إلا كافر جاحد. أما في ذكر النعمة فواضح. وأما في الموعظة فلأن الوعظ تلين له القلوب فتخشع وتنيب فالسبب الموصل إلى ذلك من أعظم النعم فظهر أن الوعظ من أكبر الآلاء.. وأما في الإنذار والتخويف كهذه الآية ففيه أيضا أعظم نعمة على العبد لأن إنذاره في دار الدنيا من أهوال يوم القيامة من أعظم نعم الله عليه ألا ترى أنه لو كان أمام إنسان مسافر مهلكة كبرى وهو مشرف على الوقوع فيها من غير أن يعلم بها فجاءه إنسان فأخبره بها وحذره عن الوقوع فيها أن هذا يكون يدا له عنده وإحسانا يجازيه عليه جزاء أكبر الأنعام وهذا الوجه الأخير هو مقتضى الأصول لأنه قد تقرر في علم الأصول أن النص إذا احتمل التوكيد والتأسيس فالأصل حمله على التأسيس لا على التوكيد لأن في التأسيس زيادة معنى ليست في التوكيد وعلى هذا القول فتكرير **{ قَبَائِيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }** إنما هو باعتبار أنواع النعم المذكورة قبلها من إنعام أو موعظة أو إنذار وقد عرفت أن كلها من آلاء الله فالمذكورة بعد نعمة كالمذكورة بعد قوله: **{ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ }** الآية وبعد قوله: **{ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ }** الآية لأن السفن واللؤلؤ والمرجان من آلاء الله كما هو ضروري والمذكورة بعد موعظة كالمذكورة بعد قوله: **{ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ }** الآية. والمذكورة بعد إنذار أو تخويف كالمذكورة بعد قوله: **{ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ }**. الآية . . . والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ }** تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: **{ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ }** . وقوله: **{ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ إِلَيْهِمْ }** الآية. في سورة الأعراف.

(سورة الواقعة)

قوله تعالى: **{ فَلَا أَفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ }** يقتضي

أنه لم يقسم بهذا القسم.
وقوله تعالى: **{وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}**
يدل على خلاف ذلك.

والجواب من وجهين:
الأول _ أن ((لا)) النافية يتعلق نفيها بكلام الكفار
فمعناها إذا ليس الأمر كما يزعمه الكفار المكذبون
لرسول وعليه أقسم إثبات مؤتلف.

الثاني _ أن لفظة (لا) صلة وقد وعدنا ببيان ذلك
بشواهد في الجمع بين قوله تعالى: **{وَهَذَا الْبَلَدِ
الْأَمِينِ}** مع قوله تعالى: **{وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}**.
(سورة الحديد)

قوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}** يدل على
أنه تعالى مستو على عرشه عال على كل جميع خلقه.
وقوله تعالى **{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ}** يوهم خلاف
ذلك.

والجواب: أنه تعالى مستو على عرشه كما قال بلا كيف
ولا تشبيه استواء لائقا بكماله وجلاله وجميع الخلائق في
يده أصغر من حبة خردل فهو مع جميعهم بالإحاطة الكاملة
والعلم التام ونفوذ القدرة سبحانه وتعالى علوا كبيرا فلا
منافاة بين علوه على عرشه ومعيته لجميع الخلائق ألا ترى
ولله المثل الأعلى أن أحدا لو جعل في يده حبة من خردل
أنه ليس داخلا في شيء من أجزاء تلك الحبة مع أنه محيط
بجميع أجزائها ومع جميع أجزائها والسموات والأرض ومن
فيهما في يده تعالى أصغر من حبة خردل في يد أحدا وله
المثل الأعلى سبحانه وتعالى علوا كبيرا فهو أقرب إلى
الواحد منا من عنق راحلته بل من حبل وريده مع أنه مستو
على عرشه لا يخفى عليه شيء من عمل خلقه جل وعلا.
(سورة المجادلة)

قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ
يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَتَّمَاسَا}** لا يخفى أن ترتيبه بالعتق على الظهار والعود معا
يفهم منه أن الكفارة لا تلزم إلا بالظهار والعود معا وقوله
من قبل أن يتماسا صريح في أن التكفير يلزم كونه قبل

العود إلى المسيس. اعلم أولاً أن ما رجحه ابن حزم من قول داود وحكاة ابن عبد البر عن بكير بن الأشج والقراء وفرقة من أهل الكلام وقال به شعبة من أن معنى ثم يعودون لما قالوا هو عودهم إلى لفظ الظهر فيكررونه مرة أخرى قول باطل بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستفصل المرأة التي نزلت فيها آية الظهر هل كرر زوجها صيغة الظهر أم لا وترك الاستفصال ينزل منزلة العموم في الأقوال كما تقدم مرارا والتحقيق أن الكفارة ومنع الجماع قبلها لا يشترط فيهما تكرير صيغة الظهر وما زعمه البعض أيضا من أن الكلام فيه تقديم وتأخير والذين يظاهرون من يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ثم يعودون لما قالوا سالمين من الإثم بسبب الكفارة غير صحيح أيضا لما تقرر في الأصول من وجوب الحمل على بقاء الترتيب إلا لدليل وإليه الإشارة بقول صاحب مراقي السعود:

كذلك ترتيب لا يجاب	بما له الرجحان مما
العمل	يحتمل

وسنذكر إن شاء الله الجواب عن هذا الإشكال على مذاهب الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين فنقول وبالله نستعين معنى العود عند مالك فيه قولان تؤولت المدونة على كل واحد منهما وكلاهما مرجح. الأول أنه العزم على الجماع فقط - الثاني - أنه العزم على الجماع وإمساك الزوجة معا وعلى كلا القولين فلا أشكال في الآية لأن المعنى حينئذ والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعزمون على الجماع أو عليه مع الإمساك فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا فلا منافاة بين العزم على الجماع أو عليه مع الإمساك وبين الإعتاق قبل المسيس وغاية ما يلزم على هذا القول حذف الإرادة وهو واقع في القرآن كقوله تعالى: **{إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ}** أي أردتم القيام إليها. وقوله: **{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ}** أي أردت قراءته فاستعد بالله الآية. ومعنى العود عند الشافعي أن يمسكها بعد المظاهرة زمانا يمكنه أن يطلقه فيه فلا يطلق عليه فلا

إشكال في الآية أيضا لأن إمساكه إياها الزمن المذكور لا ينافي التكفير قبل المسيس كما هو واضح ومعنى العود عند أحمد هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه أما العزم فقد بينا أنه لا إشكال في الآية على القول به وأما على القول بأنه الجماع فالجواب أنه إن ظاهره وجامع قبل التكفير يلزمه الكف عن المسيس مرة أخرى حتى يكفر ولا يلزم من هذا جواز الجماع الأول قبل التكفير لأن الآية على هذا القول إنما بينت حكم ما إذا وقع الجماع قبل التكفير وأنه وجوب التكفير قبل مسيس آخر وأما الإقدام على المسيس الأول فحرمة معلومة من عموم قوله: **{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّمَاسَا}** ومعنى العود عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى هو العزم على الوطء وعليه فلا إشكال كما تقدم وما حكاه الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره عن مالك من أنه حكى عنه أن العود الجماع فهو خلاف المعروف من مذهبه وكذلك ما حكاه عن أبي حنيفة من أن العود هو العود إلى الظهار بعد تحريره ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية فهو خلاف المقرر في فروع الحنفية من أنه العزم على الوطء كما ذكرنا وغالب ما قيل في معنى العود راجع إلى ما ذكرنا من أقوال الإئمة رحمهم الله وقال بعض العلماء المراد بالعود الرجوع إلى الاستمتاع بغير الجماع والمراد بالمسيس في قوله: **{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّمَاسَا}** خصوص الجماع وعليه فلا إشكال ولكن لا يخفى عدم ظهور هذا القول والتحقيق عدم جواز الاستمتاع بوطء أو غيره قبل التكفير لعموم قوله: **{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّمَاسَا}** وأجاز بعضهم الاستمتاع بغير الوطء قائلا إن المراد بالمسيس في قوله: **{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّمَاسَا}** نفس الجماع لا مقدماته وممن قال بذلك الحسن البصري والثوري وروي عن الشافعي في أحد القولين وقال بعض العلماء اللام في قوله: **{لَمَّا قَالُوا}** بمعنى في أي يعودون فيما قالوا بمعنى يرجعون عنه قوله صلى الله عليه وسلم: **"الواهب العائد في هبته"**. الحديث. وقيل اللام بمعنى عن أي يعودون لما قالوا أي يرجعون عنه وهو قريب مما قبله. قال مقيده عفا الله عنه: الذي يظهر والله تعالى

أعلم أن العود له مبدأ ومنتهى فمبدؤه العزم على الوطاء ومنتهاه الوطاء بالفعل فمن عزم على الوطاء فقد عاد بالنية فتلزمه الكفارة لإباحة الوطاء ومن وطء بالفعل تحتم في حقه اللزوم وخالف بالإقدام على الوطاء قبل التكفير ويدل لهذا أنه صلى الله عليه وسلم لما قال: **"إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار"** وقالوا: "يا رسول الله قد عرفنا القاتل فما بال المقتول؟" قال: **"إنه كان حريصا على قتل صاحبه"** فبين أن العزم على الفعل عمل يؤخذ به الإنسان فإن قيل ظاهر الآية المتبادر منها يوافق قول الظاهرية الذي قدمنا بطلانه لأن الظاهر المتبادر من قوله لما قالوا أنه صيغة الظهار فيكون العود لها تكريرها مرة أخرى. فالجواب أن المعنى لما قالوا أنه حرام عليهم وهو الجماع ويدل لذلك وجود نظيره في القرآن في قوله تعالى: **{وَنَرْتُهُ مَا يَقُولُ}** أي ما يقول أنه يؤته من مال وولد في قوله: **{لَا وَتَيْنَ مَالًا وَوَلَدًا}** وما ذكرنا من أن من جامع قبل التكفير يلزمه الكف عن المسيس مرة أخرى حتى يكفر هو التحقيق خلافا لمن قال تسقط الكفارة بالجماع قبل المسيس كما روي عن الزهري وسعيد بن جبير وأبي يوسف ولعن قال تلزم به كفارتان كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن مهدي ولعن قال تلزم به ثلاثة كفارات كما رواه سعيد بن منصور عن الحسن وإبراهيم والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً}** هذه الآية تدل على طلب تقديم الصدقة أمام المناجاة. وقوله تعالى: **{أَشْفَعْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ}** الآية . . يدل على خلاف ذلك.

والجواب ظاهر وأن الأخير ناسخ للأول والعلم عند الله تعالى.

(سورة الحشر)

قوله تعالى: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}** الآية.

تقدم وجه الجمع بين الإطلاق والذي في هذه الآية والتقيد الذي في قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }** في سورة الأنفال وقوله تعالى: **{ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ }**.

(سورة الممتحنة)

قوله تعالى: **{ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ }**.
هذه الآية الكريمة تدل على أن الكافر إذا لم يقاتل المؤمن في الدين ولم يخرج من داره لا يحرم بره والإقسط إليه. وقد جاءت آيات أخر تدل على منع موالاة الكفار وموادتهم مطلقا. كقوله تعالى: **{ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ }** وقوله تعالى: **{ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }**. وقوله تعالى: **{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ }** الآية.

والجواب هو أن من يقول بنسخ هذه الآية فلا إشكال فيها على قوله وعلى القول بأنها محكمة فوجه الجمع مفهوم منها لأن الكافر الذي لم يته عن بره والإقسط إليه مشروط فيه عدم القتال في الدين وعدم إخراج المؤمنين من ديارهم والكافر المنهي عن ذلك فيه هو المقاتل في الدين المخرج للمؤمنين من ديارهم المظاهر للعدو على إخراجهم والعلم عند الله تعالى.

(سورة الصف)

قوله تعالى: **{ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }**
هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن الخارج عن طاعة الله لا يهديه الله. وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: **{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَشَاءُوا }** الآية.
وقوله تعالى: **{ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ }**.

والجواب: أن الآية من العام المخصوص فهي في خصوص الأشقياء الذين أزاغ الله قلوبهم عن الهدى لشقاوتهم الأزلية وقيل المعنى لا يهديهم ما داموا على فسقهم فإن تابوا منه هداهم.

**رفع إيهام الاضطراب
عن آيات الكتاب
لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي
المدرس بالجامعة
سورة الجمعة**

قوله تعالى: **﴿اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** -
فيه إشكال والجواب مثل ما ذكرنا آنفاً في قوله تعالى:

﴿اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.
قوله تعالى: **﴿إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾** الآية . لا يخفى أن أصل مرجع الضمير هو الأحد الدائر بين التجارة واللهو لدلالة لفظة أو على ذلك ولكن هذا الضمير رجع إلى التجارة وحدها دون اللهو فبينه وبين مفسره بعض منافاة في الجملة. والجواب أن التجارة أهم من اللهو وأقوى سبباً في الانفضاض عن النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم انفضوا عنه من أجل العير، واللهو كان من أجل قدومها مع أن اللغة العربية يجوز فيها رجوع الضمير لأحد المذكورين قبله.. أما في العطف فواضح لأن الضمير في الحقيقة راجع إلى الأحد الدائر الذي هو واحد لا بعينه. كقوله تعالى: **﴿مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾**

وأما ألواؤه فهو فيها كثير. ومن أمثله في القرآن قوله تعالى: **﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا﴾** الآية -
وقوله تعالى: **﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾** -
وقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾** الآية - وقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾** الآية - ونظيره من كلام العرب قول نابغة ذبيان: -

وقد أراني ونعما لاهيين بها والدهر والعيش لم يههم
بامرار

سورة المنافقون

قوله تعالى: **﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾** الآية. هذا الذي شهدوا عليه حق لأن رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم حق لا شك فيها وقد

كذبهم الله بقوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، مع أن قوله والله يعلم أنك لرسوله كأنه تصديق لهم.

والجواب أن تكذيبه تعالى لهم منصب على إسنادهم الشهادة إلى أنسهم في قولهم نشهد وهم في باطن الأمر لا يشهدون برسالته بل يعتقدون عدمها أو يشكون فيه كما يدل للأول قوله تعالى: **{أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ}** إلى قوله: **{لَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ}**. ويدل للثاني قوله تعالى:

{وَأَزَلَّتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} قوله تعالى: **{سَبَّوْاْ عَلَيْهِمْ أَتَغْفِرَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ}** الآية ظاهر هذه الآية الكريمة أنه لا يغفر للمنافقين مطلقا وقد جاءت آية توهم الطمع في غفرانه لهم إذا استغفر لهم رسوله صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين مرة. وهي قوله تعالى: **{إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}**

والجواب أن هذه الآية هي الأخيرة بينت أنه لا يغفر لهم على كل حال لأنهم كفار في الباطن.

سورة التغابن

قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَطِيعْتُمْ}** تقدم رفع الاشكال بينه وبين قوله تعالى: **{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ}** في سورة آل عمران

سورة الطلاق

قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}**. الآية. ظاهر في خصوص الخطاب به صلى الله عليه وسلم وقوله: **{إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ}** الآية يقتضي خلاف ذلك.

والجواب هو ما تقدم محررا في سورة الروم من أن الخطاب الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم حكمه عام لجميع الأمة.

قوله تعالى: **{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً}**.

أفرد الضمير في هذه الآية في قوله يؤمن وقوله يعمل وقوله يدخله وقوله، وجمع في قوله خالدين.

والجواب أن الأفراد باعتبار لفظ من والجمع باعتبار معناها وهو كثير في القرآن العظيم. وفي هذه الآية الكريمة رد على من زعم أن مراعاة المعنى لا تجوز بعدها مراعاة اللفظ لأنه في هذه الآية راعى المعنى في قوله خالدين ثم راعى اللفظ بعد ذلك في قوله قد أحسن الله له رزقا.

سورة التحريم

قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ** مع قوله: **قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَجِلَّةً أَيْمَانَكُمْ** يجري فيه من الاشكال.

والجواب ما تقدم في سورة الطلاق

قوله تعالى: **وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتَيْنِ** - لا يخفى ما يسبق إلى الذهن من أن المرأة ليست من الرجال وهو تعالى لم يقل من القانتات.

والجواب هو اطباق أهل للسان العربي على تغليب الذكر على الأنثى في الجمع فلما أراد أن يبين أن مريم من عباد الله القانتين وكان منهم ذكور وأناث غلب الذكور كما هو الواجب في اللغة العربية ونظير قوله تعالى: **{إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ}**. وقوله: **{إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ}**.

سورة الملك

قوله تعالى: **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ظاهر هذه الآية الكريمة يدل على أنهم ما كانوا يسمعون في الدنيا ولا يعقلون وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله: **وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا**.

وقوله: **فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ**.

وقد قدمنا الجواب عن هذا محررا في الكلام على قوله صم بكم وعلى قوله: **{أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا}** الآية.

سورة القلم

قوله تعالى: **لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ**. الآية. تقدم وجه الجمع بينه وبين

قوله: **فَتَبَدَّنَاهُ بِالْعَرَاءِ**}. الآية.

سورة الحاقة

قوله تعالى: **{إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَّةٍ}**

تقدم رفع الاشكال بينه وبين الآيات الدالة على أن الظن لا يغني من الحق شيئا في الكلام على قوله: **{الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ}** في سورة البقرة قوله تعالى: **{لَا طَعَامَ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ}** ظاهر هذا الحصر أنه لا طعام لأهل النار إلا الغسلين وهو ما يسيل من صديد أهل النار على أصح التفسيرات كأنه فعلين من الغسل لأن الصديد كأنه غسالة قروح أهل النار أعادنا الله والمسلمين منها. وقد جاءت آية أخرى تدل على حصر طعامهم في غير الغسلين وهي قوله تعالى: **{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ}** وهو الشبرق اليابس على أصح التفسيرات ويدل لهذا قوله أبي ذؤيب :

رعى الشبرق الريان حتى إذا وصار ضريعا بان عنه
ذوى النحائص

وللعلماء عن هذا أجوبة كثيرة أحسنها عندي اثنان منها ولذلك اقتصرت عليهما الأول- أن العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم من لا طعام له إلا من غسلين ومنهم من لا طعام له إلا من ضريع، ومنهم من لا طعام له إلا الزقوم وبدل لهذا قوله تعالى: **{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ}**. الثاني - أن المعنى في جميع الآيات أنهم لا طعام لهم أصلا لأن الضريع لا يصدق عليه اسم الطعام ولا تأكله البهائم فأحرى الآدميون، وكذلك الغسلين ليس من الطعام فمن طعامه الضريع لا طعام له ومن طعامه الغسلين كذلك. ومنه قولهم فلان لا ظل له إلا الشمس ولا دابة له إلا دابة ثوبه يعنون القمل ومرادهم لا ظل له أصلا ولا دابة له أصلا وعليه فلا اشكال والعلم عند الله تعالى.

سورة سأل سائل

قوله تعالى: **{فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ**

سَنَةٍ}.

تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله في يوم كان مقداره

ألف سنة وقوله: **وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** في سورة الحج وقوله: **{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}** تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: **وَإِنْ تَجَمَّعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ** في سورة النساء.

سورة نوح

قوله تعالى: **{إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}** هذه الآية الكريمة تدل على أن نوحا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عالم بما يصير إليه الأولاد من الفجور والكفر قبل ولادتهم وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله كقوله: **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** وكقول نوح نفسه فيما ذكره الله عنه في سورة هود: **قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ**. الآية. والجواب عن هذا ظاهر وهو أنه علم بوحي من الله أن قومه لا يؤمن منهم أحد إلا من آمن كما بينه بقوله تعالى: **وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ**. الآية.

سورة الجن

قوله تعالى: **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** - لا يعارض قوله: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** لأن القاسط هو الجائر والمقسط هو العادل فهما ضدان. قوله تعالى: **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ**. الآية . أفرد الضمير في قوله له وجمع قوله خالدين.

والجواب هو ما تقدم من أن الأفراد باعتبار لفظ من والجمع باعتبار معناها وهو ظاهر.

سورة المزمل

قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الْمُرْمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا**. وقوله: **{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ}** إلى قوله: **{طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ}** الآية يدل على وجوب قيام الليل على الأمة لأن أمر القدوة أمر لاتباعه. وقوله: **{طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ}** دليل على عدم الخصوصية به صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الله ما

يدل على خلاف ذلك في قوله: **فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** . وقوله: **فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** . والجواب ظاهر وهو أن الأخير ناسخ للأول ثم نسخ الأخير أيضا بالصلوات الخمس.

قوله تعالى: **وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا** . لا يعارض قوله: **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ** لأن قوله وكانت الجبال كثيبا مهिला تشبيه بليغ والجبال بعد طحنها المنصوص عليه بقوله وبست الجبال بسا تشبه الرمل المتهايل وتشبه أيضا الصوف المنفوش.

سورة المدثر
قوله تعالى: **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** . الآية تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** الآية.

سورة القيامة
قوله تعالى: **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** . لا يعارض اقسامه به في قوله: **وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ** . والجواب من وجهين:

أحدهما أن لا نافية لكلام الكفار
الثاني أنها صلة كما تقدم وسيأتي له زيادة إيضاح إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى: **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ** . تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**

سورة الإنسان
قوله تعالى: **وُخِّلُوا أُسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ** . لا يعارضه قوله تعالى: **يُخْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أُسَاوِرَ مِنْ ذَّهَبٍ** الآية ووجه الجمع ظاهر وهو أنهما جنتان أوانيهما وجميع ما فيهما من فضة، وأخريان أوانيهما وجميع ما فيهما من ذهب والعلم عند الله تعالى.

سورة المرسلات
قوله تعالى: **هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ** .

هذه الآية الكريمة تدل على أن أهل النار لا ينطقون

ولا يعتذرون وقد جاءت آيات تدل على أنهم ينطقون ويعتذرون. كقوله تعالى: **﴿إِلَّا اللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾**. وقوله: **﴿فَالْقَوُّوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾**. وقوله: **﴿لَمْ تَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾**. وقوله: **﴿إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ تُسَوِّىكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾** وقوله: **﴿بَنَّا هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا﴾** إلى غير ذلك من الآيات.

والجواب عن هذا من أوجه:

الأول: أن القيامة مواطن ففي بعضها ينطقون وفي بعضها لا ينطقون.

الثاني: أنهم لا ينطقون بما لهم فيه فائدة ومالا فائدة فيه كالعدم.

الثالث: أنهم بعد أن يقول الله لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ينقطع نطقهم ولم يبق إلا الزفير والشهيق. قال تعالى: **﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾**. وهذا الوجه الثالث راجع للوجه الأول. سورة النبأ

قوله تعالى: **﴿لَا بَشِيْنَ فِيْهَا أَحْقَابًا﴾** تقدم وجه الجمع بينه هو والآيات المشابهة له كقوله تعالى: **﴿خَالِدِينَ فِيْهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** مع الآيات المقتضية لدوام عذاب أهل النار بلا انقطاع كقوله: **﴿خَالِدِينَ فِيْهَا أَبَدًا﴾** في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: **﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيْهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾** الآية فقد بينا هناك أن العذاب لا ينقطع عنهم وبيننا وجه الاستثناء بالمشيئة وأما وجه الجمع بين الأحقاب المذكورة هنا مع الدوام الأبدي الذي قدمنا الآيات الدالة عليه فمن ثلاثة أوجه:

الأول: وهو الذي مال إليه ابن جرير وهو الأظهر عندي لدلالة ظاهر القرآن عليه هو أن قوله لا بشين فيها أحقابا متعلق بما بعده أي لا بشين فيها أحقابا في حال كونهم لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا فإذا انقضت تلك الأحقاب عذبوا بأنواع آخر من أنواع العذاب غير الحميم والغساق ويدل لهذا تصريحه تعالى بأنهم يعذبون

بأنواع آخر من أنواع العذاب غير الحميم والغساق في قوله: **هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ**}. وغاية ما يلزم على هذا القول تداخل الحال وهو جائز حتى عند من منع ترادف الحال كابن عصفور ومن وافقه. وإيضاحه أن جملة: لا يذوقون: حال من ضمير اسم الفاعل المستكن ونعني باسم الفاعل قوله لابشين الذي هو حال ونظيره من اتيان جملة فعل مضارع منفي بلا حالا في القرآن قوله تعالى: **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا** أي في حال كونكم لا تعلمون.

الثاني: أن هذه الأحقاب لا تنقضي أبدا رواه ابن جرير عن قتادة والربيع بن أنس وقال إنه أصح من جعل الآية في عصاة المسلمين كما ذهب إليه خالد بن معدان .
الثالث: أنا لو سلمنا دلالة قوله أحقابا على التناهي والانقضاء فإن ذلك إنما فهم من مفهوم الظرف والتأبيد مصرح به منطوقا والمنطوق مقدم على المفهوم كما تقرر في الأصول. وقوله خالد بن معدان أن هذه الآية في عصاة المسلمين يرده ظاهر القرآن لأن الله قال وكذبوا بآياتنا كذابا: وهؤلاء الكفار.
سورة النازعات

قوله تعالى: **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**}- تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله: **قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ** إلى قوله: **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**}- في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**}. الآية.

قوله تعالى: **{إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا}**.
تقدم وجه الجمع بينه وبين الآيات الدالة على عموم الإنذار كقوله: **لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** في سورة يس وغيرها.

سورة عبس
قوله تعالى: **{أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى}**. عبر الله تعالى عن هذا الصحابي الجليل الذي هو عبد الله بن أم مكتوم بلقب

يكرهه الناس مع أنه قال: **{لَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ}**.
والجواب هو ما نبه عليه بعض العلماء من أن السر
في التعبير عنه بلفظ الأعمى للإشعار بعذره في الإقدام
على قطع كالم الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لو كان
يرى ما هو مشغول به مع صناديد الكفار لما قطع كلامه.

سورة التكويد
قوله تعالى: **{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}** ظاهر هذه
الآية يتوهم منه الجاهل أن القرآن كلام جبريل مع أن الآيات
القرآنية مصرحة بكثرة بأنه كلام الله كقوله: **{فَأَجْزُهُ
حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}** وكقوله: **{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ
ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}**.

والجواب واضح من نفس الآية لأن الإيهام الحاصل من
قوله أنه لقول يدفعه ذكر الرسول لأنه يدل على أن الكالم
لغيره لكنه أرسل بتبليغه فمعنى قوله رسول أي تبليغه
عمن أرسله من غير زيادة ولا نقص.

سورة الانفطار
قوله تعالى: **{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}**.
هذه الآية الكريمة يوهم ظاهرها أن الذي يعلم يوم القيامة
ما قدم وما أخر نفس واحدة وقد جاءت آيات أخر تدل على
أن كل نفس تعلم ما قدمت وأخرت كقوله: **{هَذَا لِكِ تَبْلُو
كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ}** وقوله: **{كُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ
طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ
مَنْشُورًا}** - إلى غير ذلك من الآيات

والجواب - أن المراد بقوله نفس كل نفس والنكرة
وإن كانت لا تعم إلا في سياق النفي أو الشرط أو
الامتنان كما تقرر في الأصول، فإن التحقيق إنها ربما
أفادت العموم بقرينة السياق من غير نفي أو شرط أو
امتنان كقوله: **{عَلِمَتْ نَفْسٌ}** في التكويد والانفطار
وقوله أن مثل نفس وقوله أن تقول نفس يا حسرتي
والعلم عند الله تعالى.

سورة التطفيف
قوله تعالى: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَمَخْجُونٌ}**. يفهم منه أن المؤمنين ليسوا محجوبين عن

ربهم يوم القيامة وقد قدمنا وجه الجمع بين هذا المفهوم وبين قوله تعالى: **لَا تُذِرْكُهُ الْأَبْصَارُ**.

سورة الانشقاق

قوله تعالى: **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ** الآية، هذه الآية الكريمة تدل على أن من لم يعط كتابه بيمينه أنه يعطاه وراء ظهره وقد جاءت آية يفهم منها أنه يؤتاه بشماله وهي قوله تعالى: **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي** الآية.

والجواب ظاهر وهو أنه لا منافاة بين أخذه بشماله وإيتائه وراء ظهره لأن الكافر تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه.

سورة البروج

قوله تعالى: **وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ** تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: **لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**.

وقوله تعالى: **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ** لا يخفى ما يسبق إلى الذهن من توهم المنافاة من لفظة الجنود مع لفظة فرعون لأن فرعون ليس جندا وإنما هو رجل لعينه.

والجواب ظاهر وهو أن المراد بفرعون هو وقومه فاكتفى بذكره لأنهم تبع له وتحت طاعته.

سورة الطارق

قوله تعالى: **فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمَهْلَهُمْ رُؤُوبًا** هذا الإمهال المذكور هنا ينافيه قوله: **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** الآية.

والجواب أن الإمهال منسوخ بآيات السيف والعلم عند الله تعالى.

دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب
لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - المدرس بالجامعة

سورة الأعلى

قوله تعالى: **{سَتَقَرُّكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}** الآية، هذه الآية الكريمة تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم ينسى من القرآن ما شاء الله أن ينساه - وقد جاءت آيات كثيرة تدل على حفظ القرآن من الضياع كقوله تعالى: **{لَا تُخْزِيكَ بِهَ لِسَانُكَ لَتَعْمَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}** وقوله: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}**.

والجواب أن القرآن وإن كان محفوظا من الضياع فإن بعضه ينسخ بعضا وإنساء الله نبيه بعض القرآن في حكم النسخ فإذا أنساه آية فكأنه نسخها ولا بد أن يأتي بخير منها أو مثلها. كما صرح به تعالى في قوله: **{مَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}**. وقوله

تعالى: **{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُبَدِّلُ}**. وأشار هنا لعلمه بحكمة النسخ بقوله: **{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}** وقوله تعالى: **{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}**. هذه الآية الكريمة يفهم منها أن التذكير لا يطلب إلا عند مظنة نفعه بدليل أن الشرطية. وقد جاء آيات كثيرة تدل على الأمر بالتذكير مطلقا كقوله: **{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}** وقوله: **{وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ}**. وأجيب عن هذا بأجوبة كثيرة منها أن في الكلام حذف أي إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع كقوله: **{سَرَابِيلٌ تَقَبَّكُمُ الْحَرُّ}** أي والبرد وهو قول الفراء والنحاس والجرجاني وغيرهم. ومنها أنها بمعنى (إذ) وإتيان (إن) بمعنى (إذ) مذهب الكوفيين خلافا للبصريين. وجعل منه الكوفيون قوله تعالى: **{اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** وقوله تعالى: **{وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** وقوله تعالى: **{وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** وقوله تعالى: **{لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ}** وقوله صلى الله عليه وسلم: "وإنا إن شاء الله بكم لاحقون" وقول الفرزدق:

أغضب إن أذنا قتيبة جزتا
وأجاب البصريون عن آيات إن كنتم مؤمنين بأن فيها معنى الشرط جيء به للتخييل وعن آية إن شاء الله والحديث بأنهما تعليم للعباد كيف يتكلمون إذا أخبروا عن المستقبل وعن البيت بجوابين:

أحدهما: أنه من إقامة السبب مقام المسبب والأصل: أغضب إن افتخر مفتخر بحر أذني قتيبة إذ الافتخار بذلك يكون سببا للغضب ومسببا عن الحز. الثاني: أغضب أن تبين في المستقبل أن أذني قتيبة جزتا. ومنها أن معنى **{إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}** الإرشاد إلى التذكير بالأهم أي ذكر بالمهم الذي فيه النفع دون ما لا نفع فيه. فيكون المعنى ذكر الكفار مثلا بالأصول التي هي التوحيد، لا بالفروع لأنها لا تنفع دون الأصول وذكر المؤمن التارك لفرض مثلا بذلك الفرض المتروك لا بالعقائد ونحو ذلك لأنه أنفع.

ومنها أن **{إِنْ}** بمعنى (قد) وهو قول قطرب.
ومنها أنها صيغة شرط أريد بها ذم الكفار واستبعاد تذكرهم كما قال الشاعر:
ولكن لا حياة لمن تنادي

لقد أسمعت لو نادت حيا

ومنها غير ذلك.
والذي يظهر لمقيد هذه الحروف عفا الله عنه بقاء الآية الكريمة على ظاهرها وأنه صلى الله عليه وسلم بعد أن يكرر الذكرى تكرر يقوم به حجة الله على خلقه مأمور بالتذكير عند ظن الفائدة أما إذا علم عدم الفائدة فلا يؤمر بشيء هو عالم أنه لا فائدة فيه لأن العاقل لا يسعى إلى ما لا فائدة فيه وقد قال الشاعر:

لما نافع يسعى اللبيب فلا تكن
لشيء بعيد نفعه الدهر ساعيا
وهذا ظاهر ولكن الخفاء في تحقيق المناط. وإيضاحه أن يقال: بأي وجه يتيقن عدم إفادة الذكرى حتى يباح تركها. وبيان ذلك أنه تارة يعلمه بإعلام الله له به كما وقع في أبي لهب حيث قال تعالى فيه: **{سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ}** الآية. فأبو لهب هذا وامرأته لا تنفع فيهما الذكرى لأن القرآن نزل بأنهما من أهل النار بعد تكرار التذكير لهما تكرر تقوم عليهما به الحجة فلا يلزم النبي صلى الله عليه وسلم بعد علمه بذلك أن يذكرهما بشيء لقوله تعالى في هذه الآية: **{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}**. وتارة يعلم ذلك بقرينة الحال بحيث يبلغ على أكمل وجه ويأتي بالمعجزات الواضحة فيعلم أن بعض الأشخاص عالم بصحة ثبوته وأنه مُصِرٌّ على الكفر عنادا ولجاجة فمثل هذا لا يجب تكرير الذكرى له دائما بعد أن تكرر عليه تكريرا تلزمه به الحجة. وحاصل إيضاح هذا الجواب أن الذكرى تشتمل على ثلاث حكم:

الأولى: خروج فاعلها من عهدة الأمر بها.
الثانية: رجاء النفع لمن يوعظ بها وبين الله تعالى هاتين الحكمتين بقوله تعالى: **{قَالُوا مَعْذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** وبين الأولى منها بقوله تعالى: **{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ}**. وقوله تعالى: **{إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ}** ونحوها من الآيات. وبين الثانية بقوله: **{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}**.

الثالثة: إقامة الحجة على الخلق وبينها الله تعالى بقوله: **{رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}**. وبقوله: **{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بَعْدَ أَنْ رَبَّيْنَا لَهُمْ رِجَالًا لَقَالُوا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا}** الآية. فالنبي صلى الله عليه وسلم إذا كرر الذكرى حصلت الأولى والثالثة فإن كان في الثانية طمع استمر على التذكير وإلا لم يكلف بالدوام والعلم عند الله تعالى.

وإنما اخترنا بقاء الآية على ظاهرها مع أن أكثر المفسرين على صرفها عن ظاهرها المتبادر منها وأن معناها: فذكر مطلقا إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع لأننا نرى أنه لا يجوز صرف كتاب الله عن ظواهره المتبادر منه إلا لدليل يجب الرجوع له. وإلى بقاء هذه الآية على ظاهرها جنح ابن كثير حيث قال في تفسيرها أي ذكر حيث تنفع التذكيرة ومن هنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه في غير أهله كما قال على رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. وقال حدث الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله.

(تنبيه) هذا الإشكال الذي في هذه الآية إنما هو على قول من يقول باعتبار دليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة وأما على قول من لا يعتبر مفهوم المخالفة شرطا كان أو غيره كأبي حنيفة فلا إشكال في الآية وكذلك لا إشكال فيها على قول من لا يعتبر مفهوم الشرط كالباقلائي فتكون الآية نصت على الأمر بالتذكير عند مظنة النفع وسكت عن حكمه عند عدم مظنة النفع فيطلب من دليل آخر فلا تعارض الآية الآيات الدالة على التذكير مطلقا.

سورة الغاشية

قوله تعالى: **{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ}** تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: **{وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ}**.

قوله تعالى: **{فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ}** الآية. ظاهر هذه الآية أن الجنة فيها عين واحدة وقد جاءت آيات آخر تدل على خلاف ذلك كقوله: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}**. والجواب هو ما تقدم في الجمع بين قوله: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}** مع قوله فيها: **{فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ}** الآية. فالمراد بالعين العيون كما تقدم نظيره في سورة البقرة وغيرها.

سورة الفجر

قوله تعالى: **{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}** يوهم أنه ملك واحد وقوله: **{صَفًّا صَفًّا}** يقتضي أنه غير ملك واحد بل صفوف من جماعات الملائكة. والجواب: أن قوله تعالى: **{وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}**. وتقدم بيانه بشواهد العربية في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ}** الآية.

سورة البلد

قوله تعالى: **{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}**. هذه الآية الكريمة يتبادر من ظاهرها أنه تعالى أخبر بأنه لا يقسم بهذا البلد الذي هو مكة المكرمة مع أنه تعالى أقسم به في قوله: **{وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}**.

والجواب عن هذا من أوجه:

الأول: وعليه الجمهور: أن **{لَا}** هنا صلة على عادة العرب فإنها ربما لفظت بلفظة (لا) من غير قصد معناها الأصل بل لمجرد تقوية الكلام وتوكيده لقوله: **{مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلَا تَتَّبِعُنَّ}** يعني أن تتبعني وقوله: **{مَا مَنَعَكَ أَلَا تَتَّخِذَ}** أي أن تسجد على أحد القولين. وبديل له قوله في سورة ص **{مَا مَنَعَكَ أَنْ تَتَّخِذَ لِمَا خَلَقْتَ}** الآية. وقوله: **{لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ}** أي ليعلم أهل الكتاب، وقوله: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ}** أي فوريك، وقوله: **{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ}** أي والسيئة، وقوله: **{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ}** على أحد القولين، وقوله: **{وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ}** على أحد القولين، وقوله: **{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا}** على أحد الأقوال الماضية وكقول أبي النجم:

لما رأين الشمط القفندرا

فما ألوم البيض ألا تسخرا

يعني أن تسخر وكقول الشاعر:

وللهو داع دائب غير غافل

وتلحيني في اللهو أن لا أحبه

يعني أن أحبه و (لا) زائدة. وقول الآخر:

نعم من فتى لا يمنع الجود قائله

أبى جوده لا البخل واستعجلت به

يعني أبى جوده البخل و (لا) زائدة على خلاف في زيادتها في هذا البيت الأخير ولاسيما على رواية البخل بالجر لأن (لا) عليها مضاف بمعنى لفظة لا فليست زائدة على رواية الجر وقول امرئ القيس:

لا يدعي القوم أنني أفر

فلا وأبيك ابنة العامري

يعني وأبيك. وأنشد الفراء لزيادة (لا) في الكلام الذي فيه معنى الجحد.

قول الشاعر:

وإلا طيبان أبو بكر ولا عمر

ما كان يرضى رسول الله دينهم

يعني وعمر و (لا) صلة وأنشد الجوهري لزيادتها قول العجاج:

بافكه حتى رأى الصبح جسر

في بئر لاجور سرى وما شعر

فالجور الهلكة يعني في بئر هلكة و (لا) صلة قاله أبو عبيدة وغيره.

وأنشد الأصمعي لزيادتها قول ساعدة الهذلي:

غاب تسنمه ضرام مثقب

أفعنك لا برق كان وميضه

وبروي أفعنك، وتشيمه بدل أفعنك وتسمنه.

يعني أعنك برق و (لا) صلة. ومن شواهد زيادتها قول الشاعر:

وكاد صميم القلب لا يتقطع

تذكرت ليلي فاعترتني صباية

يعني كاد يتقطع. وأما استدلال أبي عبيدة لزيادتها بقول الشماخ:

يضيعون الهجان مع المضيع

أعائش ما لقومك لا أراهم

فعلط منه لأن (لا) في بيت الشماخ هذا نافية لا زائدة ومقصودة أنها تنهاه عن حفظ ماله مع أن أهلها يحفظون ما لهم أي لا أرى قومك يضيعون ماله وأنت تعاتبيني في حفظ مالي وما ذكره الفراء من أن لفظة (لا) لا تكون صلة إلا في الكلام الذي فيه معنى الجحد فهو أغلبه لا يصح

على الإطلاق بدليل بعض الأمثلة المتقدمة التي لا تجد فيها كهذه الآية على القول بأن (لا) فيها صلة وكبيت ساعدة الهذلي وما ذكره الزمخشري من زيادة (لا) في أول الكلام دون غيره فلا دليل عليه.

الوجه الثاني: أن **{لا}** نفي لكلام المشركين المكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله: {أقسام} إثبات مستأنف وهذا القول وإن قال به كثير من العلماء فليس بوجوه عندي لقوله تعالى في سورة القيامة **{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}** لأن قوله تعالى **{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}** يدل على أنه لم يرد الإثبات المؤتلف بعد النفي بقوله أقسم والله تعالى أعلم.

الوجه الثالث: أنها حرف نفي أيضا ووجه أن إنشاء القسم يتضمن الإخبار عن تعظيم المقسم به فهو نفي لذلك الخبر الضمني على سبيل الكناية والمراد أنه لا يعظم بالقسم بل هو في نفسه عظيم أقسم به أولا وهذا القول ذكره صاحب الكشاف وصاحب روح المعاني ولا يخلو عندي من بعد.

الوجه الرابع: أن اللام لام الابتداء أشبعت فتحتها والعرب ربما أشبعت الفتحة بألف والكسرة بياء والضمة بواو فمثاله في الفتحة قول عبد يغوث ابن وقاص الجارثي: وتضحك مني شبيخة عبشمية كأن لم تر قبلي أسيرا يمانيا فالأصل كأن لم تر ولكن الفتحة أشبعت - وقول الراجز: وإذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضاها ولا تملقي فالأصل ترضاها لأن الفعل مجزوم بلا الناهية - وقول عنتره في معلقته: ينباع من ذفري غضوب جسرة زيافة مثل الفنيق المكدم فالأصل ينبع يعني أن العرق ينبع من عظم الذفري من ناقته فأشبع الفتحة فصار ينباع على الصحيح وقول الراجز:

قلت وقد خرت على الكلكال يا ناقتي ما جلت من مجالي
فقوله الكلكال يعني الكلكل، وليس إشباع الفتحة في هذه الشواهد من ضرورة الشعر لتصريح علماء العربية بأن إشباع الحركة بحرف يناسبها أسلوب من أساليب اللغة العربية ولأنه مسموع في النثر كقولهم كلكال وخاتام وداناق يعنون كلكلا وخاتما ودانقا. ومثله في إشباع الضمة بالواو، وقولهم: برقوع ومعلوق يعنون برقعا ومعلقا. ومثال إشباع الكسرة بالياء قول قيس بن زهير:

ألم يأتك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد
فالأصل يأتك لمكان الجازم - وأنشد له الفراء:
لا عهد لي بنيضال أصبحت كالشن البال
ومنه قول امرئ القيس:
كأنني بفتحاء الجناحين لقوة على عجل مني أطأطئ شيمالي
وبروى: صيود من العقبان طأطأ شيمالي. وبروى دقوف من العقبان الخ. وبروى شمالل بدل شيمال وعليه فلا شاهد في البيت إلا أن رواية الياء مشورة. ومثال إشباع الضمة بالواو قول الشاعر:

هجوت زيان ثم جئت معتذرا من هجو زيان لم تهجو ولم تدع
وقول الآخر: يوم الفراق إلى إخواننا صور
الله أعلم أنا في تلفتنا من حيثما يثني الهوى بصري
وإنني فأنظر، وقول الراجز: من حيثما ما سلكوا أدنوا فأنظور
يعني فأنظر، وقول الراجز: فانهض فشد المئزر المعقودا
لو أن عمرا عم أن يرقودا يعني يرقد، ويدل لهذا الوجه قراءة قبيل: (لأقسم بهذا البلد) بلام الابتداء وهو مروي عن البري والحسن والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **{أَوْ مَسْكِينًا دَا مَتْرَبَةً}** يدل ظاهره على أن المسكين لاصق بالتراب ليس عنده شيء فهو أشد فقرا من مطلق الفقير كما ذهب إليه مالك وكثير من العلماء وقوله تعالى: **{أَمَّا السَّعِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ}** الآية. يدل على خلاف ذلك لأنه سماهم مساكين مع أن لهم سفينة عاملة للإيجار.

والجواب عن هذا محتاج إليه على كلا القولين - أما على قول من قال إن المسكين من عنده مالا يكفيه كالشافعي فالذي يظهر لي أن الجواب أنه يقول: المسكين عند الإطلاق ينصرف إلى من عنده شيء لا يكفيه فإذا قيد بما يقتضي أنه لا شيء عنده فذلك يعلم من القيد الزائد لا من مطلق لفظ المسكين وعليه فالله في هذه الآية قيد المسكين بكونه ذا مترية فلو لم يقيد لا ينصرف إلى من عنده ما لا يكفيه فمدلول اللفظ حالة الإطلاق لا يعارض بمدلوله حالة التقيد وأما على قول من قال بأن المسكين أحوج من مطلق الفقير وأنه لا شيء عنده فيجاب عن آية الكهف بأجوبة منها: أن المراد بقوله مسكين أنهم قوم ضعاف لا يقدر على مدافعة الظلمة ويزعمون أنهم عشرة خمسة منهم زمني، ومنها أن السفينة لم تكن ملكا لهم بل كانوا أجراء فيها أو أنها عارية واللام للاختصاص، ومنها أن اسم المساكين أطلق عليهم ترحما لضعفهم. والذي يظهر لمقيد عفا الله عنه أن هذه الأجوبة لا دليل على شيء منها فليس فيها حجة يجب الرجوع إليها. وما احتج به بعضهم من قراءة علي رضي الله عنه لمساكين بتشديد السين جمع تصحيح لمساك بمعنى الملاح أو داغ المسوك التي هي الجلود فلا يخفى سقوطه لضعف هذه القراءة وشذوذها. والذي يتبادر إلى ذهن المصنف أن مجموع الآيتين دل على أن لفظ المسكين مشكك تتفاوت

أفراده فيصدق بمن عنده مالا يكفيه بدليل آية الكهف، ومن هو لاصق بالتراب لا شيء عنده بدليل آية البلد كاشتراك الشمس والسراج في النور مع تفاوتهما، واشتراك الثلج والعاج في البياض مع تفاوتهما. والمشكك إذا أطلق ولم يقيد بوصف الأشدية انصرف إلى مطلقه هذا ما طهر والعلم عند الله تعالى. والفقير أيضا قد تطلقه العرب على من عنده بعض المال كقول مالك ومن شواهد قول راعي نمير:

أما الفقير الذي كانت حلوته
فسماه فقيرا مع أن عنده حلوبة قدر عياله.

سورة الشمس

قوله تعالى: {قَالَهُمْهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا} يدل على أن الله هو الذي يجعل الفجور والتقوى في القلب وقد جاءت آيات كثيرة تدل على أن فجور العبد وتقواه باختياره ومشيبته كقوله تعالى: {فَاسْتَحْثُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} وقوله تعالى: {أَسْتَرُوا الصَّلَاةَ بِالْهُدَى} ونحو ذلك. وهذه المسألة هي التي ضل فيها القدرية والجبرية. وأما القدرية: فصلوا بالتفريط حيث زعموا أن العبد يخلق عمل نفسه استقلالا عن غير تأثير لقدرة الله فيه. وأما الجبرية فصلوا بالإفراط حيث زعموا أن العبد لا عمل له أصلا حتى يؤاخذ به. وأما أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا ولم يفرطوا فأتبنوا للعبد أفعالا اختيارية ومن الضروري عند جميع العقلاء أن الحركة الارتعاشية ليست كالحركة الاختيارية وأثبتوا أن الله خالق كل شيء فهو خالق العبد وخالق قدرته وإرادته وتأثير قدرة العبد لا يكون إلا بمشيئة الله تعالى. فالعبد وجميع أفعاله بمشيئة الله تعالى مع أن العبد يفعل اختيارا بالقدرة والإرادة اللتين خلقهما الله فيه فعلا اختياريا يثاب عليه ويعاقب. ولو فرضنا أن جبريا ناظر سنيا فقال الجبري: حتمي لربي أن أقول إنني لست مستقلا بعمل وإنني لا بد أن تنفذ في مشيئته وإرادته على وفق العلم الأزلي فأنا مجبور فكيف يعاقبني على أمر لا قدرة لي أن أحيد عنه؟ فإن السني يقول له كل الأسباب التي أعطاها للمهتدين أعطاه لك جعل لك سمعا تسمع به وبصرا تبصر به وعقلا تعقل به وأرسل لك رسولا وجعل لك اختيارا وقدرة ولم يبق بعد ذلك إلا التوفيق وهو ملكه المحض إن أعطاه ففضل وإن منعه فعدل كما أشار له تعالى بقوله: {قُلْ قَلِيلٌ مِّنْ فَضْلِي يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ لَّيْسَ لَهُ بَدَلٌ مِّمَّنْ يُؤْتِيهِ} بمعنى أن ملكه للتوفيق حجة بالغة على الخلق فمن أعطاه ففضل ومن منعه فعدل. ولما تناظر أبو إسحاق الإسفرائيني مع عبد الجبار المعتزلي؛ قال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء وقصده أن المعاصي كالسرقة والزنى بمشيئة العبد دون مشيئة الله لأن الله أعلى وأجل من أن يشاء القبائح في زعمهم، فقال أبو إسحاق: كلمة حق أريد بها باطل ثم قال: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. فقال عبد الجبار: أنراه يخلقه ويعاقبني عليه؟ فقال أبو إسحاق: أترأى تفعله جبرا عليه؟ أنت الرب وهو العبد؟ فقال عبد الجبار: أرايت إن دعاني إلى الهدى وقضى على بالردى أنراه أحسن إلي أم أساء؟ فقال أبو إسحاق: إن كان الذي منعك منه ملكا لك فقد أساء وإن كان له فإن أعطاك ففضل وإن منعك فعدل فبهت عبد الجبار وقال الحاضرون والله ما لهذا جواب. وجاء أعرابي إلى عمرو ابن عبيد وقال له ادع الله لي أن يرد على حمارة لي سرقت مني فقال اللهم إن حمارته سرقت ولم ترد سرقتها فاردها عليه فقال له الأعرابي: يا هذا كف عني من دعائك الخبيث إن كانت سرقت ولم يرد سرقتها فقد يرد ردها ولا ترد. وقد رفع الله إشكال هذه المسألة بقوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} فأثبت للعبد مشيئة وصرح بأنه لا مشيئة للعبد إلا بمشيئة الله جل وعلا. فكل شيء صادر من قدرته ومشيبته جلا وعلا. وقوله: {قُلْ قَلِيلٌ مِّنْ فَضْلِي يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ لَّيْسَ لَهُ بَدَلٌ مِّمَّنْ يُؤْتِيهِ} وأما على قول من فسر الآية الكريمة بأن معنى فالهمها فجورها وتقواها أنه بين لها طريق الخير وطريق الشر، فلا إشكال في الآية وبهذا المعنى فسرهما جماعة من العلماء. والعلم عند الله تعالى.

سورة الليل

قوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى}. يدل على أن الله التزم على نفسه الهدى للخلق مع أنه جاءت آيات كثيرة تدل على عدم هدايته لبعض الناس كقوله: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}. وقوله: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} وقوله: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا} الآية. إلى غير ذلك من الآيات.

والجواب هو ما تقدم من أن الهدى يستعمل في القرآن خاصا وعاما فالمثبت العام والمنفي الخاص ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم وأما على قول من قال أن معنى الآية إن الطريق الذي يدل علينا وعلى طاعتنا هو الهدى لا الضلال، وقول من قال أن معنى الآية إن من سلك طريق الهدى وصل إلى الله فلا إشكال في الآية أصلا.

سورة الضحى

قوله تعالى: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}. هذه الآية الكريمة يوهم ظاهرها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ضالا قبل الوحي مع أن قوله تعالى {فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} يدل على أنه صلى الله عليه وسلم فطر على هذا الدين الحنيف ومعلوم أنه لم يهوده أبواه ولم ينصره ولم يمجسه بل لم يزل باقيا على الفطرة حتى بعثه الله رسولا ويدل لذلك ما ثبت من أن أول نزول الوحي كان وهو يتعبد في غار حراء فذلك

التعبد قبل نزول الوحي دليل على البقاء على الفطرة.
والجواب أن معنى قوله: **{صَلَاً فَهْدَى}** أي غافلاً عما تعلمه الآن من الشرائع وأسرار علوم الدين التي لا تعلم بالفطرة ولا بالعقل وإنما تعلم بالوحي فهذا إلى ذلك بما أوجى إليك فمعنى الضلال على هذا القول الذهاب من العلم ومنع بهذا المعنى قوله تعالى: **{أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى}** وقوله: **{لَا يَضِلَّ رَبِّي وَلَا يَنسَى}**. وقوله: **{قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ}**.

وقول الشاعر:
وتظن سلمى أنني أبغي بها
بدلاً أراها في الضلال تهيم
وبدل لهذا قوله تعالى: **{مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}** لأن المراد بالإيمان شرائع دين الإسلام وقوله: **{وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ}**. وقوله: **{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ}**. وقوله: **{وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ}**. وقيل المراد بقوله ضالاً. ذهابه وهو صغير في شباب مكة وقيل ذهابه في سفره إلى الشام والقول الأول هو الصحيح والله تعالى أعلم ونسبة العلم إلى الله أسلم.

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المدرس بالجامعة

سورة التين

قوله تعالى: **{ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ }** تقدم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: **{ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ }**.

قوله تعالى: **{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }** هذه الآية الكريمة توهم أن الإنسان ينكر أن ربه خلقه، لما تقرر في المعاني من أن خالي الذهن من التردد والإنكار لا يؤكد له الكلام، ويسمى ذلك ابتدائياً، والمتردد يحسن التوكيد له بمؤكد واحد ويسمى طلبياً، والمنكر يجب التوكيد له بحسب إنكاره ويسمى إنكارياً، والله تعالى في هذه الآية أكد إخباره بأنه خلق الإنسان في أحسن تقويم بأربعة أقسام وباللام وبقد، فهي ستة تأكيدات، وهذا التوكيد يوهم أن الإنسان منكر لأن ربه خلقه، وقد جاءت آية أخرى صريحة في أن الكفار يقرّون بأن الله هو خالقهم وهي قوله: **{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ }**.

والجواب من وجهين:

الأول: هو ما حرره علماء البلاغة من أن المقر إذا ظهرت عليه أماراة الإنكار جعل كالمنكر، فأكد له الخبر كقول جل بن نضلة:

جاء شقيق عارضا إن بني عمك فيهم
رمحه رماح

فشقيق لا ينكر أنَّ في بني عمه رماحا، ولكن
مجيئه عارضا رُمحه أي جاعلا عرضه جهتهم من غير
التفات أَمارة أنه يعتقد أن لا رُمح فيهم فأكد له الخبر.
فإذا حققت ذلك فاعلم أن الكفار لما أنكروا
البعث ظهرت عليهم أَمارة إنكار الإيجاد الأول؛ لأن
من أقر بالأول لزمه الإقرار بالثاني؛ لأن الإعادة أيسر
من البدء فأكد لهم الإيجاد الأول، ويوضح هذا أن الله
بيّن أنه المقصود بقوله: **{ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ**

بِالدِّينِ } أي ما يملك أيها الإنسان على التكذيب
بالبعث والجزاء بعد علمك أن الله أوجدك أوّلا، فمن
أوجدك أوّلا قادر على أن يوجدك ثانيا كما قال تعالى:
{ قُلْ يُخَبِّرُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ } الآية،
وقال: **{ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ }** الآية،
وقال: **{ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ }**،
وقال: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ
الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ }** والآيات بمثل
هذه كثيرة، ولذا ذكر تعالى أن من أنكر البعث فقد
نسي إيجاده الأول بقوله: **{ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُخْبِي الْعِظَامَ وَهِيَ
رَمِيمٌ }**، وبقوله: **{ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثُّ
لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ
مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا }**.

وقال البعض: معنى **{ فَمَا يُكَذِّبُكَ }**: فمن يقدر
على تكذيبك يا نبي الله بالثواب والعقاب بعد ما تبين
له أنا خلقنا الإنسان على ما وصفنا، وهو في دلالة
على ما ذكرنا كالأوّل، فظهرت النكتة في جعل
الابتدائي كالإنكاري.

الوجه الثاني: أن القسم شامل لقوله: **{ ثُمَّ
رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ }** أي إلى النار، وهم لا
يصدّقون بالنار بدليل قوله تعالى **{ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي
كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ }** وهذا الوجه في معنى قوله:
{ أَسْفَلَ سَافِلِينَ } أصح من القول بأن معناه
الهرم والرد إلى أرذل العمر لكون قوله: **{ إِلَّا الَّذِينَ }**

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ
{ أظهر في الأول من الثاني، وإذا كان القسم شاملاً
للإنكاري فلا إشكال؛ لأن التوكيد منصب على ذلك
الإنكاري، والعلم عند الله تعالى.

سورة العلق

قوله تعالى: **{ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ }** الآية،
أسند الكذب في هذه الآية الكريمة إلى ناصية هذا
الكافر وهي مقدّم شعر رأسه مع أنه أسنده في آيات
كثيرة إلى غير الناصية كقوله: **{ إِنَّمَا يَفْتَرِي**
الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَاذِبُونَ } والجواب ظاهر: وهو أنه هنا أطلق
الناصية وأراد صاحبها على عادة العرب في إطلاق
البعض وإرادة الكل، وهو كثير في كلام العرب وفي
القرآن، فمن أمثله في القرآن هذه الآية الكريمة،
وقوله تعالى: **{ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ }**، وقوله:
{ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكَمْ } يعني بما قدمتم، ومن
ذلك تسمية العرب الرقيب عينا.

وقوله: **{ خَاطِئَةٍ }** لا يعارضه قوله تعالى: **{ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ }**؛
لأنّ الخاطئ هو فاعل الخطيئة أو الخطاء بكسر الخاء، وكلاهما الذنب كما بيّنه قوله تعالى: **{ مِمَّا**
خَطِئْتُمْ بِهِمُاعْرِفُوا قَادِحِلُوا نَارًا }، وقوله: **{ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا }** فالخاطئ
المذنب عمداً، والمخطئ من صدر منه الفعل من غير قصد فهو معذور.

سورة القدر

قوله تعالى: **{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ }** لا
تعارض بينه وبين قوله تعالى: **{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ**
مُبَارَكَةٍ }؛ لأنّ الليلة المباركة هي ليلة القدر وهي
من رمضان ينصّ قوله تعالى: **{ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي**
أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } فما يزعمه كثير من العلماء من
أنّ الليلة المباركة ليلة النصف من شعبان تردّه هذه
النصوص القرآنية والعلم عند الله تعالى.

سورة الزلزلة

قوله تعالى: **{ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا**
يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } هذه الآية
الكريمة تقتضي أن كل إنسان كافراً أو مسلماً يجازى
بالقليل من الخير والشر، وقد جاءت آيات أخر تدل
على خلاف هذا العموم، أمّا ما فعله الكافر من الخير
فلايات تصرّح بإحباطه كقوله: **{ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ**

لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَخِيطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ، وقوله تعالى: **{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا}** وكقوله: **{أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ}** الآية، إلى غير ذلك من الآيات، وأما ما عمله المسلم من الشر فقد صرحت الآيات بعدم لزوم مؤاخذته به لاحتمال المغفرة أو لوعده الله بها كقوله: **{وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** ، وقوله: **{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}** إلى غير ذلك من الآيات، والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:

الأول: أن الآية من العام المخصوص، والمعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره إن لم يحبطه الكفر بدليل آيات إحباط الكفر عمل الكفار، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره إن لم يغفره الله له بدليل آيات احتمال الغفران والوعد به.

الثاني: أن الآية على عمومها وأن الكافر يرى جزاء كل عمله الحسن في الدنيا كما يدل عليه قوله تعالى: **{تُؤَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا}** الآية، وقوله: **{وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا}** الآية، وقوله تعالى: **{وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ}** ، والمؤمن يرى جزاء كل عمله السيئ في الدنيا بالمصائب والأمراض والآلام، ويدل لهذا ما أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وابن أبي حاتم وجماعة عن أنس قال: "بينما أبو بكر رضي الله عنه يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه **{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}** الآية فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله إني لراء ما عملت من مثقال ذرة من شر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر أرايت ما ترى في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر" الحديث.

الوجه الثالث: أن الآية أيضاً على عمومها وأن معناها أن المؤمن يرى كل ما قدم من خير وشر

فيغفر الله له الشر ويشبهه بالخير، والكافر يرى كل ما قدم من خير وشر فيحبط ما قدم من خير ويجازيه بما فعل من الشر.

سورة العاديات

قوله تعالى: **{ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ }** الآية، هذه الآية تدل على أنَّ الإنسان شاهد على كنود نفسه أي مبالغته في الكفر، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى: **{ وَهُمْ يَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا }** وقوله: **{ وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ }**، وقوله: **{ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَخْتَسِبُونَ }**، والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه:

الأول: أنَّ شهادة الإنسان بأنه كنود هي شهادة حالة بظهور كنوده، والحال ربما تكفي عن المقال.
الثاني: أنَّ شهادته على نفسه بذلك يوم القيامة كما يدل له قوله: **{ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ }**، وقوله: **{ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُخِّقَ الْأُصْحَابُ السَّعِيرِ }**، وقوله: **{ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ }**.
الوجه الثالث: أنَّ الضمير في قوله **{ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ }** راجع إلى رب الإنسان المذكور في قوله: **{ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ }** وعليه فلا إشكال في الآية، ولكن رجوعه إلى الإنسان أظهر بدليل قوله: **{ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ }** والعلم عند الله تعالى.

سورة الفارعة

قوله تعالى: **{ وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ }** هذه الآية الكريمة تدل على أنَّ الهاوية وصف لا علم للنار إذ تنوینها ینافی كونها اسما من أسماء النار يلزم فيها المنع من الصرف للعلمية والتأنيث، وقوله تعالى: **{ وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَةٌ نَّارُ حَامِيَةٍ }** يدل على أنَّ الهاوية من أسماء النار. اعلم أولا أنَّ في معنى قوله تعالى: **{ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ }** ثلاثة أوجه للعلماء، اثنان منها لا إشكال في

الآية عليهما، والثالث هو الذي فيه الإشكال المذكور،
أمَّا اللذان لا إشكال في الآية عليهما **فالأول منهما**
أن المعنى **{ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ }** أي أمُّ رأسه هاءوية في
قعر جهنم؛ لأنه يطرح فيها منكوساً رأسه أسفل
ورجله أعلا، وروي هذا القول عن قتادة وأبي صالح
وعكرمة والكلبي وغيرهم، وعلى هذا القول فالضمير
في قوله: **{ وَمَا أَذْرَاكَ مَا هَيْئَةٌ }** عائد إلى محذوف
دلَّ عليه المقام أي أم رأسه هاءوية في نار وما أذراك
ما هية نار حامية.

والثاني: أنه من قول العرب إذا دَعَوَا علي
الرجل بالهلكة قالوا: "هوت أمه" لأنه إذا هوى أي
سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلاً وحزناً، ومن هذا
المعنى قول كعب بن سعد الغنوي:
هوت أمه ما يبعث
يؤوب وماذا يرد
الصبح غاديا
الليل حين

وهذا القول رواية أخرى عن قتادة، وعلى هذا
القول فالضمير في قوله: **{ هَيْئَةٌ }** للداهية التي دلَّ
عليها الكلام، وذكر الألوسي في تفسيره أن صاحب
الكشف قال: إنَّ هذا القول أحسن، وأن الطيبي قال:
إنه أظهر، وقال هو: وللبحث فيه مجال.

الثالث الذي فيه إشكال: أنَّ المعنى **{ فَأُمُّهُ**
هَآوِيَةٌ } أي مأواه الذي يحيط به ويضمُّه هاءوية وهي
النار؛ لأنَّ الأمَّ تؤوي ولدها وتضمُّه، والنار تضمُّ هذا
العاصي وتكون مأواه.

والجواب على هذا القول هو ما أشار له الألوسي
في تفسيره من أنه نكَّر الهاوية في محلَّ التعريف
لأجل الإشعار بخروجها عن المعهود للتفخيم والتهويل،
ثم بعد إبهامها لهذه النكتة قرَّرها بوصفها الهائل بقوله
{ وَمَا أَذْرَاكَ مَا هَيْئَةٌ نَارٌ حَامِيَةٌ }.

قال مقيده عفا الله عنه: هذا الجواب الذي ذكره
الألوسي يدخل في حد نوع من أنواع البديع المعنوي
يسمَّيه علماء البلاغة التجريد، فحد التجريد عندهم هو
أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها مبالغة في

كمالها فيه، وأقسامه معروفة عند البيانين؛ فمنه ما يكون التجريد فيه بحرف نحو قولهم: "لي من فلان صديق حميم" أي بلغ من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها مبالغة في كمالها فيه، وقولهم: "لئن سألته لتسألن به البحر" بالغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا في السماحة، ومن التجريد بواسطة الحرف قوله تعالى: **{لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ}** وهو أشبه شيء بالآية التي نحن بصددِها؛ لأن النار هي دار الخلد بعينها لكنه انتزع منها دارا أخرى وجعلها معدة في جهنم للكفار تهويلا لأمرها ومبالغة في اتصافها بالشدة، ومن التجريد ما يكون من غير توسط الحرف نحو قول قتادة بن سلمة الحنفي:

ولئن بقيت لأرحلن تحوي الغنائم أو
بغزوة يموت كريم

يعني نفسه انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه، فإذا عرفت هذا فالنار سميت الهاوية لغاية عمقها وبعد مهواها، فقد روي أن داخلها يهوي فيها سبعين خريفا، وخصها البعض بالباب الأسفل من النار فانتزع منها هاوية أخرى مثلها في شدة العمق وبعد المهوى مبالغة في عمقها وبعد مهواها، والعلم عند الله تعالى.

سورة العنكبوت

قوله تعالى: **{وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}** هذه الآية الكريمة يدل ظاهرها على أن هذا المخبر عنه أنه في خسر إنسان واحد بدليل أفراد لفظة الإنسان، واستثناؤه من ذلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات يقتضي أنه ليس إنسانا واحدا. والجواب عن هذا هو أن لفظ الإنسان وإن كان واحدا فالألف واللام للاستغراق يصير المفرد بسببهما ما صيغة عموم، وعليه فمعنى أن الإنسان أي أن كل إنسان لدلالة (أل) الاستغراقية على ذلك، والعلم عند الله تعالى.

سورة الماعون

قوله تعالى: **{قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}** الآية، هذه الآية يتوهم منها الجاهل أن الله توعّد المصلين بالويل، وقد جاء في آية أخرى أن عدم الصلاة من أسباب دخول سقر وهي قوله تعالى: **{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ}**، والجواب عن هذا في غاية الظهور، وهو أن التوعّد بالويل منصب على قوله: **{الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}** الآية، وهم المنافقون على التحقيق، وإنما ذكرنا هذا الجواب مع ضعف الإشكال وظهور الجواب عنه؛ لأن الزنادقة الذين لا يصلون يحتجون لترك الصلاة بهذه الآية، وقد سمعنا من ثقات وغيرهم أن رجلاً قال لظالم تارك الصلاة مالك لا تصلي؟ فقال: لأن الله توعّد على الصلاة بالويل في قوله **{قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}** فقال له: اقرأ ما بعدها، فقال: لا حاجة لي فيما بعدها فيها كفاية في التحذير من الصلاة، ومن هذا القبيل قول الشاعر:

دع المساجد للعباد	وسر إلى حانة
تسكنها	الخمّار يسقينا
ما قال ربك ويل	وإنما قال ويل
للأولى سكروا	للمصلينا

فإذا كان تعالى توعّد بالويل المصلي الذي هو ساه عن صلاته وبراءة فيها فكيف بالذي لا يصلي أصلاً فالويل كل الويل له وعليه لعائن الله إلى يوم القيامة مالم يتب.

سورة الكافرون

قوله تعالى: **{وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}** يدل بظاهره على أن الكفار المخاطبين بها لا يعبدون الله أبداً مع أنه دلت آيات أخر على أن منهم من يؤمن بالله تعالى كقوله **{وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ}** الآية.

والجواب من وجهين:
الأول: أنه خطاب لجنس الكفار وإن أسلموا فيما بعد فهو خطاب لهم ما داموا كفارا، فإذا أسلموا لم يتناولهم ذلك لأنهم حينئذ مؤمنون لا كافرون وإن كانوا

منافقين فهم كافرون في الباطن فيتناولهم الخطاب،
واختار هذا الوجه أبو العباس بن تيمية رحمه الله.

تتمة دفع إيهام الإضطراب
لفضيلة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي
المدرس بكلية الشريعة بالجامعة

سورة الناس

قوله: **{مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}** لا يخفى ما بين
هذين الوصفين اللذين وصف الله بهما هذا اللعين الخبيث من
التنافي لأن الوسواس كثير الوسوسة ليضل بها الناس والخناس
كثير التأخر والرجوع عن إضلال الناس. والجواب: أن لكل مقام
مقالاً؛ فهو وسواس عند غفلة العبد عن ذكر ربه خناس عند ذكر
العبد ربه تعالى كما دل عليه قوله تعالى: **{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ
الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}** الآية وقوله
تعالى: **{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا}**. الآية.
وقد تم بحمد الله تعالى ما أردنا جمعه بمدينة النبي صلى الله
عليه وسلم ونرجو الله تعالى أن يوفقنا وإخواننا المسلمين في
الأقوال والأفعال وأن يجعل سعينا خالصاً لوجهه الكريم إنه قريب
مجيب أمين صلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.